

2

أدب أمريكي حديث

بليك كراوتش

ترجمة: عبدالرحيم يوسف

المنحرفون

ثلاثية وايوارد باينز

رواية



مكتبة

المحررة

ثلاثية وايوارد باينز

(2)

المنحرفون

انضم لـ مكتبة .. اصحح الكود

انقر هنا .. اتبع الرابط



نسخ لجودة أعلى داخل القناة

عنوان الكتاب: ثلاثية وايوارد باينز (2)

المنحرفون

The Wayward Pines Trilogy (Book2): Wayward

المؤلف: بليك كراوتش Blake Crouch

ترجمة: عبد الرحيم يوسف

مراجعة لغوية: شيرين يونس

إخراج داخلي: رشا عبدالله

## المحروسة

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة

ت، ف:- 002 02 28432157



mahrousaeg



almahrosacenter



almahrosacenter



www.mahrousaeg.com



info@mahrousaeg.com



mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٠٢٣ / ٢٦٢٥٩

الترقيم الدولي: 7-995-313-977-978

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية

محفوظة لمركز المحروسة

2024

WAYWARD © 2013 by Blake Crouch

"All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage and retrieval system, without permission in writing from the Publisher."

مكتبة  
t.me/soramnqraa

**ثلاثية وايوارد باينز**

**(2)**

**المنحرفون**

**بليك كراوتش**

ترجمة

**عبد الرحيم يوسف**

**رواية**

الطبعة الأولى 2024

# مكتبة

t.me/soramnqraa

IO I 2025



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

كراوتش، بليك، 1978-

المنحرفون: رواية/ بليك كراوتش؛ ترجمة: عبد الرحيم يوسف. - ط 1  
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2023

479ص: 21.5×14.5 سم ثلاثية وايوارد باينز(2)

تدمك 7-995-313-977-978

1 - القصص الامريكية

أ- يوسف، عبد الرحيم (مترجم)

ب- العنوان

823

رقم الإيداع 2023/26259

إلى تشاد هودج



الشخصيات والأحداث المصوّرة في هذا الكتاب خيالية،  
وأي تشابه مع أشخاص حقيقيين، أحياء أو أموات، هو  
من قبيل المصادفة وغير مقصود من المؤلف.





"فالذهن هو الذي يخلق المكان، وهو في باطنه قادرٌ على أن  
يحيل الجحيم جنة، أو الجنة جحيمًا"

جون ميلتون، الفردوس المفقود  
(ترجمة د. محمد عناني)

"لو تطلَّعتم إلى الطبيعة، ستجدون أنه عندما تهتمون برؤية  
أشكال الحياة المرُجأة (مثل البيات الشتوي - المترجم)، فإنكم  
تسعون إلى رؤية الخلود".

د. مارك روث  
(متخصص في علم الأحياء الخلوي)



الأمس تاريخ.  
الغد لغز.  
اليوم منحة حاضرة.  
لهذا يُسمى بالحاضر.  
اعملوا بجدّ، واسعدوا، واستمتعوا بحياتكم  
في وايوارد باينز!

إشعار موجّه إلى كل قاطني وايوارد باينز  
(مطلوب لصقه في مكان بارز في كل مسكن ومحل عمل)



# مقدمة مكتبة

t.me/soramnqraa

سور مكهرب تعلوه لقات من الأسلاك الشائكة يطوق بلدة وايوارد باينز، التي تخضع أيضًا لرقابة القنّاصة على مدار أربع وعشرين ساعة في اليوم طوال الأسبوع. كل واحدٍ من سكان البلدة البالغ عددهم 461 استيقظ هنا بعد حادثٍ كارثي. ثمة كاميرات خفيّة في كل بيتٍ ومكان عملٍ. يُملَى على السكان أين يعملون، وأين يعيشون، ومَن يتزوجون. يعتقد بعضهم أنهم ميّتون، وأن هذه هي الحياة الأخرى. ويعتقد بعضهم أنهم محبوسون في سجن تجريبي. يحلم الجميع سرًا بمغادرة البلدة، لكنّ القلة التي تجرؤ على المحاولة تواجه مفاجأة مريعة. رأى إيثان بيرك العالم الخارجي، هو الآن المأمور، وواحد من القلة التي تعرف الحقيقة: وايوارد باينز ليست مجرد بلدة، وما يقع على الناحية الأخرى من السور عالم كابوسي يتجاوز خيال أي شخص.



# القسم الأول





# 1

ظلّ موسّتين يراقب المخلوق عبر منظار (شميت أند بيندر) التلسكوبي قرابة الساعة. كان هذا المخلوق قد خرج من فتحة الوادي مع انبلاج الصباح، وتوقف قليلاً عندما سقطت أول أشعة الشمس على جلده الشفاف. كان تقدّمه عبر حقل الجلاميد بطيئاً وحذرًا، وهو يتوقف بين الفينة والأخرى كي يتشمّم بقايا آخرين مثله، آخرين قتلهم موسّتين.

رفع القنّاص يده إلى المنظار، وضبط التزيُّح<sup>(1)</sup>، واستقر في مكانه من جديد وراء البؤرة. كانت الظروف مثالية: رؤية واضحة، حرارة معتدلة، لا توجد رياح. مع ضبط خطوط العدسة على زووم 25x، برز

---

(1) التزيُّح أو اختلاف المنظر أو التخالط هو تغييرٌ ظاهري في موقع الشيء المنظور بسبب اختلاف مكان الرؤية. (المترجم)

خيال ظلّ المخلوق الشبحي على خلفية رمادية من صخورٍ محطمة، وعلى مسافة ميل ونصف، لم تكن رأسه أكبر من حبة رمل.

إذا لم يطلق الرصاصة الآن، سيكون عليه أن يضبط مجال مرمى الهدف مرة أخرى. وهناك احتمالٌ بأنه قبل أن يكون مستعدًا لإطلاق الرصاص، سيكون هذا المخلوق قد خرج عن خط بصره. لن تكون نهاية العالم؛ فما زال هناك سياجٌ أمني عالي الجهد يمتد في الوادي الضيق مسافة نصف ميل. لكن لو تمكّن هذا المخلوق من تسلُّق الصخور التي تشرف على السلك الشائك، ستكون هناك مشكلة. سيكون عليه أن يتصل باللاسلكي، يطلب فريقًا؛ عمل إضافي، وقت إضافي، سيبدل كلَّ جهدٍ لمنع المخلوق من الوصول إلى البلدة، وسيتلقى بالتأكيد توبيخًا قاسيًا من بيلتشر.

أخذ موستين نَفَسًا طويلًا عميقًا.

انتفخت رثتاه.

زفر.

انكمشت رثتاه.

ثم فرغتا.

استرخى حجابُه الحاجز.

عدَّ إلى ثلاثة ثم ضغط الزناد.

ارتدَّت البندقية AWM بريطانية الصنع مرتطمة بكتفه في قوة، وقد أحمَد كاتم الصوت من دوي الطلقة. عندما استعاد وضعيته، وجد هدفه في مجال التكبير ما زال جائئًا فوق الجلمود ذي القمة المسطحة على أرضية الوادي الضيق.

اللعنة!

لقد أخطأه.

كانت طلقة من مسافة أطول من العادة، وهناك متغيرات كثيرة جداً تلعب دورها، حتى في ظل هذه الظروف المثالية، الضغط الجوي، الرطوبة، كثافة الهواء، درجة حرارة ماسورة البندقية، وحتى تأثير كوريوليس<sup>(1)</sup> - دوران الأرض. ظنَّ أنه وضع في اعتباره كل شيء في حساب حلوله التصويبية، لكن...

اختفت رأس المخلوق في ضباب وردي.  
ابتسم.

لقد استغرقت طلقة لابوا ماجنوم عيار 338 ما يزيد قليلاً على أربع ثوانٍ كي تصل إلى الهدف.  
طلقة جهنمية.

اعتدل موستين في جلسته، وجاهد كي يقف على قدميه.  
تمطَّى بذراعيه فوق رأسه.

انتصف الصباح. السماء زرقاء مشوبة بالرمادي ولا غيمة على مدى البصر. كان مكمنه فوق برج حراسة ارتفاعه ثلاثون قدمًا بُني على الذروة الصخرية لأحد الجبال، أعلى من خط الأشجار بمسافة. من هذه المنصة المفتوحة امتلك رؤية بانورامية للقمم المحيطة والوادي الضيق والغابة وبلدة وايوارد باينز؛ التي بدت من ارتفاع أربعة آلاف قدم لا تزيد على شبكة من الشوارع المتقاطعة، قابعة في وادٍ محروس. طقطق جهاز اللاسلكي الخاص به.

أجاب: "موستين، حوّل".

---

(1) يُطلق اسم تأثير كوريوليس على التشوُّه الظاهري في حركة الأجسام، عندما ينظر إليها من إطار مرجعي دوراني. أُطلق هذا الاسم نسبة إلى جاسبارد-جوستاف كوريوليس، العالم الفرنسي الذي وصف هذا التشوُّه الظاهري في عام 1835. (المترجم)

- رصدنا تَوًّا هجوميًّا على السور في المنطقة الرابعة، حوَّل.

- في وضع الاستعداد.

أحاطت المنطقة الرابعة بامتداد غابة الصنوبر التي تحدُّ الطرف الجنوبي للبلدة. رفعُ بندقيته وفحصُ بمنظاره السور أسفل غطاء الأشجار، وتتبعه إلى مسافة رُبْع ميل. رأى الدخان أولاً - دوائر من الدخان ترتفع من جلد الحيوان المحترق.

قال: "رأيتَه، إنه مجرد ظبي، حوَّل."

عُلم.

أدار موستين البندقية شمالاً نحو البلدة.

لاحت البيوت - منازل فيكتورية الطراز بهيجة الألوان، أمامها مربعات نموذجية من العشب الزاهي. سياجات خشبية بيضاء. صوَّب منظاره نحو المتنزه حيث كانت امرأة تدفع طفلين في أرجوحتين. هبطت طفلة صغيرة على زلاقة لها لمعة تغشي العين.

تفحص بمنظاره فناء المدرسة.

المستشفى.

الحدائق المجتمعية.

الشارع الرئيسي.

قمع بداخله ذلك الفوران المألوف لشعوره بالحسد.

سكان البلدة.

كانوا غافلين.. جميعهم. غافلون على نحوٍ جميل.

لم يكرههم. لم يرغب في حياتهم. لقد قَبِل منذ زمن طويل دوره كحارسٍ.. واقٍ. بيته حجرة عقيمة بلا نوافذ داخل جبل، وقد تصالح

مع هذه الحقيقة إلى حدّ كبير بقدر ما يمكن لأي رجل أن يطمح إليه. لكن هذا لا يعني أنه في صباح جميل بينما يحدق فيما كان -حرفياً- الأثر الأخير للفردوس على وجه الأرض، لا يجدر به أن يشعر بوخزة من النوستالجيا. من الحنين إلى ما كان ذات يوم مضى.

إلى ما لن يكون مرة أخرى أبداً.

تحرك بمنظاره متفحصاً الشارع، وثبتت موستين نظره على رجلٍ يمشي بسرعة على الرصيف. كان يرتدي قميصاً أخضر داكناً، وبنطالاً بُنيّاً، وقبعة راعي بقر سوداء.

انعكس وهجٌ من ضوء الشمس على النجمة النحاسية المثبتة على صدره.

انعطف الرجل عند ناصية، وتقاطعت خطوط عدسة المنظار على ظهره.

قال موستين: "صباح الخير أيها المأمور بريك، هل تشعر بحكة في ظهرك؟"



## 2

ما زالت هناك لحظات، مثل هذه اللحظة، حيث تبدو وايوارد  
باينز كأنها مكان حقيقي.  
نور الشمس ينسكب في الوادي.  
الصباح ما زال لطيف الحرارة منعشًا.  
زهور بنفسج الثالوث ترصع أصيلاً تحت نافذة مفتوحة تركت  
رائحة إعداد الإفطار تفوح خارجًا.  
أناس خرجوا من أجل تمشيات صباحية.  
آخرون يسقون العشب.  
يلتقطون الجريدة المحلية.  
قطرات ندى تتبخر من فوق صندوق بريد أسود.



وجد إيثان بيرك في ذلك إغواء بأن يتلکأ في هذه اللحظة، بأن يتظاهر كما لو أن كل شيء كما بدا تمامًا، أنه يعيش مع زوجته وابنه في بلدة صغيرة نموذجية، حيث يعمل مأمورًا يحظى بكثيرٍ من الإعجاب. حيث لديهم أصدقاء، بيت مريح، كل احتياجاتهم متوفرة. وفي هذا التظاهر أدرك تمام الإدراك كيف يعمل الوهم بشكلٍ جيد، كيف يمكن للناس أن يتركوا أنفسهم تستسلم، أن يتركوا أنفسهم تختفي داخل الكذبة الجميلة التي تحيط بهم.

\*\*\*

جلجلت الأجراس فوق الباب عندما دخل إيثان مقهى (ستيمينج بين). خطأ نحو النضد وابتسم للنادلة؛ فتاة جميلة لها مظهر الهيبيز بصفائرها الشقراء وعينيها المفعمتين بالعاطفة.

- صباح الخير يا ميراندا.

- أهلاً إيثان، الطلب المعتاد؟

- من فضلك.

وبينما كانت تعد جرعات الإسبريسو من أجل طلبه المعتاد من الكابوتشينو، تفحص إيثان المحل. كان الزبائن المعتادون موجودين جميعًا، ومن ضمنهم الرفيقان العجوزان -فيليب وكلاي- المنحنيان على رقعة الشطرنج. سار إيثان نحوهما، ودرس المباراة. من منظرها أدرك أنهما يلعبان منذ مدة؛ وقد تقلص ما لدى كل رجل منهما إلى ملك ووزير وعدة بيادق.

قال إيثان: "يبدو أنكما متوجهان نحو التعادل.."

فقال فيليب: "ليس بهذه السرعة، ما زال هناك شيء في جعبتي."

ابتسم خصمه، وهو رجل أشيب، من ثنانيا لحيته الكثة وراء رقعة الشطرنج وقال: "فيليب يقصد بهذا الشيء أنه سيستغرق وقتًا طويلاً قبل أن يقوم بالحركة التالية اللعينة حتى إني سأموت ويفوز بجريمته".  
- أوه، اخرس يا كلاي.

تابع إيثنان سيره ماراً بأريكة بائسة إلى رفّ كتب. مرّر إصبعه على كعوب الكتب. كلاسيكيات: فوكنز، ديكينز، تولكين، هوجو، جويس، برادبري، ميلفيل، هوثورن، بو، أوستين، فيتزجيرالد، شكسبير. من نظرة واحدة يمكنك أن تعرف أنها تجميعاً من هنا وهناك لكتب ذات طبعات شعبية رخيصة. سحب مجلداً نحيلاً من الرف. رواية (ثم تشرق الشمس). حمل الغلاف لوحة انطباعية لمصارعة ثيران. ابتلع إيثنان الغصة التي تكوّنت في حلقه. ربما كانت هذه النسخة الشعبية ذات الصفحات الهشة لرواية هيمنجواي الأولى هي النسخة الوحيدة الباقية في الوجود. أثار هذا قشعريرته - يا له من شعورٍ رائع ومأساوي أن يمسك بها في يديه.

- إيثنان، كل شيء جاهز!

جذب كتاباً آخر من أجل ابنه، ومضى إلى النضد ليأخذ كوبه من الكابوتشينو.

- أشكرك يا ميراندا. سأستعير هذين الكتابين، إذا كان هذا مقبولاً.

- طبعاً.

وابتسمت ثم قالت: "حافظ عليهما جيداً سيدي المأمور."

- سأفعل ما في وسعي.

لمس إيثنان حافة قبعته على سبيل التحية وتوجه نحو الباب.

\*\*\*

بعد عشر دقائق، دفع الأبواب الزجاجية المزدوجة تحت لافتة مكتوب عليها:

### مكتب مأمور وايوارد باينز

بدا مكتب الاستقبال خاليًا. لا شيء جديد.

جلست سكرتيرته وراء مكتبها في سأمها المعتاد. كانت تلعب سوليتير، وتضع أوراق اللعب بإيقاعٍ ثابتٍ آلي.

- صباح الخير يا بليندا.

- صباح الخير سيدي المأمور.

لم ترفع عينيها.

- أي اتصالات؟

- لا يا سيدي.

- هل مرَّ أي أحد؟

- لا يا سيدي.

- كيف كان مساؤك؟

رفعت ناظريها بسرعة، وقد باغتها السؤال، وفي يدها اليمنى تعلَّق آس البستوني.

- ماذا؟

كانت تلك هي المرة الأولى التي يدفع فيها إيثان تفاعله مع بليندا إلى ما وراء التحيات الروتينية والسلامات والتفاهات الإدارية. في حياتها السابقة كانت ممرضة أطفال. تساءل في داخله إن كانت تعرف أنه يعرف عنها ذلك.

- كنت فقط أسأل كيف كان مساؤك.. ليلة الأمس.

- أوه.

مررت أصابعها في ذيل حصان طويل فضي شدت فيه شعرها.

- بخير.

- هل تفعلين أي شيء ممتع؟

- لا، ليس بالفعل.

ظن أنها قد ترد السؤال، وتستفسر عن مسائه، لكن مررت خمس  
ثوانٍ من الصمت الحرج وتلاقي الأعين دون أن تتحدث.  
أخيراً دقّ إيثان بعقلات أصابعه على مكتبها، وقال: "سأكون في  
مكتبي".

\*\*\*

رفع قدميه في حذائه العالي على المكتب الضخم، ومال بظهره في  
جلسته على المقعد الجلدي ممسكاً بقهوته التي يتصاعد منها البخار.  
أطلّ عليه رأس أيل عملاق محدقاً إليه من عليائه في الناحية الأخرى  
من الغرفة. بين هذا الرأس وخزانات السلاح الثلاث العتيقة وراء  
المكتب، أحسّ إيثان أن لديه كل سمات مأموري الأرياف بحذافيرها.  
ستصل زوجته إلى عملها الآن تقريباً. في حياتها السابقة، كانت  
تيريزا مساعدة قانونية، أما في وايوارد باينز، كانت سمسارة العقارات  
الوحيدة في البلدة، وهو ما يعني أنها تقضي أيامها جالسة وراء نضد  
في مكتب بالشارع الرئيسي نادراً ما يدخله الناس. كانت وظيفتها،  
مثل الغالبية العظمى من الوظائف المكلف بها السكان، تجميلية في  
الأساس. واجهة مزخرفة لبلدة مزعومة. أربع أو خمس مرات فقط  
في العام كانت تساعد بالفعل فيها أحداً على شراء بيتٍ جديد. كان  
السكان النموذجيون يكافؤون بمنحهم خيار تحديث بيوتهم كل بضع

سنين. هؤلاء السكان الذين قضوا هنا أطول فترة ولم يخالفوا القواعد قط كانوا يعيشون في أكبر وألطف البيوت الفيكتورية. والأسر التي تحبل الزوجات فيها تكفل لهم بيوت جديدة أكبر وأوسع.

لم يكن لدى إيثان شيء يفعلهُ أو مكان يذهب إليه طوال الساعات الأربع التالية.

مكتبة

t.me/soramnqraa

فتح الكتاب الذي استعاره من المقهى.

كان النثر مقتضبًا ورائعًا.

عُصَّ حلقة عند وصف باريس في الليل.

المطاعم، الحانات، الموسيقى، الدخان.

أضواء مدينة حقيقية حية.

الإحساس بعالمٍ واسع مترع بأناس متنوعين وفاتنين.

حرية استكشافه.

بعد أربعين صفحة، أغلق الكتاب. لم يستطع أن يتحمّله. لم يُلْهه هيمنجواي. لم يبعده عن واقع واوارد باينز. كان هيمنجواي يدعك وجهه فيها. يسكب المالح داخل جرح لن يبرأ أبدًا.

\*\*\*

في الثانية إلا الربع، غادر إيثان المكتب سائرًا على قدميه.

تمشَّى عبر أحياء هادئة.

كل من مرَّ بهم كانوا يتسمون ويُلَوِّحون، يحيونه بما بدا كأنه حماس حقيقي، كأنه عاش هنا لأعوام. إذا كانوا يخشونه ويكرهونه سرًّا، فقد أخفوا ذلك جيدًا، ولمْ لا؟ على حد علمه، كان الساكن الوحيد في واوارد باينز الذي يعرف الحقيقة، وكانت وظيفته التأكد من أن

يظل الحال على ما هو عليه، أن يحفظ السلام.. الكذبة، حتى عن زوجته وابنه. في أسبوعيه الأوليين كمأمور، قضى أغلب وقته في دراسة ملفات عن كل ساكن، في التعرف على دقائق حياتهم من قبل. تفاصيل عمليات إدماجهم. تقارير مستندة إلى المراقبة لحياتهم من بعد. كان يعرف التواريخ الشخصية لنصف البلدة الآن. أسرارهم ومخاوفهم. هؤلاء الذين يمكن الوثوق بهم في الحفاظ على هذا الوهم الهش، وهؤلاء الذين توجد شروخ دقيقة في قشرتهم الخارجية الخداعة.

كان يتحوّل إلى جهاز جستابو من رجلٍ واحد.

كان يفهم أن هذا ضروري.

لكنه ما زال يحتقره.

\*\*\*

مضى إيثان قاطعًا الشارع الرئيسي وتوجّه جنوبًا حتى انتهى الرصيف والبنيات. استمر الطريق، وسار على حافته إلى داخل غابة من أشجار الصنوبر الشاهقة. وابتعد عنه طنين حياة البلدة.

بعد خمسين قدمًا من لافتة الطريق التي تحذر من انحناء حادة إلى الأمام، توقف إيثان. ألقى نظرة وراهه نحو واوارد باينز. لا توجد سيارات قادمة. كل شيء ساكن. لا صوت إلا طائر وحيد يزقزق في شجرة عاليًا فوق رأسه.

خطا هابطًا من حافة الطريق إلى داخل الغابة.

فاح الهواء برائحة أوراق الصنوبر التي تستدفئ بالشمس.

تحرك إيثان عبر أرضية الغابة الوثيرة خلال مساحات النور والظل.

سار بسرعة كافية لأن يتعرق ظهره ويبتل قميصه، ويبتد جلد في موضع التصاق النسيج به.

كانت تمشية لطيفة. بلا مراقبة، ولا ناس. مجرد رجل يتمشى وحيداً في الغابة، وحيداً لبعض الوقت مع أفكاره.

بعد مائتي ياردة من الطريق، وصل إلى الجلاميد؛ مجموعة من كتل الجرانيت متناثرة بين أشجار الصنوبر. عند النقطة التي تلتقي فيها الغابة بجانب الجبل، لاحت صخرة ناتئة، نصف مدفونة في الأرض.

اقترب إيثان.

من مسافة عشرة أقدام، بدا سطح الصخرة الرأسي الأملس حقيقياً. حتى عرق الكوارتز والتجمعات المتناثرة الزاهية من الطحالب والأشنيات.

لكن من مدى قريب، كان الوهم أقل إقناعاً، حيث بدت أبعاد السطح ذات لمسة مربعة أكثر من اللازم.

وقف إيثان قبلها ببضعة أقدام وانتظر.

بعد قليل، سمع الهمهمة الميكانيكية المكتومة لتروس بادئة في الدوران. ارتفع السطح الصخري بأكمله كأنه باب جراج عملاق - واسع وطويل بما يكفي لاستيعاب مقطورة جرار.

انحنى إيثان أسفل الباب المرتفع ودخل إلى تلك البرودة الرطبة تحت الأرض.

- أهلاً إيثان.

- ماركوس.

نفس المرافق من المرة السابقة: فتى يبلغ نيفاً وعشرين عاماً من العمر له رأس حليق وفكٌ حادٌ يليق بجندي مشاة أو شرطي. ارتدى سترة صفراء واقية من الرياح، وخطر على بال إيثان أنه نسي أن يُحضر سترته مرة أخرى؛ عليه أن يتحمّل ركوبة أخرى قارصة البرودة.

كان ماركوس قد ترك السيارة الجيب الرانجلر -عديمة الأبواب والغطاء- تدور في تكاسل وتواجه بظهرها الطريق الذي أتت منه. صعد إيثنان إلى مقعد الراكب الأمامي.

انغلق باب الدخول وراءهما منصفًا.

جذب ماركوس فرامل الطوارئ، ونقل السرعة وهو يتحدث في سماعة مثبتة على رأسه: "أحضرت مستر بيرك، نحن في الطريق.." تمايلت السيارة الجيب متقدمة، وهي تتسارع في حركتها على حارة واحدة غير مميزة من أسفلت بدائي.

تزايدت سرعة السيارة بمعدل خمسة عشر في المائة.

كانت جدران النفق من صخر الأديم المكشوف.

في مواضع منها سالت جداول من الماء على الصخر وانفرشت على الطريق فيما يشبه شبكة العنكبوت. ثمة قطرة عابرة رصعت الزجاج الأمامي.

مرّت فوق رأسيهما فوانيس الفلورسنت التي تغشي البصر في نهر من البرتقالي الكئيب.

فاح الهواء برائحة الحجر والماء والعدم.

بين زمجرة المحرك والريح، كانت الضوضاء أكبر من أن تسمح بأي محادثة. وكان هذا طيبًا بالنسبة إلى إيثنان. مال بظهره مستندًا إلى المقعد المكسو بالفينيل الرمادي، وقاوم الرغبة في تدليك ذراعيه لمقاومة عصف الهواء البارد الرطب المستمر.

تزايد الضغط في أذنيه، وخبا هدير المحرك.

ابتلع ريقه.

عادت الضوضاء.



ظَلَّت السيارة تصعد بهما الطريق.

بسرعة خمسة وثلاثين ميلاً في الساعة كانت الرحلة تستغرق أربع دقائق فقط، لكن بدا أنها استغرقت وقتاً أطول. شيء مربك ومشوّه للوقت في مواجهة كل هذا البرد والضوضاء والريح.

الشعور حرفياً بمعاناة الصعود داخل جبل.

التوقع المثير للأعصاب بأنه سوف يراه.

\*\*\*

انتهى بهما النفق إلى مغارة هائلة احتوت مساحة أرضية تكفي لعشرة مستودعات. مليون قدم مربع أو يزيد. حيز ممتد بما يكفي لتجميع طائرات أو مركبات فضائية. لكنه بدلاً من ذلك احتوى مؤناً. خزانات أسطوانية هائلة مليئة بالمواد الغذائية. صفوف طويلة من رفوف بارتفاع أربعين قدمًا معبأة بالخشب والمؤن. كل ما يلزم لإبقاء البلدة الأخيرة على الأرض حية لسنوات قادمة.

مرق ماركوس بالسيارة إلى جوار باب نُقِشت عليه كلمة إرجاء بعرض الزجاج. غام ضوء أزرق ضبابي خلف المدخل، وأحس إيثان برجفة باردة في عموده الفقري لمعرفته بما يستقر في الداخل.

وحدات الإرجاء الخاصة ببيلتشر.

مئات منها.

كل ساكن في وايوارد باينز، ومن ضمنهم هو ذاته، كان قد أُرِجئ كيميائياً في تلك القاعة لمدة ألف وثمانمائة عام.

ارتجت السيارة قبل أن تتوقف إلى جانب زوج من الأبواب الزجاجية.

أطفأ ماركوس محرك السيارة بينما إيثان ينزل منها.

نقر الحارس المرافق رمزاً ما على لوحة المفاتيح وانفجرت الأبواب في خفة.

اجتازا لافتة كُتِب عليها: "المستوى الأول" إلى داخل ممرٍ طويل خالٍ.

بلا نوافذ.

مصاييح الفلورسنت تطنُّ.

الأرضية خط من بلاط شطرنجي أبيض وأسود. وكل عشرة أقدام ينهض باب محفورة فيه نافذة دائرية صغيرة. بلا مقبض، ولا أكرة - لا ينفتح إلا ببطاقة مفتاحية.

كانت أغلب النوافذ مظلمة.

لكن عبر واحدة منها أطل مخلوق من المنحرفين يراقب إيثان في مروره، وقد اتسعت حدقتا عينيه الواسعتين اللبنتين، مكشراً عن أنيابه الحادة، وهو ينقر بمخلب أسود واحد على الزجاج.

كانوا يزورونه في الكوايبس. وكان يصحو وهو يقطر عرقاً، يعايش الهجوم من الجديد. وتيريزا تربت على ظهره وتهمس بأنه آمن في فراشه بالبيت، بأن كل شيء سيكون بخير.

في منتصف الممر توقفا عند زوج من أبواب غير مميزة.

أدخل ماركوس بطاقته المفتاحية وانفتح البابان.

خطا إيثان داخل الكابينة الصغيرة.

أقحم مرافقه مفتاحاً في لوح من الكروم، وعندما بدأ الزر الوحيد يومض، ضغط عليه.

كانت الحركة سلسلة.

يحل الطنين دائماً على أذني إيثان بمجرد أن ينطلق المصعد، لكنه لم يستطع أن يحدد قط إن كانا يصعدان أم يهبطان.

أزعجه للغاية أنه، حتى بعد أسبوعين من عمله، ما زال يجد مرافقاً يخفّره في هذا المكان كأنه طفلٌ أو مصدر تهديد.

أسبوعان!

يا إلهي!

بدا كأنه كان بالأمس فقط جالساً أمام مكتب آدم هاسلر، العميل الخاص المسؤول عن مكتب سياتل الميّداني، يتلقّى تكلّيفاً بالقدوم إلى هذه البلدة والعثور على زميلة إيثان السابقة المفقودة: كيت هيوسون. لكنه لم يُعدّ عميلاً للخدمة السرية.. ما زال غير متصلح بشكل تام مع تلك الحقيقة.

الطريقة الوحيدة لمعرفة أنهما توقفا أن تفتح الأبواب.

أول ما يراه عندما يخطو خارجاً لوحة لبيكاسو، يشك إيثان في كونها أصلية.

سارا عبر بهوٍ فاخر. لا توجد مصابيح فلورسنت ولا مشمع يغطي بلاطاً شطرنجياً هنا. الأرضية كلها بلاط من الرخام والحوائط مزدانة بشمعدانات أنيقة وحليات زخرفية. حتى الهواء كان له مذاق أفضل، لا شيء من ذلك العنصر المقلب المشوب بالعطن الذي يجده في بقية المجمع.

مرّاً بغرفة معيشة في مستوى أدنى من الأرض.

مطبخ ضخم.

مكتبة اصطفت فيها مجلدات بأغلفة جلدية فاحت برائحة العتاقة المطلقة.

انعطفوا حول زاوية، وتوجَّها أخيراً نحو البابين المزدوجين المصنوعين من خشب البلوط في نهاية القاعة.

طرق ماركوس بقوة مرتين، وردَّ صوت على الناحية الأخرى: "ادخل!"

- تفضَّل مستر بيرك.

فتح إيثنان البابين واجتازهما إلى داخل مكتب مذهل.

كانت الأرضية من خشبٍ أسود غريب صلب له سطح شديد اللمعان.

وكانت القطعة المركزية في الغرفة منضدة كبيرة عُرضت تحت زجاجها نسخة معمارية مصغرة من وايبورد باينز، من الدقة بحيث إنها صورت حتى لون منزل إيثنان.

زُيِّن الجدار الأيسر بأعمال فنسنت فان جوخ.

وتكوَّن الجدار المقابل من صف شاشات مراقبة مسطحة يمتد من الأرض إلى السقف. بارتفاع تسع شاشات، وعرض أربع وعشرين شاشة. وُضعت أرائك جلدية في مواجهة الشاشات التي عرضت مائتين وست عشرة صورة لوايبورد باينز في نفس الوقت - الشوارع، الحمَّامات، المطابخ، الأفنية الخلفية.

كل مرة يرى إيثنان فيها هذه الشاشات يضطر إلى أن يكظم رغبة ملحّة في انتزاع رأس أحدهم.

كان يفهم الغرض -تمامًا- لكنه ما زال...

قال الرجل الجالس خلف المكتب المصنوع من خشب الماهوجني والمنقوش بطريقة معقدة: "ذلك الحنق.. يتفجر منك كل مرة تأتي فيها لرؤيتي".

هزَّ إيثنان كتفيه: "أنت تتجسس على حياة الناس الخاصة؛ وهذا مجرد رد فعل طبيعي".

- هل تعتقد أنه ينبغي وجود الخصوصية في بلدتنا؟

- بالطبع لا.

تحرك إيثنان نحو المكتب العملاق بينما الأبواب تنغلق خلفه.

وضع قبعته تحت ذراعه اليمنى، وجلس في ثققل على أحد المقاعد.

حدَّق في ديفيد بيلتشر.

كان هو الملياردير-المخترع (عندما كان للمال معنى ما) وراء وايبورد باينز، وراء هذا المجمع داخل الجبل. في عام 1971، اكتشف بيلتشر أن الجينوم البشري ينحط، وتنبأ سراً بأن الإنسانية ستكف عن الوجود بعد ثلاثين إلى أربعين جيلاً؛ لذا بنى هذه البنية الفوقية للإرجاء من أجل حفظ عدد من البشر الأنقياء قبل أن يصل فساد الجينوم إلى الكتلة الحرجة.

بالإضافة إلى دائرته الداخلية المكوّنة من مائة وستين مؤمناً حقيقياً، كان بيلتشر مسؤولاً عن خطف ستمائة وخمسين شخصاً، كلهم -وهو نفسه بينهم- وُضعوا في حالة إحياء مرجأ.

وصدقت نبوءة بيلتشر. في هذه اللحظة ذاتها، فيما وراء السور المكهرب الذي يحيط ببلدة وايبورد باينز، يعيش مئات الملايين مما انحدرت إليه البشرية: المنحرفون.

ومع ذلك، لم يمتلك بيلتشر الواجهة التي اكتسبها ظاهرياً. كان من الناحية الجسدية رجلاً لا خطر منه. طوله نحو 165 سنتيمتراً بحذائه العالي. بلا شعر إلا شعيرات فضية قليلة نامية، أشيب من

سحب الشتاء. راقب إيثان بعينين صغيرتين سوداوين بقدر ما كان من الصعب قراءتهما.

دفع بيلتشر مجلد ملفات عبر المكتب المكسو بالجلد.

تساءل إيثان: "ما هذا؟"

- تقرير مستند إلى المراقبة.

فتح إيثان المجلد.

ضم صورة بالأبيض والأسود ملتقطة من شاشة لرجل تعرّف عليه، بيتر ماكول، رئيس تحرير جريدة البلدة: وايبورد لايت. في الصورة يرقد ماكول على جنبه في الفراش، محدقًا بعينين خاويتين إلى العدم.

تساءل إيثان: "ماذا يفعل؟"

- حسنًا، لا شيء، وتلك هي المشكلة؛ لم يظهر بيتر في العمل طوال اليومين الماضيين.

- ربما هو مريض؟

- لم يُبلّغ عن شعوره بالمرض، ويشعر تيد -رئيس تكنولوجيا المراقبة لديّ- بأجواء غريبة.

- أنه ربما يفكر في الهرب مثلًا؟

- ربما، أو يقوم بشيء متهور.

قال إيثان: "أتذكر ملفه، ولا أذكر أي مشكلات إدماج كبرى، لا يوجد أي سلوك متمرد لاحق. هل قال أي شيء مقلق؟"

- لم ينطق ماكول بكلمة طوال ثماني وأربعين ساعة، ولا حتى لأطفاله.

- ماذا تريد مني أن أفعل بالضبط؟

- أبقى عينيك عليه، زره وألقِ التحية، لا تبخس الأثر الذي يمكن أن يمثله حضورك.
- أنت لا تفكر في مهرجان، أليس كذلك؟
- لا. المهرجانات محجوزة لمن يُظهرون أفعال خيانية حقيقية، ويحاولون أن يضمُّوا آخرين إليهم. أنت لا تحمل سلاحك الجانبي.
- أعتقد أنه يبعث رسالة خاطئة.
- ابتسم بيلتشر ليكشف عن فم مليء بأسنان بيضاء صغيرة، وقال: "أنا أقدر اهتمامك بالرسالة التي أريد أنا من رجل السلطة الوحيد لدي في البلدة أن يتبناها. وأنا أعني هذا. ما هي رسالتك إذن يا إيثان؟"
- أني هناك للمساعدة، للدعم، للحماية.
- لكنك لست موجودًا هناك فعليًا كي تفعل أيًا من هذه الأشياء. هذه غلطتي؛ فأنا لم أكن واضحًا. وجودك تذكير بوجودي أنا.
- فهمت.
- لذا في المرة التالية التي أراك فيها على إحدى شاشاتي سائرًا في الشارع، هل يمكن أن أتوقع رؤية أكبر وأشرس سلاح لديك بارزًا من فخذك؟
- أكيد.
- ممتاز.
- أحسَّ إيثان بقلبه يضرب ضلوعه في حدة غاضبة.
- من فضلك لا تأخذ هذا العتاب البسيط على أنه انطباعي العام عن عملك يا إيثان. أعتقد أنك تندمج على نحو طيب في منصبك الجديد. ألا تتفق معي في ذلك؟

ألقى إيثان نظرة وراء كتف بيلتشر. كان الحائط وراء المكتب من صخر صلب. في قلبه حُفرت نافذة كبيرة في الحجر. نافذة تطل على الجبال والوادي الضيق والبلدة - وايوارد باينز من ارتفاع ألفي قدم.

قال إيثان: "أعتقد أنني أزداد ألفة وارتياحًا مع الوظيفة.."

- كنتَ تدرس ملفات السكان بقوة؟

- طالعتها كلها مرة واحدة.

- كان سلفك، مستر بوب، يحفظها عن ظهر قلب.

- سأصل إلى ذلك.

- سعيد بأن أسمع هذا. لكنك لم تكن تدرسها هذا الصباح، صحيح؟

- كنتَ تراقبني؟

- ليست مراقبة بمعنى المراقبة. لكن مكتبك ظهر بضع مرات على الشاشات. ماذا كان ذلك الذي تقرأه؟ لم أستطع أن أتبيّنه.

- ثم تشرق الشمس.

- آه، هيمنجواي. واحد من كُتّابي المفضّلين. أتعرف؟ ما زلت

مؤمنًا بأن الفن العظيم سيُخلق هنا. لقد أحضرت عازف

البيانو، هيكتر جايثر من أجل هذا السبب الصريح. ولديّ

روائيون ورسامون آخرون مشهورون في حالة إرجاء، وشعراء.

ونحن نبحث دائمًا عن مواهب نرعاها في المدرسة. بن يبلي

بلاء حسنًا في حصص الرسم.

تحفز إيثان داخليًا لدى ذكر بيلتشر لابنه، لكنه لم يقل إلا: "سكان

باينز ليسوا في حالة ذهنية تسمح لهم بصنع الفن."

- ماذا تقصد بهذا يا إيثان؟



طرح بيلتشر هذا السؤال كما قد يطرحه معالج نفسي: سؤال مشحون بالفضول العقلي، وليس بالعدوانية.

- إنهم يعيشون تحت مراقبة مستمرة. يعرفون أنهم لا يستطيعون المغادرة أبدًا. أي نوع من الفن يمكن لمجتمع مكبوت أن يشعر بالدافعية إلى إبداعه؟

ابتسم بيلتشر وقال: "عندما أسمعك تتكلم يا إيثان أتساءل إن كنت معي بكليتك على متن المركب، إن كنتَ تؤمن فعليًا بما نفعله." - بالطبع أومن.

- بالطبع أنت كذلك. وُضع على مكثبي اليوم تقرير من أحد مستكشفي الرخالة الذي عاد للتو من مهمة لمدة أسبوعين. رأى حشدًا من ألفي منحرف على مبعدة عشرين ميلًا فقط من قلب وايوارد باينز. كانوا يتحركون بقوة عبر السهول شرقي الجبال، يطاردون قطيعًا من الجاموس البري. كل يوم، يُذكرني شيء ما كم أننا عرضة للهجوم في هذا الوادي. كم يبدو وجودنا ضعيفًا وهشًا. وأنت جالس هناك وتنتظر إليّ كأنني أدير ألمانيا الشرقية أو الخمير الحمر. لا يعجبك الحال. يمكنني أن أحترم هذا. اللعنة! أتمنى لو كان الوضع مختلفًا. لكنّ هناك أسبابًا لما أفعله من أشياء، وهذه الأسباب قائمة على حفظ الحياة. حفظ نوعنا.

- ألا توجد دائمًا أسباب؟

- أنت رجل ذو ضمير، وأنا أقدر هذا. لم أكن لأضع شخصًا دون ذلك في موقع سلطتك. كل مورد لديّ، كل شخص يعمل تحت إمرتي، مكرس لشيء واحد. إبقاء الأربعمائة وواحد وستين شخصًا في ذلك الوادي -ومن ضمنهم زوجتك وابنك- في أمان.

تساءل إيثان: "وماذا عن الحقيقة؟"

- في بعض الظروف، يكون الأمان والحقيقة عدوين بالطبيعة. أعتقد أن موظفًا سابقًا لدى الحكومة الفيدرالية قادر على فهم ذلك المبدأ.

ألقى إيثان نظرة على حائط الشاشات. على إحدى الشاشات في الركن الأيسر الأدنى، ظهرت زوجته.

تجلس وحيدة في مكتبها بالشارع الرئيسي. بلا حراك.

ضجرة.

أظهرت الشاشة الملاصقة لشاشتها بثًا من إحدى الكاميرات لا يشبه أي شيء رآه إيثان: منظور عين طائر لشيء يطير على ارتفاع مائة قدم من غابة كثيفة بمعدل سرعة كبير.

تساءل إيثان، وهو يشير إلى الحائط: "ما هذا البث التصويري؟"

- أي بث؟

حلّت محل الصورة لقطة لكاميرا من داخل دار الأوبرا.

- لقد اختفى الآن، لكنه بدا كأنه شيء يطير على مستوى قمم الأشجار.

- أوه، إنها مجرد واحدة من وحدات (م.ج.ب) الخاصة بي.

- م.ج.ب؟

- مركبات جوية بدون طيار. إنها طائرة بدون طيار موديل إم كيو- ريبز. نرسلها من وقت إلى آخر في مهام استطلاع. لديها نطاق يقترب من ألف ميل. اليوم أعتقد أنها تطير جنوبًا لتقوم بدورة حول البحيرة المالحة الكبرى.

- هل وجدت أي شيء من قبل؟
- ليس بعد. اسمع يا إيثان. أنا لا أطلب منك أن تعجب بكل هذا. أنا لا يعجبني هذا.
- إلى أين نمضي؟

تساءل إيثان بينما حلّت محل صورة زوجته صورة ولدين يبيان قلاعًا من الرمال في صندوق رمل. "أقصد كنوعٍ وثبّت نظرتَه على بيلتشر من جديد. "أفهم ما فعلته هنا، أنك حفظت وجودنا إلى مدى أبعد مما كان في ذهن عملية التطور. لكن أكان الأمر من أجل هذا فقط؟ فصيل صغير للغاية من البشرية يمكنه أن يعيش في وادٍ تحت المراقبة أربعة وعشرين ساعة طوال الأسبوع؟ محجوبة عنه الحقيقة؟ مضطر من وقت إلى آخر إلى قتل واحد منه؟ إنها ليست حياة يا ديفيد. إنه حكم بالسجن. وأنت جعلتني السجنان. أريد الأفضل لهؤلاء الناس. لعائلتي".

دفع بيلتشر مقعده إلى الورا مبتعدًا عن المكتب، ولفَّ به محددًا عبر الزجاج نحو البلدة التي صنعها.

- نحن هنا منذ أربعة عشر عامًا يا إيثان. يوجد أقل من ألف مئًا ومئات الملايين منهم. أحيانًا يكون أفضل ما يمكنك أن تفعله أن تبقى حيًّا فقط.

\*\*\*

انغلق باب النفق المموه وراءه.

وقف إيثان وحيدًا في الغابة.

تحرك مبتعدًا عن الصخرة البارزة عائدًا نحو الطريق.

كانت الشمس قد سقطت بالفعل وراء جدار الصخور الغربي.

اكتست السماء بلون ذهبي نضر.

ثمة برودة في الهواء تنبئ بقدوم الليل.

كان الطريق إلى باينز خاليًا، وسار إيثان في منتصف الخطين الأصفرين اللذين يفصلان حارقي الطريق.

\*\*\*

كان البيت هو رقم 1040 في الشارع السادس، منزل فيكتوري على مبعده بضعة مربعات سكنية من الشارع الرئيسي. أصفر له إطار أبيض. مبهج وعتيق الطراز. عبر إيثان البلاطات الحجرية وصعد إلى الشرفة الأمامية.

فتح الباب السلك، والباب الخشبي الصلب.

خطا إلى الداخل.

قال: "حبيبتي، عدتُ إلى البيت!"

لم يجد ردًا.

فقط الطاقة الصامتة المشدودة لأي منزل خالٍ.

وضع قبعته أعلى مشجب المعاطف، وجلس على سلّم خشبي يُطوى ليغدو مقعدًا كي يخلع حذاءه العالي.

مضى دون أن يخلع جوربه إلى المطبخ. كان طلبهم من الحليب قد أتى. أربع زجاجات جلجلت مصطدمة بعضها ببعض عندما فتح باب الثلاجة. أمسك بواحدة وحملها عبر الصالة إلى غرفة المكتب. كانت تلك هي غرفة إيثان المفضّلة في المنزل. لو جلس على المقعد الضخم المنجّد قرب النافذة، يمكنه أن ينعم بمعرفته أنه غير خاضع للمراقبة. أغلب البنائيات في باينز بها بقعة عمياء أو بقعتان. في رحلته

الثالثة إلى مجمع البنية الفوقية، وضع يديه على تخطيطات المراقبة الخاصة بمنزله. حفظ في ذاكرته موقع كل كاميرا. كان قد سأل بيلتشر إن كان من الممكن إزالتها، ورُفض طلبه. أراد بيلتشر من إيثان أن يمرَّ بالخبرة الكاملة للعيش تحت المراقبة حتى يتمكن من الارتباط بالناس الواقعين تحت سلطته.

كانت هناك راحة في معرفة ألا أحد، في هذه اللحظة، يمكن أن يراه. بالطبع يعرفون موقعه بالضبط في كل الأوقات بفضل الرقابة المجهرية التي زرعوها تحت عضلات باطن الركبة. وقد عرف إيثان أنه من الأفضل له ألا يسأل إن كان يمكن استثناءه من ذلك الإجراء الأمني.

نزع إيثان غطاء زجاجة اللبن وأخذ جرعة كبيرة.

لم يكن هذا الحديث من نوعية ما يمكنه أن يقوله لتيريزا (بينما الناس ينصتون)، لكنه كثيرًا ما فكر أنه من بين كل الصعاب الرهيبة المحيطة بحياتهم في باينز -بلا خصوصية ولا حرية، وخطر الموت المائل أبدًا- لا بد أن هذا الحليب اليومي القادم من معمل الألبان في الجانب الجنوبي الشرقي من الوادي هو النقطة الوحيدة المضيئة.

كان باردًا ومليئًا بالقشدة وطازجًا، له حلاوة عشبية.

من النافذة استطاع أن يرى الفناء الخلفي لبيت جارته الملاصق لبيته. ركعت جنيفر روشيستر على حوض زهور نامية، تغرف حفنات من التربة من عربة يدوية حمراء. استدعى إلى ذاكرته ملقَّها قبل أن يمكنه إيقاف الفكرة. في حياتها الماضية، كانت أستاذة تربية في جامعة ولاية واشنطن. أما هنا في باينز، كنت تعمل نادلة أربع ليالٍ كل أسبوع في بيرجارتن. باستثناء حالة اندماج قاسية كادت ألا تتم، كانت جنيفر ساكنة مثالية.

## توقف.

لم يكن يريد أن يفكر في العمل، في التفاصيل الخاصة بحياة جيرانه.  
تُرى ما رأيهم فيه من تحت السطح؟  
ارتجف عندما فكر في حياته.

من وقت إلى آخر تضربه هذه اللحظات من اليأس. لا يوجد أمامه مخرج، ولا يمكنه أن يكون رجلاً آخر؛ ليس إذا أراد أن يُبقي أسرته في أمان.

جرى توضيح هذا كثيراً.

كان إيثان يعلم أنه ربما ينبغي له أن يقرأ التقرير الخاص بماكول، لكنه بدلاً من ذلك فتح دُرج الطاولة الجانبية بجواره وأخرج ديوان الشعر.

روبرت فروست.

مجموعة قصيرة من قصائده عن الطبيعة.

إذا كان هيمنجواي قد سحقه هذا الصباح، فإن إيثان يجد السلوى دائماً في فروست.

قرأ لمدة ساعة.

عن ترميم الجدران والغابات المثلجة والطرق التي لا يسلكها أحد.  
أظلمت السماء.

سمع خطوات زوجته على الشرفة الأمامية.

قابلها إيثان عند الباب.

سألها: "كيف كان يومك؟"

بدا أن عيني تيريزا تهمسان: جلست وراء مكتب لمدة ثماني ساعات في وظيفة لا معنى لها، ولم أتحدث إلى مخلوق آخر، لكنها اغتصبت ابتسامة وقالت: "كان يومًا عظيمًا، وكيف كان يومك؟"

قابلتُ الرجل المسؤول عن هذا السجن الذي نسميه وطنًا، واستلمت ملفًا سرّيًا عن واحد من جيراننا.

- كان يومي عظيمًا أيضًا.

مررت يدها على صدره، وقالت: "أنا سعيدة لأنك لم تغير ثيابك بعد. أحبك في زيك الرسمي."

عانق إيثان زوجته.

تنشّق رائحتها.

انزلقت أصابعه متخللة شعرها الأشقر الطويل.

قالت: "كنت أفكر.."

- ماذا؟

- لن يعود بن إلى البيت من عند ماثيو قبل ساعة أخرى.

- أهذا صحيح؟

تناولت يد إيثان وجذبه نحو الدرج.

سألها: "أأنت واثقة؟" لم يمارسا الحب إلا مرتين خلال الأسبوعين اللذين مرًا منذ التأم شملهما من جديد، وكلتا المرتين في مقعد إيثان المفضّل في غرفة المكتب، تيريزا جالسة في حجره، ويداه على فخذيها - في وضع اشتباك غير مريح.

قالت: "أريدك.."

- هيا نذهب إلى غرفة المكتب.

- لا، فراشنا.

تبعها صاعدًا الدرجات وعبر ردهة الطابق الثاني، والخشب الصلب  
يئنُّ تحت وقع خطواتهما.

دخلا غرفة النوم متعثرين وهما يتبادلان القبلات، وأيديهما على  
كل جزء منهما، وإيثان يحاول أن يوطد وجوده في اللحظة، لكنه لم  
يستطع أن يُبعد الكاميرات عن تفكيره.

واحدة خلف منظم الحرارة على الجدار بجوار باب الحمام.

واحدة في تركيبة الإضاءة في السقف تطل مباشرة على فراشهما.

كان مترددًا، ممزقًا، وأحسَّت تيريزا بهذا.

سألته: "ما الخطب يا حبيبي؟"

- لا شيء.

كانا واقفين إلى جوار السرير.

من النافذة، دخلت أضواء باينز: أعمدة النور، مصابيح الشرفات  
الأمامية، مصابيح البيوت.

تعالى صوت صرصور ليلي، تسلَّل صريره عبر النافذة المفتوحة.

صوت مثالي لليلة مسالمة.

غير أنه لم يكن حقيقيًا، لم تُعد هناك صراير ليلية. ألقى الصوت  
من سماعة صغيرة مخفية في شجيرة. تساءل بداخله إن كانت زوجته  
تعرف هذا، تساءل كم مقدار الحقيقة الذي ترتاب فيه.

"أتريدني؟" سألته تيريزا بتلك النبرة التي لا تعرف الهراء، والتي  
سقط في حبها أول مرة التقيا فيها.

- بالطبع أريدك.



- إذن افعل شيئاً حياً ذلك.

أخذ وقته وراحته في فك أزرار ظهر فستانها الصيفي الأبيض. انعدام مؤسف للممارسة، لكن كان هناك شيء مريح على نحوٍ يثير التعجب بسبب الصدأ. ليس مثل أداء طلاب المدارس الثانوية، لكنه قريب منه. افتقار إلى التحكم جعله ينتصب حتى قبل أن يدخل الغرفة.

حاول أن يجذب الأغطية فوقهما لكنها لم تقبل. أخبرته أنها تريد أن تشعر بالنسيم البارد القادم عبر النافذة فوق جلدها. كان سريرًا جيدًا عتيق الطراز، ومثله مثل بقية البيت، يُصدر صريرًا كالجحيم.

تعالى صرير نوابض السرير، وبينما كانت تيريذا تئن حاول إيثان أن يُبعد عن ذهنه معرفته بوجود الكاميرا أعلاهما. كان ييلتشر قد طمأنه بأن مراقبة الأزواج في أثناء لحظاتهم الخاصة ممنوعة بحزم، أنهم يغلقون بث الكاميرات بمجرد أن تنخلع الثياب.

لكن إيثان تساءل إن كان هذا حقيقياً.

أم ترى كان تقني مراقبة ما يتفرج عليه وهو يضاجع زوجته. يتفحص مؤخرة إيثان العارية. انحناءة ساق تيريذا وهي تلتفهما حول جسده.

في مرّتيهما الأولى معاً، بلغ إيثان نشوته قبل تيريذا. أما الآن فقد قطعت متعته فكرة وجود الكاميرا فوقهما، استخدم الغضب كي يصل إلى ذروته بعدها.

بلغت تيريذا نشوتها بعنفٍ ذكّره بقدر الروعة الذي كان يمكنهما بلوغه معاً.

سمح لنفسه بالانتهاء من الأمر، وبعد ذلك بقيا ساكنين منقطعي الأنفاس، وكان في مقدوره الشعور بقلبها يدق في ضلوعه. هواء المساء بارد تقريبًا حيثما لمس جلده المتعرق. لعلها كانت لتغدو لحظة مثالية لكن معرفة كل شيء أقحمت نفسها في الأمر. هل سيصل ذات يوم إلى النقطة التي يمكنه فيها أن يتغافل عن ذلك؟ أن يتقبَّل فقط هذه الفترات غير المتوقعة من السلام من أجل جمالها السطحي وينسى الرعب الكامن؟ أهذه هي الطريقة التي تمكِّن بها الناس من العيش هنا لسنوات دون أن يفقدوا عقولهم؟

قال: "إذن ما زال في إمكاننا أن نفعل ذلك..". وضحكا.

قالت: "في المرة القادمة سنتخلى عن كل القيود."

- يعجبني وقع هذا.

انقلب على الفراش وتكوَّرت تيريزا في حضنه.

تأكد إيثنان من انغلاق عينيها.

ثم ابتسم نحو السقف مباشرة ورفع إصبعه الوسطى.

\*\*\*

أعدَّ إيثنان وتيريزا العشاء معًا، وهما يُقطعان الخضراوات جنبًا إلى جنبٍ على خشبة التقطيع.

كان وقت الحصاد في الحدائق المجتمعية، نهاية الموسم، وكانت ثلاجة آل بيرك مشحونة بنصبيهم من الخضراوات والفواكه الطازجة. كانت تلك بلا شك شهور الأكل الرئيسية من العام في وايوارد باينز. ما إن يحرق الصقيع الأوراق ويبدأ خط الثلج الدائم<sup>(1)</sup> انحداره السريع

---

(1) خط الثلج الدائم هو مستوى الارتفاع الذي يكون ما فوقه مكسوفًا بالثلوج بشكل متواصل، وما دون هذا المستوى من الارتفاع يذوب الثلج عنه في فصل الصيف. (المترجم)

إلى أرضية الوادي، حتى يتخذ الغذاء منحني كارثيًا نحو المجدد والمجفف. من أكتوبر إلى مارس يمكنهم التطلع إلى ستة شهور من الخراء المجفف سابق التعبئة. كانت تيريزا قد حذرت إيثان بالفعل من أن السير داخل متجر البقالة بالبلدة في ديسمبر أشبه بالتسوق من أجل رحلة فضائية - لا شيء إلا رف بعد رف من العبوات ذات اللون الرمادي عليها بطاقات تحمل أبشع التحديات: كستارد محلي بالكراميل، ساندويتش جبن مشوي، سمك فيليه، ذيل سلطعون. كانت قد هددته بالفعل بتقديم شريحة لحم وسلطعون مجمدين-مجففين له في عشائهم ليلة الكريسماس.

كانا قد انتهيا للتو من إعداد السلطة القوية -بصل وفجل وتوت العليق فوق طبقة أساسية من السبانخ والخس الأحمر- عندما اندفع بن عبر الباب الأمامي بوجنتين حمراوين، يفوح بعرق الصبا وروائح الخارج.

ما زال عالقا في تلك الرفة الرقيقة من الوقت بين الصبا والرجولة. توجهت تيريزا نحو ابنها، وسألته عن يومه.

أدار إيثان الراديو الفيليبس العتيق - راديو بأنبوب من خمسينيات القرن العشرين في حالة جيدة جدًا. كان بيلتشر قد وضع واحدًا منه لسبب غير مفهوم في كل بيت مأهول بالسكان.

كان ضبط الموجات سهلاً مع وجود محطة واحدة كي يختارها المرء. أغلب الوقت كانت تصدر وشيشًا، لكن كان هناك واحدًا أو اثنان من البرامج الحوارية، ودائمًا -بين السابعة والثامنة- برنامج: "العشاء مع هيكتر".

كان هيكتر جاثر عازف بيانو أوركسترالي متوسط الشهرة في حياته السابقة.

في باينز، كان يعطي دروسًا لأي شخص يرغب في التعلم، وكل ليلة من الأسبوع يعزف موسيقى للبلدة.

رفع إيثان الصوت، وسمع صوت هيكتِر وهو ينضم إلى أسرته:

”مساء الخير وايوارد باينز. معكم هيكتِر جايتِر“.

على رأس المائدة، غرف إيثان لهما من السلاطة.

”أجلس إلى البيانو الرائع الخاص بي بصناعة ستاينواي<sup>(1)</sup>، بوسطن جراند“.

أولًا لزوجته.

”الليلة سأعزف (تنويعات جولدبرج)، وهو عمل ألفه في الأصل يوهان سيباستيان باخ لآلة الهاربسكورد“.

”بناء هذه المقطوعة يتكوّن من آريا يتبعها ثلاثون تنويعًا. استمتعوا من فضلكم“.

عندما غرف إيثان لنفسه وجلس، سمع صرير دكة البيانو ينبعث مقطّطًا من السماعه.

\*\*\*

بعد العشاء، أخذ آل بيرك سلطانيات من الآيس كريم المصنوع في البيت وخرجوا إلى الشرفة الأمامية.

جلسوا في مقاعد هزازة.

---

(1) صانع أمريكي-ألماني لآلات البيانو يدويًا. تأسست الشركة في 1853م في مدينة نيويورك، عن طريق المهاجر الألماني هاينريتش إنجلهارد ستاينويج. أدى نمو الشركة إلى افتتاح مصنع وقربة للعمال أصبحت تُعرّف الآن بأستوريا، كوينز، ثم تبعها مصنع ثانٍ في هامبورج بألمانيا في 1880م. (المترجم)

يأكلون ويستمعون.

عبر النوافذ المفتوحة في المنازل المجاورة، كان بمقدور إيثان أن  
يسمع موسيقى هيكتر.  
ملأت الوادي.

نغمات دقيقة ومتألقة تصاعدت بين الأسوار الجبلية التي أصبحت  
متوردة بالوهج الأبي.<sup>(1)</sup>

سهروا حتى وقت متأخر من الليل.

ألف عام دون تلوث جوي أو ضوئي أفسح المجال لسماوات حالكة  
السواد.

لم تعد النجوم تظهر فقط.

صارت تتفجر.

ماسات على قطيفة سوداء.

لا يمكنك أن تحوّل عينيك عنها.

مدّ إيثان يده وأمسك بيد تيريزا.

باخ والمجرات.

ازداد الليل برودةً.

عندما انتهى هيكتر، صفق الناس داخل بيوتهم.

في جهة ما من الشارع صاح رجل: "برافو! برافو!"

تطلّع إيثان نحو تيريزا.

كانت عيناها مغرورقتين بالدموع.

---

(1) الألق أو الوهج أو الشفق الأبي هو لون أبيض وردي محمر يظهر لفترة قصيرة فوق قمم الجبال المغطاة بالثلوج بعد غروب الشمس مباشرة، وقبل شروقها أيضًا. (المترجم)

قال: "هل أنت بخير؟"

أومات برأسها، وهي تمسح وجهها: "أنا فقط سعيدة جدًا بوجودك في البيت."

\*\*\*

انتهى إيثنان من غسيل الأطباق، وتوجّه إلى الطابق العلوي. كانت غرفة بن في نهاية الردهة وكان الباب مغلقًا - مجرد خط حاد من الضوء ظاهر أسفله.

طرق إيثنان الباب.

- ادخل.

كان بن جالسًا في فراشه يرسم - فحم على ورق خشن مما يستخدمه الجزارون للف اللحم.

جلس إيثنان بهدوء على اللحاف السميك وسأله: "هل يمكنني أن ألقى نظرة؟"

رفع بن ذراعيه.

كان الرسم يمثل منظور الولد الحالي من الفراش: الحائط، المكتب، إطار النافذة، نقاط الضوء في الخارج الظاهرة عبر الزجاج.

قال إيثنان: "هذا مدهش.."

- ليست كما أريدها بالضبط. الليل عبر النافذة لا يبدو حقيقةً مثل الليل.

- أنا واثق أنها ستصبح كما تريد. صحيح، لقد استعرتُ كتابًا من المقهى اليوم.

انتبه بن: "وما هو؟"

- عنوانه (الهوييت).
- لم أسمع به قط.
- كان أحد كتبي المفضلة عندما كنت في مثل سنك. ظننت أنه ربما يمكنني أن أقرأه لك.
- أعرف كيف أقرأ يا بابا.
- أعرف، لكنني لم أقرأ هذا منذ سنين. قد يكون من الممتع أن نقرأه معًا.
- أهو مخيف؟
- به بعض الأجزاء المخيفة. اذهب واغسل أسنانك وعُد بسرعة.

\*\*\*

جلس إيثان مستندًا بظهره إلى لوح السرير يقرأ على ضوء مصباح طاولة بجوار الفراش.

نام بن قبل نهاية الفصل الأول، يحلم -كما أمل إيثان- بأقبيّة عميقة ومغارات قديمة. بشيء غير وايبورد باينز.

وضع إيثان الكتاب الورقي الغلاف جانبًا وأطفأ المصباح.

جذب البطانية لتغطي كتفي ابنه.

ووضع يده على ظهر بن.

لا شيء في العالم أفضل من الشعور بصعود وهبوط أنفاس ابنه النائم.

لم يتعافَ إيثان بعد من فكرة نشأة ابنه في وايبورد باينز. تشكك في كونها شيئًا لم يكن ليقبله أبدًا. كانت هناك أشياء صغيرة حاول أن يخبر نفسه بأنها أفضل. الليلة على سبيل المثال. لو نشأ بن في

العالم القديم، ربما كان إيثان سيدخل غرفة نوم ابنه ليجدّه ملتصقًا بجهاز آيفون.

يرسل رسائل إلى أصدقائه.

يتفرج على التلفزيون.

يلعب ألعاب فيديو.

تويتر وفيسبوك.

لم يفتقد إيثان هذه الأشياء. لم يتمنَّ أن يكبر ابنه في عالم يحدق فيه الناس إلى الشاشات طوال اليوم. حيث انحدر التواصل إلى نقر حروف ضئيلة وعاشت البشرية بشكلٍ عام من أجل دفقة الإندورفين<sup>(1)</sup> التي تأتي مع رنة استقبال رسالة أو إيميل جديد.

بدلاً من ذلك، وجد ابنه الذي أصبح مراهقًا تقريبًا يقضي وقته قبل النوم في الرسم.

من الصعب أن تشعر بإحساس سيئ حيال ذلك.

لكن السنوات القادمة كانت هي ما يُثقل قلب إيثان بضغط الاكتئاب الأسود.

ماذا يجب أن يتطلع إليه بن؟

لن يكون هناك تعليم عالٍ، ولا مسار مهني حقيقي.

مضت تلك الأيام التي كان يقال فيها:

يمكنك أن تكون أي شيء تريد أن تكونه.

أي شيء يستقر عقلك عليه.

---

(1) هرمون موجود في الجهاز العصبي للبشر والحيوانات. ويتمثل عمل الإندورفين في تخفيف الشعور بالألم، وخفض الإجهاد، وتعزيز الجهاز المناعي، كما أن من تأثيرات إفراز الإندورفين تحسُّن المزاج لدى الشخص والشعور بالسرور والسعادة. (المترجم)



فقط اتبع قلبك وأحلامك.

تلك العبارات المبتذلة في عصرها الذهبي لنوعٍ منقرض.

عندما يفشل الناس في الاقتران معتمدين على أنفسهم، يجري غالبًا اقتراح الزيجات في باينز. وحتى عندما لا يحدث هذا، فإن مجال اختيار الشركاء المحتملين ليس شديد الاتساع.

لن يرى بن باريس أبدًا.

أو متنزه ييلوستون - أول متنزه عام في العالم.

قد لا يقع أبدًا في الحب.

لن يمر أبدًا بخبرة الذهاب إلى الكلية.

أو قضاء شهر عسل.

أو القيادة عبر الريف بلا توقف، من وحي اللحظة، فقط لأنه في الثانية والعشرين من عمره ويستطيع أن يفعل ذلك.

كره إيثن المراقبة والمنحرفين وثقافة الوهم في وايوارد باينز.

لكن ما أبقاه ساهراً مشغول البال إلى وقت متأخر من الليل هي أفكاره عن ابنه. لقد عاش بن في وايوارد باينز خمس سنوات، تقريبًا نفس الفترة التي عاشها في العالم من قبل. وبينما كان إيثن يظن أن سكان باينز الكبار يجاهدون كل يوم مع ذكرى حيواتهم الماضية، كان بن إلى حدٍ كبير نتاج هذه البلدة، هذا الزمن الجديد الغريب. بل إن إيثن لم يكن مطلعًا على الأشياء التي يتعلمها ابنه في المدرسة. أبقى بيلتشر اثنين من رجاله بملابس مدنية في مبنى وأرض المدرسة طوال الوقت، ولم يكن مسموحًا للأباء بالدخول.

\*\*\*

الثالثة والنصف صباحًا.

رقد إيثان متيقظًا في سريريه، وزوجته بين ذراعيه.

بعيدًا عن النوم بأميال.

كان بمقدوره أن يحس بأهداب تيريزا تحتك بصدرة مع كل رمشة.

فيمَ تفكرين؟

طارد هذا السؤال زواجهما من قبل، لكنه اكتسب في باينز ثقلًا جديدًا تمامًا. خلال الأربعة عشر يومًا التي كانا فيها معًا، لم تخترق تيريزا أبدًا ذلك الوهم السطحي. بالطبع رجبت بعودة إيثان إلى البيت. كان هناك لقاء مليء بالدموع، لكن خمس سنوات من الحياة في وايوارد باينز جعلتها محترفة باردة كالحجر. لا حديث عن أين كان إيثان أو عن اندماجه المضطرب. لا ذكر أو مناقشة للوقائع الغريبة المحيطة بأن يصبح المأمور. أو ما قد يعرفه الآن. أحيانًا كان يظن أنه يلمح بريق شيء ما في عيني تيريزا - اعتراف بوضعهم، رغبة مكبوتة في التواصل على مستوى ممنوع، لكن مثل أي ممثل ماهر، لم تخرج قط عن الشخصية.

على نحو متزايد صار يدرك أن العيش في وايوارد باينز أشبه بالعيش في مسرحية معقدة لا ينزل ستارها أبدًا.

كل واحد له دور.

كان يمكن لشكسبير أن يكتب عن باينز: ما الدنيا إلا مسرح كبير، وما الرجال والنساء إلا مجرد ممثلين. لديهم مناطق خروجهم ودخولهم، وكل واحد في وقته يلعب أدوارًا كثيرة.

لقد لعب إيثان بالفعل أدوارًا كثيرة عن نفسه.

في الطابق الأرضي، كان الهاتف يرن.

انتفضت تيريزا جالسة كما لو أنها على زنبرك، لا أثر لتشوش البصر، في كامل انتباهها على الفور، ووجهها مشدود من الخوف.

تساءلت بصوت مليء بالرعب: "أهو هاتف الجميع؟"

نزل إيثنان من الفراش.

- لا يا حبيبتى، عودي إلى النوم؛ إنه هاتفنا. اتصال من أجلى فقط.

\*\*\*

رفع إيثنان السماعة في الرنة السادسة، واقفًا في سرواله الداخلي في غرفة المعيشة، وسماعة الهاتف ذي القرص الدوار محشورة بين كتفه وأذنه.

- للحظة، تساءلتُ إن كنتَ سترد أم لا.

صوت بيلتشر. لم يتصل بإيثنان في البيت من قبل.

قال إيثنان: "أتعرف كم الساعة الآن؟"

- آسف بشدة على إيقاظك، هل وאתك فرصة لقراءة تقرير المراقبة الخاص ببيتر ماكول؟

- نعم.

قالها إيثنان كاذبًا.

- لكنك لم تذهب وتحدث معه كما اقترحتُ، أليس كذلك؟

- كنت أخطط لأن يكون هذا أول ما أفعله في الغد.

- لا تزعج نفسك. لقد قرر أن يودعنا الليلة.

- أهو في الخارج؟
- نعم.
- إذن ربما خرج للتمشية.
- منذ ثلاثين ثانية، وصلت إشارته إلى منحى الطريق عند نهاية البلدة وظلت مستمرة في التوجه جنوبًا.
- ماذا تريدني أن أفعل؟
- كانت هناك لحظة من الصمت على الطرف الآخر من الخط. بطريقة ما استطاع إيثان أن يحس بالإحباط يأتي من الطرف الآخر مثل مصباح حراري.
- قال بيلتشر بهدوء: "أوقفه، كلمه بالعقل."
- لكني لا أعرف بالضبط ماذا تريدني أن أقول.
- أدرك أن هذا هو هاربك الأول. لا تقلق حيال ما يجب أن تقول. ثق فقط في بديهتك. سأكون منصتًا.
- منصتًا؟
- وانقطع الاتصال.

\*\*\*

صعد إلى الطابق العلوي وارتدى ملابسه في الظلام. كانت تيريزا ما زالت مستيقظة، جالسة في السرير تراقبه وهو يمرر حزامه في حلقات البنطال.

تساءلت: "أكل شيء بخير يا حبيبي؟"

قال إيثان: "لا بأس، أمور في العمل."

نعم، يجب عليّ فقط أن أمتنع أحد جيراننا من محاولة الرحيل  
عن قطعنا الصغيرة من الفردوس في منتصف الليل. ليست بالمشكلة  
الكبيرة. لا شيء غريب هنا.

مضى إيثان وقبّل زوجته على جبينها.

- سأعود في أسرع وقت ممكن. آمل أن يكون هذا قبل الصباح.

لم تقل شيئاً، فقط قبضت على يده واعتصرتها بقوة كافية لتحريك  
العظام.

\*\*\*

الليل في وايوارد باينز.

أرض السكون العجيب.

أطفئت أصوات صراير الليل.

هدوء شديد حتى صار بمقدور إيثان أن يسمع طنين أعمدة النور.

ودقّ محركه البيولوجي.

سار حتى الرصيف وصعد إلى السيارة الفورد برونكو السوداء

التي تحمل على سقفها شريط ضوء وعلى أبوابها شعار (و.ب) ذاته  
المنقوش على نجمة المأمور.

قرقر المحرك.

نقل إيثان عصا السرعة.

حاول أن يخرج إلى الشارع برفق، لكن محرك الفورد سعة الستة

لترات ضجّ من الملل وعلا صوته كالجحيم.

لا شك أن الضجة أيقظت الناس.

كانت السيارات نادرًا ما تُقاد في باينز - يمكنك أن تعبر البلدة على قدميك في خمس عشرة دقيقة.

لم تكن السيارات تقاد قط في باينز ليلاً.

كان الغرض منها الزينة، وأي شخص ألقى هدير سيارة إيثان نومه سيعرف أن شيئًا ما خرج عن مساره.

انعطف إلى الشارع الرئيسي وتوجه جنوبًا.

بعد المستشفى، أضاء الأنوار العالية وضغط بدال البنزين، مسرعًا إلى داخل ممر ضيق من أشجار الصنوبر الشاهقة.

تدفق هواء الغابة البارد من النافذة المفتوحة.

قاد السيارة في منتصف الطريق، وإطاراتها تسير على جانبي الخط الأصفر المزدوج.

تخيل أنه لا يوجد منعطف إلى الأمام، وأن الطريق سرعان ما سيبدأ في الصعود.

خارج هذا الوادي، بعيدًا عن هذه البلدة.

كان ليمد يده ويدير الراديو، ويبحث في موجات الأثير حتى يجد محطة تبث الأغاني القديمة. ستكون رحلة لمدة ثلاث ساعات عائدًا إلى بويسي. لا شيء مثل القيادة على طريق مفتوح في الليل، والنوافذ مفتوحة وموسيقى جيدة تتردد في السيارة. كان هذا لجزء من الثانية فقط، لكنه قبض على الشعور بالعيش في عالم مليء بأخرين مثله. منظر ليلي مضاء بوهج المدن الكبيرة. الضجيج البعيد لحركة مرور بين الولايات وطائرات تهدر في طبقات الجو العليا.

الشعور بأنك لست وحيدًا إلى هذا الحد اللعين.

البقايا الأخيرة من هذا النوع، من البشرية.

اقتربت إبرة مؤشر السرعة من السبعين، والمحرك يصرخ.

كان قد اجتاز بالفعل لافتة: أمامك منحنى حاد.

داس إيثنان الفرامل واندفع جذعه إلى الأمام عندما انزلت الفوردي قبل أن تتوقف في ذروة المنحنى. قاد السيارة إلى جانب الطريق، وأطفأ المحرك، ونزل.

احتك نعلا حذائه بالأسفلت.

للحظة، تردد أمام الباب المفتوح، محدقًا في البندقية الوينشستر موديل 97 المعلقة في مشجب السلاح أعلى المقاعد. لم يرد أن يأخذها لأنها قد تبعث رسالة ما إلى ماكول. ولم يُرد أن يتركها، لأن الغابة من حوله مظلمة ومخيفة والعالم الذي يحدها عدائي بما يتجاوز أي حسابات. لم يحدث أي اختراق للسور في حدود علمه، لكن هناك مرة أولى لكل شيء، والوجود بين هذه الأشجار في منتصف الليل دون سلاح مجرد استهزاء بقانون ميرفي.<sup>(1)</sup>

انحنى إلى الداخل من جديد، وفتح لوحة التحكم الوسطى وحشا جيوبه بالقذائف. ثم مدَّ ذراعه ورفع البندقية ذات الاثني عشر خرطوشًا من المشجب. كانت ذات أنبوب متحرك وكتف من خشب الجوز وماسورة قصيرة بمقدار خمس عشرة بوصة.

ألجمها إيثنان خمس قذائف، ووضع واحدة في الخزانة، وضبط الزناد على نصف ميل - أقرب شيء للأمان بالنسبة إلى هذا السلاح الجميل العتيق.

وضع البندقية بعرض كتفيه وعلق ذراعيه على الماسورة والكتف، وتقدم إيثنان من حافة الطريق إلى داخل الغابة.

---

(1) إشارة إلى قول ماثور لمهندس الفضاء الأمريكي إدوارد ميرفي (1918-1990) ينص على: أي شيء في إمكانه أن يسير في الاتجاه الخاطئ، سوف يسير في الاتجاه الخاطئ. (المترجم)

الجو هنا أبرد مما هو في البلدة.

ارتفعت سحابة من الضباب بسمك ياردة أعلى أرضية الغابة.

وكان على القمر أن يجلو جدار الصخور كذلك حتى يظهر له نور.

أسفل الأشجار كان الظلام يتطلب كشافاً يدوياً.

أضاء إيثنان الكشاف، ودخل إلى أعماق الغابة. حاول أن يحافظ على أكثر مسار مستقيم ممكن حتى يتمكن من العودة إلى الطريق الرئيسي.

سمع إيثنان الطنين الكهربائي قبل أن يراه. طنين يشق الضباب كأنه نغمة قرار مستمرة.

لاح جانب السور من بعيد.

متراس يشق الغابة.

عندما اقترب، ظهرت التفاصيل.

أبراج فولاذية بارتفاع خمسة وعشرين قدماً على مسافة خمسة وسبعين قدماً من أحدها الآخر. امتدت بينها حزم من الموصلات، تفصلها فواصل كل عشرة أقدام. الكابلات سُمكها بوصة، مرصعة بأشواك وملفوفة بسلك شائك.

كان هناك جدل مستمر داخل الدائرة القريبة من بيلتشر حول إن كان السور سيبقى ذا نفع حال انقطاع الكهرباء، إن كان الارتفاع والسلك الشائك وحدهما يمكنهما أن يبقي المنحرفين بعيداً. تصور إيثنان أنه لا شيء يمكنه أن يوقف عدة آلاف من المنحرفين المتضورين جوعاً عن اختراقه لو أرادوا - بالكهرباء أو من دونها.

توقف إيثنان على مبعدة خمسة أقدام من السلك.

كسر فرعين متدليين وميز البقعة بعلامة X.



ثم توجه شرقًا، سائرًا بمحاذاة السور.

بعد رُبع ميل، توقف لينصت.

كان هناك الطنين المستمر.

وأنفاسه.

وصوت شيء يتحرك عبر الغابة على الجانب الآخر من السور.

وقع أقدام على نصال الصنوبر.

انكسار غصن من وقت لآخر.

ظبي؟

منحرف؟

- المأمور؟

دفع الصوت عمود إيثان الفقري إلى الانتصاب كأن تيارًا كهربائيًا سرى فيه وجعله يسحب البندقية بسرعة من فوق كتفيه ويوجه الماسورة نحو بيتر ماکول.

وقف الرجل على مبعدة عشرة أقدام إلى جوار جذع شجرة صنوبر عملاقة، يرتدي ثيابًا داكنة وقبعة بيسبول سوداء. علّق على كتفه حقيبة ظهر صغيرة. ربط إلى الحقيبة جرتي حليب بلاستيكيتين ممتلئتين بالماء، بقبق الماء فيهما عندما خطا إلى الأمام.

لم يكن يحمل سلاحًا يمكن لإيثان رؤيته إلا عصا سير أكثر انحناء من عمود فقري لرجل عجوز.

- يا إلهي! بيتر.. ماذا تفعل هنا؟

ابتسم الرجل لكن إيثان رأى الخوف في ابتسامته: "لو قلتُ إني خرجت فقط من أجل تمشية متأخرة، هل ستصدقني؟"

أخضض إيثان بندقيته.

- لا ينبغي لك أن تكون هنا.

- سمعت شائعات بوجود سور في هذه الغابة؛ أردت دائماً أن أراه.

- حسناً، ها هو ذا، لقد رأيته الآن، هيا نعد إلى البلدة.

قال بيتر: "كتب الشاعر روبرت فروست: قبل أن أبني سوراً يجب أن أعرف ما الذي أسجنه وما الذي أصده."

أراد إيثان أن يقول له إنه يعرف ذلك، أنه كان يقرأ فروست، وتلك القصيدة ذاتها في الواقع، منذ عدة ساعات فقط.

قال بيتر وهو يشير إلى السور: "إذن يا رجل القانون، هل أنت تسجننا؟ أم تصد شيئاً عنا؟"

- حان وقت العودة إلى البيت يا بيتر.

- أهو الآن؟

- نعم.

- وهل تقصد بهذا منزلي في وايوارد باينز أم بيتي الحقيقي في ميزولا؟

مال إيثان إلى الأمام وقال: "أنت هنا منذ ثمانية أعوام يا بيتر، أنت عضو مهم في هذا المجتمع، تقدّم خدمة جوهرية."

- وايوارد لايت؟ بربك! هذه الجريدة نكتة.

- أسرتك هنا.

- أين هنا؟ ماذا يعني هذا حتى؟ أعرف أن هناك أشخاصاً وجدوا السعادة والسلام في هذا الوادي. حاولت أن أقنع نفسي

أني مثلهم، لكنها كانت كذبة. كان ينبغي لي أن أفعل هذا منذ سنين. لقد بعثُ نفسي.

- أفهم أن هذا صعب.

- صحيح؟ لأنه في رأيي كل ما قضيته أنت في واوارد باينز مجرد خمس دقائق. وقبل أن يجعلوك مأمورًا لم تستطع أن تخرج من هنا بسرعة كافية، إذن ماذا تغير؟ هل نجحت في التأقلم فعليًا؟

كزَّ إيثنان على أسنانه.

- لقد عبرتَ السور، أليس كذلك؟ ماذا رأيت؟ ما الذي حوَّلَكَ إلى مؤمن حقيقي؟ أسمع أن هناك عفاريت في الجانب الآخر، لكن هذه مجرد حكاية خرافية، صحيح؟

وضع إيثنان مؤخرة البندقية على الأرض، وأسند الماسورة إلى شجرة.

قال ماکول: "قل لي ماذا يوجد هناك.."

سأله إيثنان: "هل تحب أسرتك؟"

- أحتاج إلى أن أعرف، أنت من بين كل الناس يجب...

- هل تحب أسرتك؟

بدا أن السؤال لوحظ أخيرًا.

- كنت، عندما كنا أشخاصًا حقيقيين، عندما كان في مقدورنا الحديث عن الأشياء الموجودة في قلوبنا. أتعرف أن هذه أول محادثة حقيقية أجريها منذ سنين؟

قال إيثنان: "بيتر، هذه فرصتك الأخيرة، هل ستعود معي؟"

- فرصتي الأخيرة، هه؟

- نعم.
- وإلا ماذا؟ ستبدأ كل الهواتف في الرنين؟ هل ستخفيني بنفسك؟
- لا شيء لك في الخارج.
- على الأقل هناك إجابات.
- بم تساوي معرفتك إياها؟ حياتك؟ حريتك؟
- ضحك ماکول بمرارة وقال: "أتسمي هذه -وأشار وراءه في اتجاه البلدة- حرية؟"
- أسميها خيارك الوحيد يا بيتر.
- حدّق الرجل إلى الأرض لحظة ثم هزّ رأسه.
- أنت على خطأ.
- وكيف ذلك؟
- قل لزوجتي وابنتي إني أحبهما.
- كيف أنا على خطأ يا بيتر؟
- لم يكن هناك قط خيار وحيد.
- جمد وجهه.
- بداية عزم مفاجئ.
- اندفع متجاوزاً إيثان كأنه انطلق من نقطة بدء سباق، وكانت سرعته ما زالت تزداد عندما اصطدم بالسور.
- شرارات.
- أقواس تطعن ماکول من السلك كأنها خناجر زرقاء.

ألقت قوة الجهد الكهربائي بيتر عشرة أقدام إلى الوراء من السور ليرتطم بشجرة.

- بيتر!

ركع إيثنان إلى جوار الرجل، لكن بيتر كان قد رحل.

جسد دمرته الحروق الكهربائية.

متغضن ومشفوط.

بلا حراك.

ملتهب.

يتصاعد منه الدخان.

امتلاً الهواء برائحة الشعر والجلد المتفحم، وامتلات ثيابه بثقوب دائرية بها فتحات يتصاعد منها الدخان وحوافها مشتعلة.

- هذا أفضل شيء بالفعل.

التفت إيثنان.

وقفت بام مستندة إلى الشجرة الناهضة خلفه، مبتسمة في الظلام.

ملابسها سوداء كالظلال تحت أشجار الصنوبر، لا يظهر منها غير عينيها وأسنانها.

ودائرة وجهها الجميل.

كلبة بيلتشر البيتبول الجميلة.

دفعت الشجرة بقدمها وتحركت نحو إيثنان بطريقتها المعتادة التي تشبه مقاتلاً بالفطرة. متسللة. رشيقة. أشبه بالقطط. تحكم كامل في الجسد واقتصاد في الحركة. كان يكره الاعتراف بهذا، لكنها تخيفه.

في عمله مع الخدمة السرية في حياته السابقة لم يقابل إلا ثلاثة مختلين عقلياً، شعر بيقين أن بام واحدة من هؤلاء.

جلست القرفصاء إلى جواره.

- الأمر مثير للغثيان، لكنه أيضاً يُشعرنى بالجوع والرغبة في إقامة حفل شواء، أهذا غريب؟ لا تقلق. لا يجب عليك تنظيف هذا؛ سيرسلون فريقيًا.

- لم أشعر بالقلق تجاه هذا على الإطلاق.

- أوه؟

- كنت أفكر في أسرة هذا الرجل المسكين.

- حسنًا، على الأقل لم يكن عليهم أن يشاهدوه يُضرب حتى الموت في الشارع. ودعنا نواجه الحقيقة: كان الأمر سائرًا إلى هذا.

- ظننت أني سأستطيع إقناعه.

- لو كان وافدًا جديدًا.. ربما. لكن بيتر اتخذ قراره فجأة. كان مواطنًا مثاليًا طوال ثمانية أعوام. لم يأتِ أي تقرير مراقبة سلبي عنه إلا هذا الأسبوع. ثم فجأة يخرج في منتصف الليل ومعه مؤن؟ لقد كان يحمل هذا بداخله منذ فترة.

ثم نظرت بام إلى إيثان وقالت: "سمعتُ ما قلته له. لم يكن هناك أي شيء آخر يمكنك أن تفعله. لقد عقد عزمه واتخذ قراره."

- كان يمكنني أن أتركه يمضي. كان يمكنني أن أقدم له الإجابات التي أرادها.

تكلفت بام الابتسام: "لكنك أذكي من ذلك يا إيثان. كما أثبتت للتو."

- هل تعتقدين أن لدينا الحق في إبقاء الناس في هذه البلدة ضد إرادتهم؟
- لم تعد هناك حقوق، ولا قوانين، فقط القوة والخوف.
- ألا تعتقدين أن الحقوق توجد بالطبيعة؟
- ابتسمت وقالت: "ألم أقل هذا للتو؟"
- نهضت بام وانطلقت إلى داخل الغابة.
- ناداها إيثنان: "من سيتحدث إلى أسرته؟"
- ليست مشكلتك، سيتعامل بيلتشر مع الأمر.
- وبم سيخبرهم؟
- توقفت بام، والتفتت.
- كانت على مبعدة عشرين قدمًا ولا تكاد تَبين وسط الأشجار.
- أنا أظن أي هراء سيشعر بالرغبة في إخبارهم به. أهنالك شيء آخر؟
- ألقى إيثنان نظرة إلى البندقية المستندة إلى الشجرة.
- فكرة مجنونة.
- عندما عاد بنظره إلى بام، كانت قد اختفت.

\*\*\*

ظل إيثنان مع بيتر وقتًا طويلًا، إلى أن خطر بباله أنه لا يريد أن يكون هنا عندما يأتي رجال بيلتشر في النهاية من أجل الجثة. جاهد ليقف على قدميه.

بدا من الطيب السير بعيدًا عن السور، وضجة تياره تتلاشى رويدًا.

سرعان ما كان يتحرك عبر الغابة الصامتة والضباب.

مفكرًا: كان هذا شيئًا شديد الفظاعة وليس لديك من تخبره. لا زوجتك، ولا صديقًا حقيقيًا تتحدث معه. الأشخاص الوحيدون الذين يمكنك أن تشاركهم هذا يشملون مريضًا بجنون العظمة ومختلة نفسيًا. ولن يتغير هذا أبدًا.

بعد نصف ميل، صعد مرتفعًا صغيرًا وتعثرَّ خارجًا إلى الطريق. لم يعد من الطريق الذي انتواه، لكنه رغم ذلك لم يفوت السيارة إلا ببضع مئات من الأقدام. حل عليه الإرهاق. لا فكرة لديه كم كان الوقت، لكنه كان يومًا طويلًا طويلًا، وليلة طويلة طويلة، ولاح فجر يوم جديد.

وصل السيارة، وأفرغ البندقية، وعلقها على المشجب.

متعب للغاية حتى إنه كان من الممكن أن يضع رأسه على لوحة التحكم وينام.

كان نتن الصعق الكهربائي ما زال مستفحلًا، وقد يأخذ أيًا من ي يختفي.

في لحظة ما غدًا، ستسأله تيريزا إن كان كل شيء بخير، وسيبتسم ويقول: "نعم يا حبيبتي. أنا بخير. وكيف حالك؟"

وستجيبه بتلك العينين الحادثين اللتين تبدوان منفصلتين تمامًا عن كلماتها: "في خير حال كذلك."

أدار المحرك.

انبعث الغضب من العدم.

ضغط بدال البنزين حتى كاد يلصقه بالأرضية.

صرخت الإطارات، واحتكت بالأسفلت، واندفع جسده إلى الأمام.



انطلق حول المنحنى وعبر الطريق المستقيم نحو أطراف البلدة.

كانت اللافتة تثير اشمئزازه في كل مرة يراها: أسرة تبتسم ابتسامات مشرقة تكشف عن أسنان بيضاء ويلوح أفرادها كأنهم خارجون من مسلسل كوميديا موقف في الخمسينيات من القرن العشرين.

مرحباً في واوارد باينز

حيث الفردوس هو الوطن

زاد إيثنان من سرعته وهو ينطلق بمحاذاة سياج خشبي من عارضين متوازيين.

عبر نافذة المقعد المجاور، كان بمقدوره رؤية قطيع من الماشية متجمع في المرعى.

صف من الحظائر البيضاء عند حافة الشجر يتوهج في ضوء النجوم. عاد بنظره عبر الزجاج الأمامي.

قفزت السيارة فوق شيء كبير بما يكفي لأن تفقد يدها السيطرة على عجلة القيادة.

تمايلت السيارة نحو حافة الطريق، متوجهة بشكل مباشر نحو السور بسرعة خمسة وستين ميلاً في الساعة.

قبض على عجلة القيادة وأدارها في الاتجاه العكسي، وأحس بالسيارة ترتفع على إطارين. مرّت لحظة مرعبة احتكت فيها العجلات بالأسفلت وغاص جانبه الأيمن في حزام الكتف.

أحسّ بقوة التسارع<sup>(1)</sup> في صدره ووجهه.

---

(1) تأثر جسم من التسارع. نجدها في معاناة رائد الفضاء مثلاً في أثناء تسريع انطلاق الصاروخ أو معاناة الطيار عندما تنحرف به الطائرة بشدة عن الاتجاه المستقيم. كذلك خلال عملية كبح السيارة تجعلنا تحت تأثير القوة جي لفترة وجيزة حتى تتوقف السيارة. (المترجم)

عبر الزجاج الأمامي لمح المجموعات النجمية تدور حول نفسها.

كانت قدمه قد انزلت عن بدال البنزين ولم يعد في استطاعته أن يسمع تسريع المحرك - ثلاث ثوان فقط من الصمت باستثناء الرياح الصارخة فوق الزجاج الأمامي بينما السيارة تنقلب.

عندما التقى السقف أخيراً بالطريق، كان صوت التصادم يصمُّ الآذان.

المعدن ينبعج.

الزجاج يتهشم.

الإطارات تنفجر.

شرارات في موضع انزلاق المعدن على الأسفلت.

وبعد ذلك توقفت السيارة بلا حراك، مستقيمة على عجلاتها الأربع، واثنان منهما ما زالتا منفوختين بالهواء. تعالى هسيس البخار عبر شقوق بطول غطاء المحرك.

شمَّ إيثن رائحة البنزين. والمطاط الشائط. والمُبرِّد. والدم.

كان قد تشبث بعجلة القيادة في قوة شديد إلى درجة أنه استغرق لحظة كي يفتح يديه عنوة.

وكان ما زال مربوطاً بحزام مقعده. تغطى قميصه بزجاج الأمان. مد ذراعه إلى أسفل وفك حزام المقعد، واطمأن إلى أن ذراعيه تعملان دون ألم. حرك ساقيه وبدا أنهما بخير. لم يفتح بابه، لكن الزجاج كان قد تهشم تماماً من النافذة. اعتمد على ركبتيه، وسحب نفسه عبر الفتحة وسقط على الطريق. الآن أحس بالألم. لا شيء يوخزه؛ مجرد وجع متنامٍ ببطء بدا أنه يتدفق من رأسه ويسيل إلى بقية جسده. نجح في الوقوف على قدميه.

تأرجح.

ترنَّح.

انحنى جسده، وظن أنه قد يتقيأ، لكن شعوره بالغثيان مرَّ سريعاً.

نفض إيثان الزجاج عن وجهه، وأحس بلسعة في الجانب الأيسر منه نتيجة جرح عميق سال منه الدم بالفعل على فكه، ومنه إلى رقبته، وتحت قميصه.

عاد بنظره إلى السيارة. كانت واقفة بشكل عمودي عبر الخط الأصفر المزدوج، وقد استُلب الهواء من إطاري الجانب الأيمن، وبدت سيارة الدفع الرباعي منحنية أمامه. ضاع أغلب الزجاج وظهرت خدوش طويلة في الدهان كأن مخالبا وحش مزقته.

ابتعد مترنحاً عن الفوردا، متبغماً البنزين والزيت والسوائل الأخرى كأنها خيط دم في الطريق.

تخطى شريط الضوء الذي انخلع من سقف السيارة.

رقدت مرآة جانبية على جنبها فوق حافة الطريق كأنها عين مقلوعة، وتدلت الأسلاك من إطارها.

خارت الأبصار من بعيد، وقد رفعت رؤوسها، وأدارت وجوهها نحو الحادث الفوضوي.

توقف إيثان بالقرب من اللافتة وحملق في الشيء الراقدا على الطريق، الشيء الذي كاد يقتله.

بدا أشبه بشبح. شاحب. ساكن.

عرج حتى وقف فوقها. لم يتذكر اسمها على الفور، لكنه رأى هذه المرأة في أرجاء البلدة. كانت ذات منصب ما له سلطة في الحقائق

المجتمعية. في منتصف العشرينات من عمرها كما ظن. شعر أسود يصل إلى كتفها. خصلات على جبهتها. كانت الآن عارية وجلدها رائق بارد الزرقة كأنه بحر من الجليد. بدا كأنه يتوهج في الظلام. باستثناء الثقوب. الكثير من الثقوب. ثمة شيء إكلينيكي، وليس عشوائياً يائساً، في شكلها. بدأ يحصي الثقوب لكنه أوقف نفسه. لم يرغب في أن يدور هذا الرقم مجلجلاً في رأسه. بقي وجهها فقط دون أن يُمس. فقدت شفاتها لونها كله، وبدا الشق الأكثر سواداً في مركز صدرها أشبه بقم صغير أسود مفعور في دهشة. ربما كان هذا هو ما قتلها. كان يمكن لعدة جروح أخرى أن تؤدي المهمة بسهولة. لكنها كانت نظيفة من أي دماء. في الواقع، كانت العلامة الوحيدة الأخرى على جلدها هي أثر إطار السيارة حيث داس إيثنان على بطنها، وتجلى أثر الوصا بوضوح.

كانت أول فكرة خطرت له أنه في حاجة إلى استدعاء الشرطة.

وبعد ذلك: أنت الشرطة.

كان قد تكلم عن تعيين مساعد أو اثنين، لكن هذا لم يحدث بعد.

جلس إيثنان على الطريق.

بدأت صدمة الحادث تتلاشى، وبدأ شعوره بالبرد يزداد.

بعد برهة، نهض. لم يكن في مقدوره أن يتركها هنا، ولا حتى بضع ساعات. رفع المرأة بين ذراعيه وحملها من الطريق إلى داخل الغابة. لم تكن بالبرودة التي ظنها. بل إنها ما زالت دافئة. بلا دماء ودافئة - مزيج عجيب. بعد عشرين قدمًا في الغابة، وجد غيضة من شجيرات البلوط. انحنى تحت الأغصان ووضعها برفق على فراش من الأوراق الميتة. لا يوجد مكان يأخذها إليه الآن، لكنه شعر أنه من الخطأ أن يتركها هنا. طوى يديها على بطنها. وعندما رفع ذراعيه نحو

الزر الأعلى لقميصه، اكتشف أن يديه ما زالتا ترتعدان. فتح قميصه وخلعه وغطاها به.

قال: "سأعود من أجلك. أعدك بذلك."

سار إيثنان خارجًا إلى الطريق. للحظة فكر في أن يقوم بتحييد السيارة عن الطريق، ودفعها إلى حافته. لكن لم يكن من المحتمل أن يقود أي شخص هنا في الساعات القليلة القادمة. ولن يقوم معمل الألبان بتوصيل منتجاته من الحليب حتى وقت متأخر من ظهيرة الغد. سيكون لديه الوقت لتنظيف ذلك قبلئذٍ.

بدأ إيثنان السير عائداً إلى البلدة، وأضواء منازل وايوارد باينز تتلألأ في الوادي أمامه.

بلدة آمنة للغاية.

بلدة آمنة على نحو خادع تمامًا.

\*\*\*

كان الفجر يوشك أن ينبلع عندما دخل إيثنان منزله.

أخذ أسخن حمام يمكنه أن يتحمّله في حوض الاستحمام ذي القدمين المخلبتين في الطابق الأرضي. نظّف وجهه. دعك الدماء. خففت الحرارة من وجع جسده والنبض خلف عينيه.

\*\*\*

لاح الضوء في السماء عندما دخل إيثنان الفراش.

كانت الملاءات باردة وزوجته دافئة.

كان ينبغي له أن يتصل ببيلتشر فعليًا. كان ينبغي له أن يتصل به لحظة دخوله البيت، لكنه كان أكثر إرهاقًا من أن يفكر. كان في حاجة إلى النوم، ولو حتى بضع ساعات.

همست تيريزا: "لقد عدت.."

أحاطها بذراعه، وجذبها قربه.

ألمته ضلوعه في جانبه الأيسر عندما تنفس بعمق.

تساءلت: "أكل شيء بخير؟" تذكر بيتر، يتصاعد منه الدخان والوشيش بعد الصدمة. المرأة الميته العارية الراقدة في منتصف الطريق. تذكر كيف كاد يموت، ولم يجد أي دليل أولي لما يعنيه أي من هذا. قال وهو يشدها إليه أكثر: "نعم يا حبيبتي، أنا بخير."



### 3

فتح إيثان عينيه وقفز من فوق الحشية تقريبًا.

كان بيلتشر جالسًا على مقعد عند طرف السرير، يراقب إيثان من فوق كتاب مغلف بالجلد.

تساءل إيثان: "أين تيريزا؟ أين ابني؟"

- هل لديك أي فكرة كم الساعة الآن؟
- أين أسرتي؟
- زوجتك في العمل كما يُفترض بها أن تكون. بن في المدرسة.
- وماذا تفعل بحق الجحيم في غرفة نومي؟
- لقد انتصف النهار، وأنت لم تحضر إلى العمل.
- أغلق إيثان عينيه في مواجهة ضغط ساحق عند قرارة جمجمته.



قال بيلتشر: "قضيت ليلة مليئة بالأحداث، هه؟"

مدّ إيثنان يده نحو كوب الماء على الطاولة الجانبية للفرش، وجسده بأكمله متصلب وجاف. كأنه انكسر إلى ألف قطعة وجرى لصقه بشكل عشوائي.

شرب الكوب كله.

تساءل إيثنان: "هل وجدت سيارتي؟"

أوما بيلتشر برأسه: "كما يمكنك أن تتخيل، شعرنا بقلق عميق. لا توجد كاميرات بالقرب من اللافتة. لم نرَ ما حدث. فقط ما بعد الحادث."

كان الضوء القادم عبر النافذة حادًا.

ضيّق إيثنان عينيه أمامه.

حملق في بيلتشر؛ ولم يستطع أن يميّز الكتاب الذي يمسك به. كان الرجل يرتدي بنطالاً من الجينز، وقميصاً قطنيّاً أبيض، وصديريّاً رماديّاً. نفس الأسلوب الرقيق المتواضع الذي يسير عليه بيلتشر دائماً في البلدة حيث يعتقد الناس أنه طبيب نفسي مقيم. لعلّه هو وبام كانا يستقبلان المرضى اليوم.

قال إيثنان: "كنت أقود سيارتي عائداً إلى باينز بعد بيتر ماكول..

أظن أنك سمعت ما حدث هناك؟"

- قدّمت لي بام موجزاً، شيء مأساوي للغاية.

- ألقىت نظرة نحو المرعى لجزء من الثانية، وعندما عدت

بنظري إلى الطريق، كان هناك شيء في منتصف الطريق.

اصطدمت به، انحرفت السيارة، حاولت أن أعدلها بإفراط

وانقلبت.

- الأضرار شديدة، أنت محظوظ لكونك حيًا.

- نعم.

- ماذا كان في الطريق يا إيثان؟ لم يجد رجالي أي شيء إلا حطام السيارة.

تساءل إيثان بداخله إن كان بيلتشر لا يعرف بالفعل. أمن الممكن أن المرأة في الطريق كانت جوالاً؟ أشيع أن هناك مجموعة من السكان اكتشفوا رفاقاتهم المجهريّة واقتلعوها. أشخاص لديهم معرفة بأماكن الكاميرات والبقاع العمياء. أشخاص يحتفظون برفقاتهم معهم خلال النهار، لكن من وقت إلى آخر ينتزعونها ويتركونها في الفراش ليتجولوا دون أن يكشفهم أحد في الليل. وشاع أنهم دائماً يرتدون سترات أو قمصاناً ثقيلة لها أغطية رؤوس ليخفوا وجوههم عن الكاميرات.

قال بيلتشر وهو ينهض واقفاً: "مما يثير أعصابي أن أراك تتصارع مع سؤال بسيط لا ينبغي أن يتطلب أي تفكير على الإطلاق في الإجابة عنه. أو لعل رأسك ما زال مشوشاً من أثر الحادث.. هل يفسر هذا التسوية؟ لماذا عندما أنظر في عينيك أرى أفكاراً تتقلب على مهل؟" هو يعرف. هو يختبرني. أو ربما يعرف فقط أنها كانت هناك، لكنه لا يعرف أين وضعتها.

- إيثان؟

- كانت هناك امرأة راقدة على الطريق.

وضع بيلتشر يده في جيبه، وأخرج صورة في حجم محفظة.

رفعها في وجه إيثان.

كانت هي.. لقطة تلقائية.. تبسم أو تضحك لشيء خارج الكاميرا. نابضة بالحياة. الخلفية غائمة، لكن من اللون خمن إيثان أن الصورة التقطت في الحدائق المجتمعية.

قال: "تلك هي.."

أظلم وجه بيلتشر. أعاد الصورة إلى جيبه.

"أهي ميتة؟" طرح هذا السؤال كأن كل الهواء قد سُحب من داخله.

- لقد طُعنْتَ.

- أين؟

- في كل مكان.

- هل عُدت؟

- بدا ذلك.

- أين هي؟

- أبعدتها عن الطريق..

- لماذا؟

- لأنه لم يبدو لائقًا أن أتركها عارية في العراء كي يراها أي شخص.

- أين جسدها الآن؟

- أمام الطريق من ناحية اللافتة في غيضة من شجيرات البلوط.

جلس بيلتشر على السرير.

- إذن أنت أبعدتها وعدت إلى البيت وذهبت إلى السرير.

- أخذت حمامًا ساخنًا أولًا.

- اختيار شيق.

- في مقابل؟

- الاتصال بي على الفور.

مكتبة

t.me/soramnqraa

- كنت مستيقظاً طوال أربع وعشرين ساعة.. كنت في حالة أم شديد، أردت فقط بضع ساعات من النوم أولاً.. كنت سأتصل بك على الفور بعد استيقاظي.

- بالطبع، بالطبع. آسف على التشكيك بك. الأمر يا إيثان أن هذه مسألة كبيرة نوعاً ما. لم تحدث لدينا قط جريمة قتل في وايوارد باينز.

- تقصد قتلاً غير مصرح به.

تساءل بيلتشر: "هل كنت تعرف هذه المرأة؟"

- لقد رأيتهما في الجوار.. لا أعتقد أنني تحدثت إليها رغم ذلك.

- قرأت ملفها؟

- في الحقيقة، لا.

- هذا لأنها لا تملك ملفاً.. على الأقل لا تملك ملفاً يمكنك الوصول إليه. كانت تعمل لصالحه. وكان من المفترض أن تعود إلى الجبل في وقت متأخر ليلة أمس من مهمة.. لكنها لم تظهر قط.

- كانت تعمل لصالحك بأي صفة؟ جاسوسة؟

- لدي عدد من الناس يعيشون في البلدة وسط السكان. إنها الطريقة الوحيدة للبقاء على معرفة مستمرة بالنبض الحقيقي لوايوارد باينز.

- كم عددهم؟

- ليس مهماً.

ربت بيلتشر على ساق إيثان: "لا تشعر بكل هذه الإهانة يا فتى. أنت واحد منهم. ارتدِ ثيابك، وانزل إلى الطابق الأرضي، سنكمل هذا ونحن نشرب القهوة."

\*\*\*

نزل إيثان إلى الطابق الأرضي مرتديًا زي المأمور الرسمي -المنشئ حديثًا- لتقابلته رائحة تخمير القهوة. جلس على مقعد بار إلى منصة المطبخ المركزية بينما بيلتشر يرفع الإبريق الزجاجي من ماكينة القهوة ويصب منه في قدحين خزفيين.

- تشربها سادة، أليس كذلك؟

- صحيح.

حمل بيلتشر القدحين، ووضعهما على خشبة تقطيع اللحم.

قال: "جاء إلى مكثبي هذا الصباح تقرير مراقبة."

- ومن كان موضوع التقرير؟

- أنت.

- أنا؟

- نوبة انفعاك الصغيرة في الطابق العلوي بالأمس لفتت انتباه أحد محلي.

ورفع بيلتشر إصبعه الوسطى.

- تلقيتَ تقريرًا عن ذلك؟

- أتلقي تقريرًا في أي وقتٍ يقوم أي أحد فيه بأي شيء غريب.

- أعتقد أنه من الغريب أن أنزعج عندما يراقبني صبيانك

الملتصون مع زوجتي؟

- مراقبة اللحظات الحميمة ممنوعة بشدة.. وأنت تعرف هذا.
- الطريقة الوحيدة لأن يعرف أحد المحللين أنها لم تعد لحظة حميمة هي لو كان يراقب في أثناء اللحظة الحميمة. أليس كذلك؟
- لقد كشفت وجود الكاميرا.
- تيريزا لم ترها.
- وماذا لو رأتها؟
- أعتقد أن أي شخص في البلدة قضى هنا وقتًا أطول من خمس عشرة دقيقة لا يعرف أنه تحت المراقبة المستمرة؟
- سواء كانوا يعرفون أو يتشككون، لا يهمني، ما داموا يحتفظون بالأمر في أنفسهم. ما داموا يسيرون على الخط. وهذا يتضمن عدم كشف أماكن الكاميرات أبدًا.
- أتعرف كم من الصعب أن تضاجع زوجتك وثمة كاميرا معلقة فوق فراشك؟
- لا يهمني.
- ديفيد...
- إنه ضد القواعد وأنت تعرف هذا.
- لأول مرة تخرج كلماته مطوقة بالغضب.
- لا بأس.
- قل إن هذا لن يحدث ثانيةً يا إيثان.
- لن يحدث هذا ثانيةً.. لكن لا تجعلني أبدًا أكتشف أن محللك يراقبون. سأجعلهم يندمون أينما أجدهم.

وارتشف إيثان جرعة كبيرة ساخنة أحرقته حلقه.

- بَمَ تشعر يا إيثان؟ تبدو مضطربًا.

- أشعر بالتعب.

- أول شيء علينا أن نأخذك إلى المستشفى.

- آخر مرة ذهبت فيها إلى مستشفى، حاول الجميع قتلي.

أعتقد أنني سأتحمل الأمر وأتجاوزة.

- كما تشاء.

تناول بيلتشر رشفة ومط شفتيه: "ليست سيئة، لكنني أحيانًا قد أفعل أي شيء، أقتل أحدهم مثلًا مقابل أن أجلس على رصيف مقهى في مدينة أوروبية وأشرب فنجانًا صغيرًا طيبًا من الإسبريسو."

- أوه، بربك! أنت تحب هذا.

- أحب ماذا يا إيثان؟

- ما خلقته هنا.

- طبعًا، إنه عمل حياتي، لكن هذا لا يعني أنه لا توجد أجزاء من العالم القديم ما زلت أفقدها.

شربا القهوة وخفّ المزاج المتوتر قليلًا.

أخيرًا قال بيلتشر: "كانت امرأة طيبة. امرأة عظيمة."

- ماذا كان اسمها؟

- أليسا.

- لم تعرف أين كانت إلى أن أخبرتك. هل يعني هذا أنها لا

تحمل رقاقة؟

- سمحنا لها بانتزاعها.

- لا بد أنك كنت تثق بها.
- بشكلٍ مطلقٍ.. أتذكر المجموعة التي أخبرتك بأمرها؟
- المتجولين؟
- أرسلتها لتخترقهم. هؤلاء الناس... تمكنوا جميعًا من إزالة رقاقاتهم. يلتقون في الليل. لا نعرف أين. لا نعرف كم عددهم. لا نعرف كيف يتواصلون. لم يكن من الممكن أن أرسلها برقاقة مجهرية وسطهم. كانوا سيقتلوننا على الفور.
- إذن فقد دخلت وسطهم؟
- من المفترض أن ليلة أمس كانت اجتماعها الأول. كانت سترى كل اللاعبين.
- يقيمون اجتماعات؟ كيف يمكن هذا؟
- لا نعرف كيف، لكنهم يفهمون نقاط الضعف في نظام مراقبتنا. إنهم يلعبون مع النظام.
- تقصد أن هؤلاء الناس مسؤولون عن موتها؟
- هذا ما أريدك أن تكتشفه.
- تريدني أن أتحرى عن هذه المجموعة؟
- أريدك أن تبدأ من حيث انتهت أليسا.
- أنا مأمور. لن يسمحوا لي بالدخول وسطهم ولا بالاقتراب منهم أكثر من ألف ميل!
- بعد عملية اندماجك المضطربة، أعتقد أن الحكم ما زال معلقًا حول حقيقة وموضع ولائك. أنت سلعة جيدة، وقد يعتبرونك من الأصول الثمينة.



- أعتقد حقًا أنهم سيثقون بي؟
- أعتقد أن شريكك القديمة ستفعل ذلك.
- ساد هدوء شديد في المطبخ.
- فقط طنين الثلاجة.
- ضجة حماسية بعيدة تأتي عبر نافذة مفتوحة - أطفال يلعبون في مكان ما.

صيحات: أمسك بك!

قال إيثان: "كيت من المتجولين؟"

- كيت كانت نقطة الاتصال بالنسبة إلى أليسا.. أرتها كيت كيف تزيل رقاقتها المجهرية.

- ماذا تريدني أن أفعل؟

- تتواصل مع قصة حبك القديمة. بطريقة متروية. تخبرها أنك لست معي في الحقيقة.

- ماذا يعرف هؤلاء الناس وماذا يريدون؟

- أعتقد أنهم يعرفون كل شيء. أنهم خرجوا وراء السور ورأوا ما يوجد هناك. أنهم يريدون أن يحكموا البلدة. هم ناشطون في تجنيد آخرين. قاموا بثلاث محاولات لقتل المأمور السابق. وربما يدبرون نفس الخطط بالفعل من أجلك. هذا ما أريدك أن تتحرى بشأنه. مسألة لها الأولوية في الصدارة. سأعطيك كل ما تحتاج إليه من أدوات. وقدرة لا محدودة على الدخول إلى نظام المراقبة.

- ولماذا لا تتعامل أنت وناسك مع هذا من الداخل؟

- موت أليسا كان ضربة هائلة لنا جميعًا. كثير من الناس في الجبل يشعرون باضطراب وعدم وضوح في التفكير حاليًا. لذا عليّ أن أضع هذا الأمر على عاتقك. أنت وحدك. أمل أن تفهم المخاطر هنا. أيًا كانت مشاعرك الشخصية تجاه الطريقة التي أدير بها هذه البلدة -وقد شاركتها معي- فهي طريقة ناجحة. لا يمكن أن تكون هذه ديمقراطية أبدًا. هناك الكثير مما سنخسره لو تحول كل شيء إلى فوضى. أنت معي في هذا، أليس كذلك؟

- نعم. أنت تدير ديكتاتورية خيرية في أغلبها تقيم مذبحه من وقت إلى آخر.

ظنّ إيثان أن بيلتشر سيضحك، لكنه اكتفى بالتحديق فيه من الناحية الأخرى من المنصة، والبخار يتلوى من سطح القهوة إلى وجهه.

قال إيثان: "تلك كانت مزحة.."

- أنت معي أم لا؟

- نعم.. لكنني عملت مع كيت لسنوات.. وهي ليست قاتلة.

- لا أقصد أي إهانة، لكنك عملت معها في زمن آخر. إنها شخص مختلف الآن يا إيثان. إنها نتاج وايبورد باينز، ولا فكرة لديك عما هي قادرة عليه.



## 4

راقبت تيريزا عقرب الثواني وهو يتجاوز الثانية عشرة.  
الثالثة والثلاث مساءً.

رتبت الأشياء على سطح مكتبها الأملس النظيف والتقطت حقيبة  
يدها.

كانت الجدران الحجرية للمكتب مغطاة بملصقات ونشرات عقارية  
لم يتفحصها إلا قلة من الأشخاص. نادرًا ما استخدمت الآلة الكاتبة  
أو تلقت مكالمة هاتفية. غالبًا كانت تقرأ كتابًا طوال اليوم، تفكر في  
أسرتها، ومن وقت إلى آخر في حياتها من قبل.

منذ وصولها إلى باينز، ظلّت تتساءل إن كانت هذه هي حياتها  
الأخرى. على الأقل، كانت هذه هي حياتها الثانية.  
بعد سياتل.

بعد وظيفتها كمساعدة قانونية.

بعد كل علاقاتها تقريبًا.

بعد العيش في عالم حر، رغم كل تعقيداته ومآسيه كان ما زال له منطق ما.

لكن في سنواتها الخمس هنا، شاخت، وشاخ آخرون مثلها. مات أشخاص، واختفى غيرهم، وقُتل آخرون. وُلد أطفال. لا يتمشى هذا مع أي تصور عن حياة أخرى سمعت به، لكن مرة أخرى؛ بالتحديد: كيف يمكنك أن تعرف أصلًا ما تتوقعه خارج عالم الخبرة البشرية الحية؟

طوال سنوات إقامتها، ظل يخطر ببالها أن وايوارد باينز تبدو أقرب بكثير إلى سجن منها إلى أي حياة أخرى، رغم أنه ربما لا يوجد أي اختلاف وجيه.

حكم مؤبد غامض وجميل.

لم يكن حبسًا جسديًا فقط، بل عقليًا أيضًا، وكان الجانب العقلي هو ما جعل الأمر يبدو كأنه حكم بالحبس الانفرادي. عدم القدرة على الاعتراف الصريح بماضي المرء أو أفكاره أو مخاوفه. عدم القدرة على التواصل الحقيقي مع إنسان واحد. كانت هناك لحظات بالطبع. لحظات قليلة ومتباعدة. تبادل ثابت للنظرات، حتى مع شخص غريب، عندما كان يبدو أن حدة النظر تشير إلى اضطراب داخلي.

خوف.

يأس.

حيرة.

في هذه اللحظات، كانت تيريزا تشعر على الأقل بدفء الإنسانية، بأنها ليست وحيدة تمامًا وعلى نحوٍ عاجز. كان الزيف هو ما يقتلها.

الحوارات الإجبارية عن الطقس. عن آخر محصول من الحدائق. لماذا تأخر الحليب. عن كل شيء سطحي ولا شيء حقيقي. في باينز، لم يكن هناك دومًا إلا لغو الحديث، واعتياد هذا المستوى من التفاعل كان واحدًا من أقسى العقبات أمام اندماجها.

لكن كل خميس رابع من الشهر، كانت تترك العمل مبكرًا، ولفسحة وجيزة من الوقت، تتخفف من القواعد.

\*\*\*

أوصدت تيريزا الباب وراءها وانطلقت في سيرها على الرصيف.

كان أصيلًا هادئًا، لكن هذا ليس بالجديد.

لم تكن هناك أصائل صاخبة قط.

سارت جنوبًا بطول الشارع الرئيسي. كانت السماء صافية مدهشة الزرقة. لا توجد ريح، ولا سيارات. لم تعرف في أي شهر كانوا - كانت الساعة وأيام الأسبوع هي ما تُحسب فقط - لكنه بدا مثل أواخر أغسطس أو أوائل سبتمبر. ثمّة سمة انتقالية في الضوء أوحى بنهاية فصل من فصول العام.

الهواء فيه اعتدال الصيف، والضوء فيه من ذهب الخريف.

وشجر الحور على أعتاب التحول وسقوط الأوراق.

\*\*\*

كانت صالة استقبال المستشفى خالية.

استقلت تيريزا المصعد إلى الطابق الثالث، وخرجت إلى الردهة، وراجعت الوقت.

الثالثة وتسع وعشرون دقيقة.

كان الممر طويلاً.

تصاعد طنين مصابيح الفلورسنت فوق الأرضية الشطرنجية. سارت تيريزا نصف الممر حتى وصلت إلى منطقة الجلوس خارج باب مغلق غير مميز.

واتخذت مجلسها.

بدا أن ضجيج المصابيح يزداد كلما طال وقت انتظارها.

انفتح الباب إلى جوارها.

خرجت امرأة وابتمت لها. لها أسنان بيضاء مثالية ووجه خطر لتيريزا أنه جميل وناءٍ في ذات الوقت. لا سبيل لمعرفته. كانت عيناها أكثر خضرة من عيني تيريزا، وقد شددت شعرها إلى الورا في ذيل حصان.

قالت تيريزا: "أهلاً بام."

- أهلاً تيريزا. لم لا تدخلين؟

\*\*\*

كانت الغرفة جرداء وبلا ملامح.

جدران بيضاء غابت عنها أي لوحة أو صورة فوتوغرافية.

مجرد مقعد ومكتب وأريكة جلدية.

"تفضلي.. " قالتها بام بصوت هادئ بدا ألياً على نحو غامض،

مشيرةً إلى تيريزا كي تتمدد.

تمددت تيريزا على الأريكة.

جلست بام على المقعد ووضعت ساقًا على ساق. كانت ترتدي معطف معمل أبيض على تنورة رمادية ونظارة ذات إطار أسود.

قالت: "من اللطيف رؤيتك مرة أخرى يا تيريزا."

- وأنتِ أيضًا.

- كيف تسير بك الأحوال؟

- بخير، أعتقد.

- أعتقد أن هذه أول مرة تأتي فيها لرؤيتي منذ عودة زوجك.

- هذا صحيح.

- لا بد أن عودته كانت أمرًا طيبًا جيدًا.

- شيء رائع.

جذبت بام القلم من جيبتها العلوي وضغطت على رأسه. أدارت مقعدها الدوّار نحو المكتب، ووضعت القلم على ملف رسمي يحمل اسم تيريزا مكتوبًا أعلاه، وقالت: "هل أسمع كلمة لكن قادمة؟"

- لا، الأمر فقط أنه مرت خمس سنوات. حدث فيها الكثير.

- ويبدو الآن وكأنك متزوجة برجل غريب؟

- لسنا كما كنا. الوضع غريب. وطبعًا، لا يمكننا أن نجلس

ونتحدث عن باينز. عن هذا الموقف المجنون الذي نحن فيه.

لقد ألقى به في حياتي من جديد ومن المتوقع منا أن نتصرف

كوحدة عائلية مثالية.

خطت بام شيئًا ما بسرعة في الملف.

- كيف تصفين تأقلم إيثان؟

- معي؟



- معك. مع بن. مع وظيفته الجديدة. مع كل شيء.
- لا أعرف. كما قلت، لا يبدو أن بمقدورنا التواصل. أنتِ الشخص الوحيد المسموح لي بالحديث معه فعليًا.
- معقول جدًّا.
- واجهت بام مرة أخرى تيريزا: "أتجدين نفسك تتساءلين عما يعرفه؟"
- ماذا تقصدين؟
- أنت تعرفين تمامًا ما أقصده. كان إيثان هدفًا لمهرجان، وهو الشخص الوحيد في تاريخ باينز الذي أفلت منه. أتتساءلين إن كان قد أفلح في الخروج من البلدة؟ ماذا رأى؟ لماذا عاد؟
- لكنني لم أكن لأسأله أبدًا.
- لكنك تتساءلين.
- بالطبع أتساءل، الأمر كأنه مات ثم عاد إلى الحياة. لديه إجابات لأسئلة تطاردني.. لكنني لن أسأله أبدًا.
- هل أقمّتِ أنتِ وإيثان علاقة حميمة حتى الآن؟
- شعرت تيريزا بحمرة عميقة تتدفق إلى وجهها وهي تحرق في السقف.
- نعم.
- كم مرة؟
- ثلاث.
- وكيف كانت؟

اللعنة! ليس من شأنك!

لكنها قالت: "المرتان الأوليان كانتا ثقيلتين قليلًا، لكن الأمس كانت الأفضل بمسافة."

- هل بلغتِ ذروتك؟
- عذراً؟
- لا شيء لتخجلي منه يا تيريزا. قدرتك من عدمها على بلوغ الأورجازم هي انعكاس لحالتك الذهنية.
- وتصنعت بام الابتسام قبل أن تتابع: "وربما مهارات إيثنان. باعتباري طبيبتك النفسية، يجب أن أعرف."
- نعم.
- نعم، بلغتِ ذروتك مرة؟
- فعلتها بالأمس.
- راقبت تيريزا طبيبتها ترسم حرف O ووجهًا مبتسمًا إلى جواره.
- قالت تيريزا: "أنا قلقة عليه."
- زوجك؟
- خرج في منتصف الليل بالأمس. لم يعد حتى الفجر. لا أعرف أين ذهب. لا يمكنني أن أسأل. أفهم ذلك. أظن أنه كان يطارد شخصًا يحاول الرحيل.
- هل تتنابك أفكار حول الرحيل؟
- لم يحدث ذلك طوال عدة أعوام.
- ولماذا؟
- في البداية، أردت ذلك. شعرت كأني ما زلت أعيش في العالم القديم. كأن هذا كان سجنًا أو تجربة ما. لكن الغريب أنه كلما طال بقائي هنا، أصبح الأمر أكثر طبيعية.
- ماذا كان يثير رغبتك في الرحيل؟

- عدم معرفة السبب من وجودي هنا. ماذا تكون هذه البلدة حقًا. ماذا يوجد وراءها؟
- ولماذا تعتقدين أن الأمر صار أكثر طبيعية؟
- ربما المسألة فقط أني أتأقلم أو أستسلم، لكنني أدركت أنه رغم غرابة هذه البلدة، فإنها لا تختلف كل هذا الاختلاف عن حياتي من قبل. ليس عندما أضع إحداهما بالفعل في مقارنة مع الأخرى. أغلب التفاعلات في العالم القديم كانت ضحلة وسطحية. كانت وظيفتي في سياتل مساعدة قانونية لدى مؤسسة دفاع عن شركات التأمين. تساعد شركات التأمين على سلب الغطاء التأميني من الناس. أما هنا فأجلس في مكتب طوال النهار ونادرًا ما أتحدث إلى أحد. وظيفتان متكافئتان في لا جدواهما، لكن هذه الوظيفة على الأقل لا تؤذي الناس فعليًا. كان العالم القديم مليئًا بالألغاز: الكون، الرب، ما يحدث عندما نموت. وهناك الكثير من الألغاز هنا. نفس الديناميات. نفس الزلّات البشرية. كل هذا موجود في ذلك الوادي الصغير.
- إذن أنت تقولين إن كل شيء نسبي.
- ربما.
- هل تعتقدين أن هذه هي الحياة الأخرى يا تيريزا؟
- لا أعرف حتى ما معنى هذا. أتعرفين أنتِ؟
- اكتفت بام بالابتسام. ابتسامة أشبه بالواجهة، لا تبعث على الارتياح. قناع خالص. مرت الفكرة على ذهن تيريزا، ولم تكن تلك هي المرة الأولى: من هذه المرأة التي أسكب أسراري لها؟ إلى حدّ ما،

كان الانكشاف مرعبًا. لكن الرغبة الملحة في الاتصال الحقيقي بإنسان آخر رجّح الكفّة.

قالت تيريزا: "أظن أنني فقط أعتبر باينز مرحلة جديدة من حياتي."

- وما أصعب شيء في هذا؟
- فيم؟ العيش هنا؟
- نعم.
- الأمل.
- ماذا تقصدين بهذا؟
- لماذا أستمر في الشهيق والزفير؟ أعتقد أن هذا أصعب سؤال يواجه أي أحد عالق في هذا المكان كي يجيبه.
- وكيف تجيبينه يا تيريزا؟
- ابني. إيثنان. العثور على كتاب جيد. العواصف الثلجية. لكن الأمر لا يشبه حياتي القديمة. لا يوجد منزل أحلام أعيش من أجله. ولا يانصيب. كنت أحلم بالذهاب إلى كلية الحقوق وبدء عملي الخاص كمحامية. أن أصبح متحققة وغنية. أتقاعد مع إيثنان في مكان دافئ لديه بحر أزرق صافٍ ورمال بيضاء. حيث لا تمطر أبدًا.
- وابنك؟
- لم تتوقع تيريزا هذا السؤال. ضربتها تلك الكلمة الصغيرة بقوة ماكرة لضوء مباغت.

اختفى السقف الذي كانت تحديق فيه وراء غشاء من الدموع.

تساءلت بام: "كان مستقبل بن أكبر آمالك، أليس كذلك؟"

أومات تيريزا برأسها، وعندما رمشت، انساب خطان من المياه  
المالحة من زاويتي عينيها وسالا على وجهها.

تساءلت بام: "حفل زفافه؟"

- نعم.

- مهنة مرموقة تجعله سعيدًا وتجعلك فخورة؟

- الأمر أكبر من هذا.

- ماذا؟

- إنه ما كنت أتحدث عنه للتو. الأمل. أردته من أجله بشدة،  
لكنه لن يعرفه أبدًا. ماذا يمكن لأطفال باينز أن يطمحوا كي  
يكونوه؟ أي بلاد أجنبية يحلمون بزيارتها؟

- هل فكرت أنه ربما هذه الفكرة عن الأمل، على الأقل  
الطريقة التي تتصورينه بها، هي من بقايا حياتك السابقة،  
ولا تخدم أي غرض؟

- هل تقولين: أيها الداخلون، اطرحوا عنكم كل أمل؟

- لا، أنا أقول عيشوا في اللحظة. ربما توجد في باينز متعة تُنال  
بمجرد البقاء أحياء. أن تستمري في الشهيق والزفير لأنه يمكنك  
الشهيق والزفير. أحبوا الأشياء البسيطة التي تمرّون بها كل  
يوم. كل هذا الجمال الطبيعي. وقع صوت ابنك. سيكبر بن  
ليعيش حياة سعيدة هنا.

- كيف؟

- هل خطر لك أن ابنك ربما لم يعد يشاركك مفهومك القادم  
من العالم القديم عن السعادة؟ أنه يكبر في بلدة تغرس  
بالضبط ذلك النوع من عيش اللحظة الذي وصفته للتو؟

- هذا فقط ضيق أفق شديد.
- إذن خذيه وارحلي.
- هل أنت جادة؟
- نعم.
- سنُقتل.
- لكنكما قد تفلتان. لقد غادر البعض، رغم أنهم لم يعودوا قط. هل تخشين سراً أنه، بقدر ما تعتقدين أن الأمر سيئ في باينز، قد يكون أسوأ مليون مرة في الخارج؟
- مسحت تيريزا عينيها وقالت: "نعم."
- قالت بام: "شيء أخير، هل فاتحتِ إيثان بما حدث قبل وصوله؟ إمام... موقفك الحالي... أقصد."
- بالطبع لا. لقد مر أسبوعان فقط.
- لماذا لم تفعلي ذلك؟
- ما المغزى؟
- ألا تعتقدين أن زوجك يستحق أن يعرف؟
- لن يسبب هذا إلا الألم.
- قد يخبره ابنك.
- لن يفعل بن هذا. لقد تحدثنا عن هذا بالفعل.
- آخر مرة كنتِ فيها هنا، قِيمَتِ اكتئابك على مقياس من واحد لعشرة بسبعة. ماذا عن اليوم؟ هل تشعرين أنك أفضل، أسوأ، أم على نفس الحال؟
- نفس الحال.

فتحت بام دُرَجًا وأخرجت زجاجة بيضاء صغيرة خشخشت فيها حبات الدواء.

- هل تتناولين دواءك؟

- نعم..

قالتها تيريزا كاذبة. وضعت بام الزجاجاة على سطح المكتب وقالت: حبة واحدة كل يوم، في وقت النوم، تمامًا كما سبق. سيساعدك على التحمل حتى موعدنا القادم."

اعتدلت تيريزا في جلستها.

شعرت مثلما تشعر دومًا بعد انتهاء هذه الجلسات: بالتمزق العاطفي.

قالت تيريزا: "هل يمكنني أن أسألك شيئًا؟"

- طبعًا.

- أظن أنك تتحدثين إلى كثير من الناس. تسمعين مخاوف الجميع السرية. هل سيبدو هذا المكان وطنًا لنا يومًا ما؟

قالت بام وهي تنهض: "لا أعرف. الأمر بأكمله يعود إليك."

## 5

كانت المشرحة في بدروم المستشفى وراء زوج من الأبواب المصمتة.

الطرف الأقصى من الجناح الشرقي.

وصل اثنان من رجال بيلتشر بالجثة قبل إيثان، ووقفوا خارج المدخل مرتدين الجينز وقمصين كاروهات. أطول الاثنين، رجل ذو ملامح اسكندنافية ورئيس فريق بيلتشر الأمني، بدا منزعجًا بوضوح.

قال إيثان وهو يمر بهما ويدفع بكتفه واحدًا من البابين: "أشكركما على إحضارها. ليس عليكم الانتظار."

قال الأشقر: "أمرنا بالانتظار."

دفع إيثان الباب ليغلقه وراءه.



فاحت المشرحة بالرائحة المعتادة لأي مشرحة؛ لا تخفي المطهرات  
تمامًا رائحة الموت الراسخة.

كانت الأرضية من البلاط الأبيض، ملطخة بشدة، ومقعرة قليلًا،  
وبها بالوعة كبيرة في المنتصف.

رقدت أليسا عارية على طاولة التشريح المصنوعة من فولاذ لا  
يصدأ.

ثمة تسريب في الحوض وراء الطاولة، وصوت الماء المتقاطر يتردد  
صداه من الجدران.

لم يدخل إيثنان مشرحة إلا مرة واحدة من قبل. لم يعجبه الأمر  
وقتها، وبالقطع وجده أقل جمالًا بوجود جثة أمامه.

لم تكن هناك أي نوافذ، ولا مصدر آخر للضوء إلا مصباح الفحص.

وُضع المصباح على حامل إلى جوار طاولة التشريح، وضاع كل شيء  
وراءه في الظلام.

أعلى من صوت تقاطر الماء كان طنين أدرج حفظ الجثث في ثلاجة  
المشرحة - صف من ستة أدرج مثبتة في الحائط المجاور للحوض.

الحقيقة أنه لم يكن يعرف ماذا يفعل هنا. لم يكن طبيبًا شرعيًا  
بأي حال من الأحوال، لكن بيلتشر أصر على أن يفحص الجثة ويكتب  
تقريرًا.

وضع إيثنان قبعته على ميزان الأعضاء أعلى الحوض.

رفع يده وقبض على المصباح.

في الضوء الشديد بدت الجروح نظيفة. مرتبة. بلا عيوب. بلا  
جلد ممزق. فقط عشرات وعشرات من النوافذ السوداء المطلة على  
الخراب.

كان جلد المرأة في لون طلاء الأساس تحت التسخين.

مضى يفحص الثقوب عضوًا وراء عضو.

ازدادت صعوبة التفكير فيها باعتبارها امرأة اسمها أليسا مع رقادها جثة ميتة على طاولة تحت هذا الضوء الإكلينيكي القاسي.

رفع ذراعها الأيسر في الضوء وفحص يدها. كان هناك وسخ تحت أظافرها. أو دماء. تخيل يديها تندفعان في يأس داخل الجروح الطازجة، تجاهد كي توقف نزيف الدماء التي لا بد أنها كانت تسيل منها.

إذن لماذا -بعيدًا عن نُتف أوراق البلوط في شعرها- كانت نظيفة في غير ذلك؟ دون أثر لخيوط من دماء أو بقعة دموية على جلدها؟ لم يكن قد رأى أي دم حيثما وجدها على الطريق. من الواضح أنها قُتلت في مكان آخر ونُقلت إلى ذلك الموضع. لماذا صُفوا دماءها؟ لكي ينقلوها دون أن يتركوا أثرًا؟ أم لأمرٍ أشرٍّ؟ مكتبة سُرَّ مَنْ قرأ

فحص إيثان ذراعها الأخرى.

ساقها.

لم يرغب في ذلك، لكنه سلط الضوء لوقت قصير على ما بين فخذها.

لا توجد كدمات أو أضرار واضحة لعينيه غير المدربتين قد توحى باعتداء جنسي.

ولأنه لم يستطع إلا أن يتعامل مع جسدها برفق، تطلب الأمر منه ثلاث محاولات كي يقلبها.

اصطدمت ذراعها بالطاولة المعدنية في جلجلة عالية.

أزال قطع الحصى والتراب من فوق ظهرها.

كان هناك جرح حديث في مؤخرة ساقها اليسرى.

شق نمت له ندبة.

حدس أنه القطع الذي تم لاستخراج الرقاقة المجهرية.

دفع المصباح بعيداً واسترخى جالساً على المقعد الفولاذي الدائري القابل للتعديل. الطريقة التي رقدت بها متهدلة على الطاولة الباردة -مكشوفة، مهانة- أشعلت بداخله شيئاً ما.

جلس إيثان في الظلام يتساءل بداخله إن كان يمكن لكيث أن تفعل هذا.

بعد برهة، نهض وسار إلى الباب.

توقف رجلاً بيلتشر عن الحديث عندما خطا إلى الخارج. نظر إلى الأشقر الطويل وقال: "هل يمكنني أن أتحدث إليك دقيقة واحدة؟"

- في الداخل؟

- نعم.

أمسك إيثان الباب ودخل الرجل إلى المشرحة.

سأله إيثان: "ما اسمك؟"

- آلان.

أشار إيثان إلى المقعد المستدير: "تفضل بالجلوس."

- ما الأمر؟

- سأسألك بضعة أسئلة.

بدا آلان متوجساً: "أمرت بإحضارها إلى هنا ووضعها في التخزين البارد عندما تنتهي."

- حسناً، أنا لم أنتهِ.

- لم يقل أحد أي شيء عن إجابة أسئلة.

- كُفَّ عن التملص واجلس.

لم يتحرك الرجل. كان أطول من إيثان بأربع بوصات على الأقل. وكتفاه عريضتان كأن ما بينهما ميل. أحسَّ إيثان بجسده يتأهب للقتال، ونبض قلبه يتسارع، وشهوة العراك تتنابه. لم يرغب في أن يكون البادئ، لكنه إن لم يستغل عنصر المفاجأة، إن لم يُسقط آلان في أول بضع ثوان، فإن احتمال أن يهزم هذا الرجل الذي تشبه بنيته بنية إله اسكندنافي احتمال بعيد المنال.

أرخی إيثان ذقنه مقدار بوصة.

وبعد نصف ثانية قفز دافعًا جسده بكعبيه وموجهًا جبهته إلى وجه الرجل. استدار آلان واتخذ مجلسه كما أمر.

قال آلان: "ليس هذا ما أمرت به.."

- لقد أعطاني ديفيد بيلتشر، رئيسك في العمل، صلاحية غير محدودة وموارد غير محدودة لاكتشاف من فعل هذا. وأنت تريدني أن أكتشف هذا، أليس كذلك؟

- بالطبع أريدك.

- هل كنت تعرف أليسا؟

- نعم. لا يوجد إلا مائة وستون شخصًا منا في الجبل.

- إذن هي مجموعة وثيقة الصلة ببعضها البعض؟

- جدًا.

- هل كنت على معرفة بأنشطة أليسا في باينز؟

- نعم.

- إذن كنتمما أنتمما الاثنان قريبين أحكما من الآخر؟

حذق آلان في جسدها على الطاولة. ارتعشت العضلات في فكه -  
غضب، حزن.

- هل كنت على علاقة حميمة بها من قبل يا آلان؟

- هل تعرف ما يحدث عندما يعيش مائة وستون شخصًا في  
مقر واحد متقاربين، وهم يعلمون أنهم كل من بقي من  
الجنس البشري؟

- يضاجع الجميع الجميع؟

- إذن فهمتها. نحن عائلة واحدة في ذلك الجبل. فقدنا بعضًا منا  
من قبل. أغلبهم رجالة لم يعودوا قط. التهموهم في الخارج.  
لكن لم يحدث قط شيء كهذا.

- الجميع مضطربون؟

- وقت عصيب. أنت تعرف السبب الوحيد وراء قيام بيلتشر  
بتركك تفعل هذا، أليس كذلك؟ لقد منع الجميع من التحقيق  
في موتها.

- بسبب الرغبة في الانتقام.

ارتسمت ابتسامة صغيرة محتدمة في زاوية فم آلان.

- هل لديك أي فكرة عن المذبحة التي يمكن أن أقيمها في هذه  
البلدة مع فريق من عشرة رجال مسلحين؟

- أنت تفهم أن من في واوارد باينز ليس جميعهم مسؤولين  
عن موتها.

- كما قلت، هناك سبب وراء ترك بيلتشر لك كي تدير هذا  
العرض.

- احك لي عن مهمة أليسا.

- عرفت أنها تعيش مع سكان البلدة. لكن ليست لدي تفاصيل في الحقيقة.
- متى كانت المرة الأخيرة التي رأيتها فيها؟
- منذ ليلتين. أحيانًا كانت أليسا تعود إلى الجبل كي تقضي الليل. كان هذا غريبًا. هل رأيت ثكناتنا من قبل؟
- أظن ذلك.
- لا توجد نوافذ. نحن نتكلم عن مساحات صغيرة مزدحمة غير شخصية. في باينز، كانت تعيش في منزل خاص بها وحدها، لكنها افتقدت النوم في غرفتها في الجبل. تخيل! لو وضعنا في اعتبارنا من هي، كان يمكنها أن تعيش في أي مكان. تفعل ما تريد. لكنها كانت تؤدي نصيبتها من العمل. كانت واحدة منا.
- ماذا تقصد بقولك: لو وضعنا في اعتبارنا من هي؟
- ألا تعرف؟
- أعرف ماذا؟
- اللعنة! اسمع، ليس في مقدوري الحديث عن هذا.
- ماذا يفوتني؟
- انس الأمر، حسنًا؟
- حسنًا. حاليًا فقط.
- تساءل إيثان: "إذن أين رأيتها آخر مرة؟"
- في قاعة الطعام. كنت أنهي وجبتي عندما دخلت. أحضرت صينيته وجاءت.

- عمّ تحدثتما؟

حدّق آلان في الظلام خارج نطاق الضوء.

بدا لهنيهة في حالة سلام، كأن الذكرى أسعدته.

- لم نتكلم حول أشياء عميقة. لا شيء يستحق الذكر. فقط عن يومنا. كان كلانا يقرأ في نفس الكتاب وتكلمنا عن انطباعاتنا حتى الآن. وأشياء أخرى أيضاً، لكن هذا كل ما بقي في ذهني. كانت صديقتي دائماً وحببتي أحياناً. كنا على وفاق أحدنا مع الآخر، ولم أعرف أن هذه هي المرة الأخيرة التي سأراها فيها حية إلى الأبد.

- لم تتناقشا حول عملها في البلدة؟

- أعتقد أنني سألتها كيف تسير مهمتها. وقالت شيئاً مثل: ستنتهي قريباً.

- ماذا تعتقد أنها كانت تعني بهذا؟

- لا أعرف.

- وهذا كل شيء؟

- هذا كل شيء.

- لماذا يا ترى طلب بيلتشر أن تنقل جثتها؟ أهذا نوع من انعدام الحساسية نظراً...

- أنا من طلبت هذه المهمة.

- أوه!

انزعج إيثان لاكتشافه أنه بدأ يُعجب بآلان. كان حريّاً به من قبل أن يتعارك مع رجال مثله. ميّز فيه ذلك الأدب الخشن. تلك الجرأة والوفاء المدعومان بقوة بدنية هائلة.

- هل هناك شيء آخر يا إيثان؟
- لا.
- فلتكتشف من فعل ذلك.
- سأفعل.
- واجعله يتألم.
- أتريد عوناً في وضعها في الدرج؟
- لا، سأعتني بالأمر. لكن أولاً، أود أن أجلس معها قليلاً.
- طبعاً.

مدَّ إيثان يده وتناول قبعته من فوق الميزان. عند الباب، توقف وألقى نظرة وراءه. كان الآن قد انزلق بالمقعد المستدير إلى جوار طاولة التشريح، وهو يمد يده نحو يد أليسا.





## 6

جلست تيريزا في الشرفة الأمامية تنتظر زوجها.

كانت أوراق شجرة الحور في الفناء الأمامي ترفرف وتتصاعد منها خشخشات عالية، والضوء المار عبر الغصون يبرقش ظللاً مرتجفة عبر العشب الأكثر خضرة من النجيل الصناعي.

لمحت إيثان سائراً في الشارع السادس، يتحرك بوتيرة أبطأ من سرعته المعتادة. غابت عنه طريقته الرشيقة في المشي، وبدا كأنه يزكُّ على ساقه اليمنى.

انعطف مفارقاً الرصيف وصعد الممشى الحجري. كان بمقدورها أن ترى أن المشي يؤلمه، لكن التوتر في وجهه تلاشى وراء ابتسامة عريضة عندما رآها.

قالت: "أنت تتألم.."

- لا شيء هناك.

نهضت تيريزا وهبطت الدرجات إلى العشب الذي كان باردًا بالفعل على قدميها المنتعلتين صندلاً خفيفًا.

رفعت يدها ولمست كدمة بنفسجية اللون على الجانب الأيسر من وجهه.

جفل.

- هل ضربك أحدهم؟

- لا، كل شيء بخير.

- ماذا حدث؟

- حطمت سيارة الدفع الرباعي.

- متى؟

- ليلة أمس. ليست مشكلة كبيرة.

- هل ذهبت إلى المستشفى؟

- أنا بخير.

- لم تذهب ليفحصوك؟

- تيريزا...

- ماذا حدث؟

- أرنب أو شيء من هذا القبيل جرى أمام السيارة. انحرفت كي أتفاداه؛ وانقلبت.

- انقلبت؟

- أنا بخير.

- سنذهب إلى المستشفى حالاً.
- انحنى وقبّل جبينها. قال: "لن أذهب إلى المستشفى، انسي ذلك. تبدين جميلة. ما القصة؟"
- أيجب أن تكون هناك قصة كي أبدو جميلة؟
- تعرفين ما أقصد.
- لقد نسيت.
- ممكن تمامًا. لقد كانت بضعة أيام جنونية. ماذا نسيت؟
- لدينا عشاء عند آل فيشر.
- هذه الليلة؟
- بعد خمس عشرة دقيقة.
- للحظة ظنّنت أنه سيقول إنهما لن يذهبا. أنهما سيلغيان الموعد. لا يمكنه أن يفعل ذلك؟ أليه تلك السلطة؟
- لا بأس. دعيني أخلع هذه الملابس القذرة، وسأنزل إليك بعد خمس دقائق.

\*\*\*

كانت تيريزا قد تحدثت مع السيدة فيشر منذ أسبوعين في سوق الفلاحين صباح السبت؛ حديثًا ودودًا بعد أن مدت كلتا يديها نحو نفس الخيارة.

ثم ذات مساء في الأسبوع الماضي، رن الهاتف في منزل آل بيرك. أتى على الطرف الآخر صوت امرأة قدمت نفسها بأنها ميجان فيشر. أرادت أن تدعو إيثان وتيريزا على العشاء يوم الخميس في الأسبوع التالي. هل يمكن أن ينضما إليهم؟

بالطبع كانت تيريزا تعرف أن إيثنان لم يستيقظ ذلك الصباح برغبة حارقة في التعرف على أصدقاء جدد. وكانت ميجان قد تلقت خطابًا في البريد يقترح عليها أن تتواصل مع آل بيرك. لقد تلقت تيريزا نصيها من خطابات شبيهة، وتصورت أنه على مستوى ما كان هذا منطقيًا. نظرًا إلى المحاذير المفروضة على التواصل الإنساني الحقيقي، لم تكن لتضع على عاتقها قط أن تبادر بالتعرف على جيرانها. كان كل شيء متوترًا وغريبًا.

لذا من الأسهل كثيرًا أن تكتفي بالاختفاء داخل عالمك الخاص.

\*\*\*

سارت تيريزا وإيثنان في منتصف الشارع يمسك بيدها اليسرى، وتيريزا تضم رغيفًا من الخبز في ذراعها اليمنى ما زال دافئًا من الفرن.

بوجود بن في البيت، بدا كأنها تسللت مع إيثنان خارجين إلى موعد غرامي الليلة.

حلت برودة المساء الثقيلة على الوادي. تأخرا بعض الشيء. مرت بضع دقائق بالفعل بعد الساعة. بدأ برنامج (العشاء مع هيكتير)، وتسلل الجمال المخملي لعزفه على البيانو عبر كل نافذة مفتوحة.

سألته تيريزا: "هل تذكر ماذا يعمل مستر فيشر؟"

- هو محام. وزوجته معلمة. معلمة بن.

بالطبع كانت تيريزا تعلم أنها معلمة بن، لكنها تمننت لو لم يذكر إيثنان هذا. كانت المدرسة مكانًا غريبًا. التعليم في باينز إلزامي من سن الرابعة إلى الخامسة عشر، والمنهج التعليمي لغز. لم تكن لديها أي فكرة عمًا كان يدرسه ابنها هناك. لم يكن لدى الأطفال واجبات

منزلية قط وكانوا ممنوعين من مناقشة ما يتعلمونه مع أي شخص، ويشمل ذلك آباءهم وأمهاتهم. لم يشركها بن قط في الأمر، ومن واقع معرفتها لم تحاول أبدًا أن تتطفل. الوقت الوحيد الذي كان مسموحًا لهم بالتطلع من نافذة ما على هذا العالم هو مسرحية نهاية العام. كانت تجري في يونيو، وفي أرجاء وايوارد باينز كان هذا الاحتفال ينافس الكريسماس وعيد الشكر. منذ ثلاث سنوات، أقيم مهرجان الأب حاول أن يدخل المدرسة عنوة. تساءلت تيريزا في نفسها عن مقدار ما يعرفه إيثنان.

"أي نوع من القانون يمارسه مستر فيشر؟" عرفت تيريزا أنه سؤال غبي. الاحتمال الأكبر أن مستر فيشر كان يجلس فيما يُدعى بمكتب صامت نادرًا ما يزوره أحد، ونادرًا ما يتصل به أحد طوال اليوم مثلها تمامًا.

قال إيثنان: "لست متأكدًا، يجب أن نضع هذا في قائمتنا من الأشياء التي يجب أن نتكلم فيها." وضغط على يدها. ثمّة تهكم في صوت زوجها. لم يكن لأحدٍ آخر أن يلتقطه، لكن بالنسبة إليها كان لاذعًا. تطلعت إليه وابتسمت. في أعينهما شيء مشترك وعارف: حميمية نكتة داخلية.

شعرت أنها أقرب ما تكون إليه منذ عودته.

يمكنها أن تتصور عمرًا يمرُّ في محاولة خلق مثل هذه الومضات من التواصل.

\*\*\*

يعيش آل فيشر في بيت مريح عند الطرف الشمالي للبلدة.

فتحت ميجان فيشر الباب قبل أن يجد إيثنان الفرصة حتى لطرقة. كانت في منتصف العشرينات من عمرها وشديدة الجمال في فستان

أبيض مطرز بالدانتيل بطول ذيله. وكانت عصابة الرأس البنية التي أبقّت شعرها إلى الوراء في نفس لون كتفيها المنمشتين المصطبغتين بسمرة التعرض للشمس.

ذُكّرت ابتسامتها تيريزا بابتسامة نجمة سينمائية: ابتسامة عريضة تكشف عن أسنانها، ولو حدقت إليها أقوى من اللازم ستجدها غير حقيقية تمامًا.

- مرحبًا بكما في بيتنا، تيريزا وإيثان! نحن سعيدان للغاية بزيارتكما!

قال إيثان: "شكرًا لكما على دعوتنا.."

قدمت تيريزا الخبز ملفوفًا في قماش.

مالت ميجان برأسها متمنعة: "ألم أقل لك لا تجلبي شيئًا؟" لكنها تقبّلته. "أوه، إنه ما زال دافئًا!"

- خارج من الفرن للتوّ.

- من فضلكما تفضّلًا.

رفعت تيريزا يدها ونقرت قبعة إيثان.

قالت ميجان: "يمكنني أخذها.."

فاح المنزل برائحة العشاء، وفاح العشاء برائحة طيبة. أتت الحرارة القادمة من المطبخ برائحة دجاج مشوي بالثوم والبطاطس.

كان براد فيشر في غرفة الطعام، يضع الرتوش الأخيرة على جلسة تكفي أربعة أشخاص حول مائدة مضاءة بالشموع.

سار إلى البهو مبتسمًا ومادًا يده. أكبر من زوجته بعامين أو ثلاثة وما زال يرتدي -كما خمّنت تيريزا- ملابس العمل. حذاء كلاسيكيًا أسود، بنطالًا رماديًا، قميصًا قطنيًا أبيض شمّر كميّه حتى منتصف

ساعديه. بدا أشبه بمحامٍ شاب، ينضح بمسحة من الذكاء الخشن المشاكس.

صافحه إيثنان.

- سيادة المأمور، من الرائع أن نستقبلك في بيتنا.

- من الرائع أن نكون هنا.

- أهلاً مسز بيرك.

- تيريزا من فضلك.

قالت ميجان: "لديّ بضعة أشياء يجب أن أنهيا قبل أن نجلس. هل تريدان أن تساعدني في المطبخ يا تيريزا؟ ربما يمكن للشابين أن يتمتعا بمشروب في الشرفة الخلفية."

\*\*\*

غسلت تيريزا كيسًا من خضراوات السلطة. عبر النافذة فوق الحوض، استطاعت أن ترى إيثنان وبرداد واقفين في العشب يحملان كأسين من الويسكي. لم تستطع أن تتبين إن كانا يتحدثان فعليًا. كان الفناء مسيجًا. استند بظهره إلى جرف ارتفع أكثر من ألف قدم في سلسلة من الصخور المتضائلة المرصعة بأشجار الصنوبر.

قالت تيريزا: "لديك بيت جميل يا ميجان."

- أشكرك. أنت لطيفة للغاية.

- أعتقد أنك تُدرسين لابني هذا العام.

لم تقصد أن تقولها. خرجت الكلمات هكذا. لعلها كانت لحظة محرجة، لكن ميجان تجاوزتها بلياقة.

- بالتأكيد. بن ولد جميل. واحد من المفضّلين لديّ.



ولم تزد على ذلك شيئاً.

مضت محادثتهما على نحو متقطع.

قطعت تيريزا ثمرة بنجر دافئة إلى حلقات أرجوانية زاهية.

تساءلت: "أين تريدني أن أضعها؟"

- هنا سيكون عظيمًا.

مدّت لها ميجان سلطانية خشبية وغرفت تيريزا البنجر بيديها الاثنتين. فكرت أن قطع البنجر كانت تفوح برائحة تشبه التراب بطريقة سارة على نحو غريب.

تساءلت ميجان: "أنت تعملين في العقارات، أليس كذلك؟"

- فعلاً.

- لقد رأيتك عبر النافذة الأمامية للمحل، تجلسين خلف ذلك المكتب.

ومالت لتسّر إليها: "أنا وبراد نحاول، لو تعرفين ما أقصد".

- فعلاً؟

- لو أفلحنا وأتى لنا مستر ستورك بعرض خاص، سنبحث في السوق عن مكان أكبر. وربما سنأتي لنراك. نجعلك وكيلتنا. تُرينا بعضاً من أفضل العقارات التي يمكن أن تقدمها باينز.

- سأحب أن أساعد.

كانت تيريزا ما زالت غير قادرة على تجاوز غرابة الوقوف في مطبخ ميجان كأن كل شيء طبيعي. لم تأت ميجان إلى البلدة إلا منذ بضعة أعوام، وكان اندماجها كارثياً. قامت بمحاولتين للهروب. حاولت أن تقتلع عيني المأمور السابق. ما زالت تيريزا تتذكر جلوسها إلى مكتبها ذات ظهيرة وهي تحدد عبر النافذة بينما تنهار ميجان في

منتصف الشارع الرئيسي في وضع النار، صارخةً بعلو صوتها: "ما خطب هذا المكان اللعين؟ ما خطب هذا المكان اللعين؟ لا أحد منكم حقيقي!" توقعت تيريزا مهرجانًا ذلك المساء، لكن الهواتف لم ترن قط. اختفت ميجان. بعد ثلاثة شهور، رأتها تيريزا من جديد في البلدة: ميجان سائرة على الرصيف وعليها هيئة سلام تام. وسرعان ما صارت تُعَلِّم في المدرسة. ثم تزوجت بـراد. وقد لعبت ميجان أدوارًا مهمة في مهرجانات تالية. بل إنها تجوّلت داخل الحلقة برافعة سيارات حديدية وجهت بها ضربة لهاربٍ يحترق.

والآن تطبخان معًا بينما زوجها ما يشربان الويسكي في الخارج.

تردد سؤال في خلفية ذهن تيريزا بينما تغسل البقع الأرجوانية من يديها: كيف كسروها في النهاية؟

\*\*\*

حدّق إيثنان إلى الجرف الصخري ورشف من الويسكي.

كان ممتازًا - شراب ويسكي صاف. بعيدًا عن البيرة السائبة فظيعة المذاق في حانة بيرجارتن، لا يمكنك أن تشتري خمرًا في البلدة بشكل منتظم. ظن إيثنان أنه فهم تفكير بيلتشر: كانت الحياة في وايوارد باينز صعبة بما فيه الكفاية. ووجود محل خمور قد يحوّلها كذلك إلى بلدة من السكارى في وقت قصير. لكن من وقت إلى آخر، كان بيلتشر يُطلق بضع زجاجات من الخمر الجيد للتداول. قد تظهر في متجر البقالة، أو كمشروبات باهظة الثمن في المطاعم. وعندما تعاني البلدة من فترة جفاف، يصنع الناس خمرهم بأنفسهم.

- لا بأس بالسكوتش يا إيثنان؟

- إنه رائع. أشكر.

براد فيشر.

لقد قرأ إيثن ملفه للمرة الثانية في الأسبوع الماضي فقط.  
وُلد في ساكرامنتو.

تخرج في كلية الحقوق بجامعة هارفارد.

مستشار عام لشركة مبتدئة في مدينة بالو ألتو.

كان براد مسافراً عبر أيدهو في رحلة صيفية بالسيارة لمدة أسبوعين مع عروسه الجديدة عندما توقفا لقضاء ليلة في وايوارد باينز. لم يكن التقرير محدداً حول إن كان بيلتشر قد رتب نفس النمط من حوادث التصادم التي استخدمها مع إيثن وكثيرين غيره.

مثل كل الآخرين في باينز، استيقظ آل فيشر بعد ألف وثمانمائة عام في هذه البلدة الأقرب إلى سجن جميل.

بعد خمسة شهور من وصولهما، تسلقت السيدة فيشر الأولى الصخور عند الطرف الشمالي من البلدة وقفزت من ارتفاع خمسمائة قدم إلى حتفها.

انفطر قلب براد، لكن عملية اندماجه، في غير ذلك، مضت بسلاسة. لا محاولات للهروب. ولا سلوك شاذ. كان هناك تقرير مراقبة واحد فقط في ملف الرجل. التقطته بضع كاميرات خارجية في تمشية متأخرة عن الوقت المسموح به ذات ليلة بعد شجار مع ميجان. تلقى التقرير في النهاية تأشيرة (لا يوجد نشاط مريب)، ولم يُثر براد الشك مرة أخرى.

تساءل براد: "كيف يسير بك الحال في الوظيفة الجديدة؟"

- لا شكواوى. بدأت أخيراً أعتاد الأمر. احك لي عن شركتك القانونية.

- أوه، لا شيء مميز. أنا وسكرتيري فقط. أسميها "ممارسة وراء الأبواب". أتعامل مع أي شيء يدخل من الباب.

كأن أحدًا دخل بابك أصلًا.

كانا واقفين في شبه الظلام في ظل الجرف وهما يشربان.

بعد قليل، قال براد: "أحيانًا أرى خرافًا جبلية أعلى تلك الصخور الحادة."

- أوه فعلًا؟ لم أر شيئًا منها قط.

مرت دقيقتان من الصمت ثم علّق إيثنان على حديثهما.

لم تكن فترات الصمت مزعجة تمامًا. بدأ إيثنان يفهم أن هذه الفترات من الهدوء المشترك في وايوارد باينز كانت طبيعية، متوقعة، حتمية. بعض الناس -بالطبيعة- كانوا أفضل في المحادثات السطحية من غيرهم. أفضل في التزام الخط، والابتعاد عن الموضوعات المحرمة. كان هناك كثير من التفكير قبل الكلام. أشبه بالعيش في رواية أخلاقية<sup>(1)</sup>. قابل إيثنان ساكنًا أو اثنين من أهل البلدة يمكنهم الانخراط بسرعة ودون جهد ظاهر في حديث طويل عن موضوع مقبول. لكن بشكل عام كانت الحوارات في باينز تسير بوتيرة محسوبة وثقيلة غالبًا، بإيقاع واضح الغرابة عن العالم من قبل.

لقد مضى بعض الوقت منذ شرب إيثنان الخمر، وبالفعل شعر بخفة في رأسه. بمسافة مفاجئة عن اللحظة التي أزعجته. وضع كأس الويسكي على السياج وتمنى ألا يمضي وقت أطول من ذلك قبل أن تدعوها زوجها إلى المائدة.

\*\*\*

---

(1) رواية الأخلاق هي عمل خيالي يعيد خلق عالم اجتماعي، وينقل مع ملاحظة مفصلة تعقيد العادات والقيم والأعراف للمجتمع الطبقي. تهيمن الأعراف السلوكية للمجتمع على حبكة القصة، ويتم تمييز الشخصيات حسب الدرجة التي يجتمعون بها أو يفشلون في تلبية معيار موحد للسلوك الاجتماعي المثالي، على النحو الذي حدده المجتمع. (المترجم)

كان العشاء لطيفًا تقريبًا.

استمروا في الأحاديث التافهة ولم يتوقف الكلام إلا بضع مرات.

حتى في تلك المرات القليلة، بين صلصلة أنية المائدة وعزف هيكتّر جايثر على البيانو في الراديو ذي الأنابيب، لم يكن الصمت مقلقًا.

كان إيثنان متأكدًا إلى حدّ ما أنه رأى هذه الغرفة من قبل على واحدة من شاشات بيلتشر. إذا لم يكن مخطئًا، ثمة كاميرا مزروعة في حائط الجبس عند زاوية السقف أعلى دولا ب الصيني.

كان يعرف حق المعرفة أن التجمعات التي تضم ثلاثة أشخاص أو آخر لها أولوية في المراقبة لدى فنيي المراقبة عند بيلتشر. كانوا مراقبين في هذه اللحظة بالذات.

\*\*\*

بعد التحلية، لعبوا بنك الحظ. كانت ألعاب الطاولة ذات شعبية هائلة في حفلات العشاء. بقواعدها المحددة في وضوح، كانت تسمح للناس بالضحك والمزاح والتفاعل بعفوية أكبر وبإحساس مشترك بوجود هدف ومنافسة.

الرجلان ضد المرأتين.

استولت تيريزا وميجان على (المتنزه) و(الممشى الخشبي) مبكرًا.

وركز إيثنان وبراد على البنية التحتية: السكة الحديد والخدمات ومحطات المياه.

قبل الساعة التاسعة والنصف بقليل، وضع إيثنان حذاءهما المعدني الصغير على الممشى الخشبي.

وتبع ذلك الإفلاس.

\*\*\*

لوح آل بيرك مودعين آل فيشر عند نهاية ممر السيارات، والزوجان الشابان واقفان متعانقي الذراعين في ضوء مصباح الشرفة الأمامية. تبادلوا الصياح حول مقدار ما نالوا من متعة. ووعدوا بأن يلتقوا معًا مرة أخرى قريبًا.

سار إيثنان وتيريزا إلى البيت.

لم يكن هناك أحد غيرهما.

تعالى صرير صرصور ليل من سماعة مخبأة في شجيرة مرًا بها، وضبط إيثنان نفسه يتظاهر بأنه صرصور حقيقي. أن كل هذا حقيقي. دعكت تيريزا ذراعيها.

سألها إيثنان: "أتريدين سترتي؟"

- أنا بخير.

قال إيثنان: "زوجان لطيفان.."

- من فضلك، لا تفعل هذا معي أبدًا يا حبيبي.

- أفعَل ماذا.

رمقت إيثنان في الظلام وقالت: "أنت تعرف."

- لا أعرف.

- الحوارات السطحية. ملء الصمت بالهراء. أفعَل هذا كل يوم في حياتي، وسوف أستمر في فعله كما يقال لي. لكنني لا أستطيع تحمُّل ذلك معك.

جفل إيثنان بداخله.

تساءل إن كان هناك أي ميكروفون في الجوار يلتقط حديثهما. من خبرته المحدودة في الجبل وفحص تقارير المراقبة، عرف أن سماع

المحادثات خارج البيوت بوضوح مسألة حظ. حتى لو كانت تُسجَل، لم يبدو أن تيريزا تخالف بوضوح أي قاعدة. لكنها كانت تنحرف بشكل خطير مقتربة من المنطقة الرمادية. كانت تعترف بالغرابة وتعبر عن عدم الرضا عن شكل الأشياء. على الأقل، سيخرج تقرير عن حديثهما الأخير.

قال إيثن بصوتٍ يعلو قليلاً عن الهمس: "احتريسي."

أفلتت يده وتوقفت في منتصف الشارع، محدقة إليه عبر عينين بدأتا تغيمان بالدمع.

تساءلت: "ممن؟ منك؟"

\*\*\*

في منتصف الليل، رن هاتف إيثن.

نزل إلى الطابق الأرضي ورفع السماعة.

قال بيلتشر: "آسف بشأن هذه المكالمة المتأخرة.."

- لا بأس. هل كل شيء بخير؟

- تبادلت حديثاً مع آلان هذا المساء، قال إنكما تكلمتما في المشرحة اليوم.

- نعم، كان متعاوناً.

قال بيلتشر بصوت أجش كأنه على وشك البكاء: "هذا صعب.."

إيثن، يجب أن تعرف شيئاً."

# 7

## قاعة محاضرات كان جامعة نورثويسترن شيكاغو، 2006

كانت قاعة المحاضرات ذات الألف مقعد في كامل سعتها وغشت عينيه الأضواء الساطعة من حفرة الأوركسترا. منذ عشرين عامًا، كان إلقاء محاضرة أمام قاعة ممتلئة كفيلاً بأن يصيبه بأرقٍ يستمر أيامًا، لكنه تخطى هذا الانفعال منذ زمن. لم تكن هذه الجولة من المحاضرات، بعيدًا عن جذب تمويلات ضرورية للغاية، ستدفعه ليقترّب بأي شكل من إكمال عمله. كل ما أراه مؤخرًا أن يبقى في مختبره. بما أنه لم يبق إلا سبع سنوات في هذا العالم، كان في حاجة إلى أن يستفيد من كل لحظة.



عندما خفت صوت التصفيق، اغتصب ابتسامته، ورفع عينيه من فوق أوراقه، وأراح يديه على المنبر.

يمكنه أن يتلو الافتتاحية من الذاكرة. اللعنة! يمكنه أن يتلوها كلها من الذاكرة، باعتبار أن هذه هي محاضراته العاشرة والأخيرة في الجولة. بدأ: "الحياة المرجأة ليست مفهومًا خاصًا بالعلم في القرن العشرين. نحن لم نبتكرها. إنها تنتمي، مثلها مثل كل الأغاز الكبيرة في الكون، إلى الطبيعة. انظروا إلى بذرة نبات اللوتس. ما زال في إمكانها أن تنبت بعد ألف وثلثمائة عام. لقد اكتُشفت جراثيم بكتيرية في كتلة عسل نحل متبلورة، محفوظة بشكل مثالي وقادرة على الحياة بعد عشرات الملايين من السنين. ومؤخرًا، أعاد علماء من جامعة ويست تشيستر بنجاح إحياء بكتيريا حُبست لمدة 250 مليون عام داخل بلورات ملح، مدفونة في عمق كبير تحت الأرض.

يبدو أن فيزياء الكم تشير إلى إمكانية السفر في الزمن، ورغم أنها مثيرة للاهتمام؛ فإن هذه النظريات لا تنطبق على الجسيمات على المستوى دون الذري. لا يحتاج السفر الحقيقي عبر الزمن إلى ثقوب دودية أو مكثفات التدفق."

انطلقت ضحكات مكتومة عبر قاعة المحاضرات. دائمًا ما تثير هذه الجملة الضحك.

ابتسم أمام كل هذه الوجوه التي لا يستطيع رؤيتها.

حتى كأنها غير موجودة.

لا شيء إلا طاقة الحشد والأضواء وحرارتها.

قال: "السفر الحقيقي عبر الزمن هنا بالفعل، وكان موجودًا منذ دهور، يحدث في الطبيعة، وهنا يجب أن ننظر نحن العلماء."

كانت محاضرة تقديمية لمدة أربعين دقيقة، وطوال هذا الوقت، كان عقله في مكان آخر: في تلك البلدة الصغيرة.. وايوارد باينز، أيدهو، التي كانت تبدو أقرب إلى الوطن أكثر وأكثر.

مع مساعدته في تجميع الناس، خافير، الذي وعده بتقديم عشرة "مجندين" جدد قبل نهاية العام.

مع المرحلة الأخيرة من أبحاثه وعملية البيع الوشيكة للجيش التي ستمول كل شيء قادم بالكامل.

عندما انتهى، تلقى الأسئلة، أناس يصطفون وراء ميكروفون موضوع أمام الممر المركزي.

أتى السؤال الرابع من طالبة بيولوجيا ذات شعر أسود طويل. كان هو السؤال الحتمي الذي يأتي في لحظة ما خلال كل محاضرة من محاضراته.

قالت: "شكرًا جزيلاً لقدمك يا دكتور بيلتشر. كان وجودك في الحرم الجامعي خلال الأيام القليلة الماضية امتيازًا كبيرًا."

- لي السعادة والشرف.
  - لقد تحدثت كثيرًا عن التطبيقات الطبية بالنسبة إلى الحياة المرجأة - واستخدامها لإبقاء مرضى الصدمات في حالة كمون حتى يمكن تقديم الرعاية المناسبة. لكن ماذا عما ألمحت إليه في بداية حديثك؟
  - تقصدين السفر في الزمن؟ الجزء الممتع؟
  - بالضبط.
  - حسنًا، كنت أحاول فقط أن ألفت انتباهكم.
- ضحك الجميع.

قالت الطالبة: "وقد أفلحت.."

- تسأليني إن كنت أعتقد أنه ممكن.

- نعم.

خلع نظارته، ووضعها على غلاف أوراقه الجلدي. وقال: "حسنًا، أكيد أنه من الممتع الحلم بذلك، أليس كذلك؟ اسمعي، جرت اختبارات ناجحة على الفئران -توقيف حياتهم بخفض درجة حرارة الجسم- لكن كما يمكنك أن تتخيلي، فإن الحصول على بشر كموضوعات اختبار يتقدمون لإجراء مثل هذه التجارب مسألة أخرى تمامًا. خاصةً بالنسبة إلى حالة السبات طويلة المدى. هل هو ممكن؟ نعم. أعتقد هذا. لكننا ما زلنا بعيدين بعقودٍ من الزمان. أخشى أن الحياة المرجأة -حاليًا- كتطبيق للسفر عبر الزمن بالنسبة إلى البشرية هي مادة روايات الخيال العلمي السيئة".

\*\*\*

كانوا ما زالوا يصفقون عندما خرج من فوق خشبة المسرح.

وكانت المرافقة الشابة المجتهدة بشكل مفرط تنتظر في الكواليس بابتسامة عريضة.

- كان هذا رائعًا يا د. بيلتشر، أوه يا إلهي! أنا متأثرة جدًا.

- أشكرك يا أمبر. سعيد لأنك استمتعتِ بالمحاضرة. هل تمنعين

الآن في إرشادي إلى أقرب مخرج؟

- وماذا عن توقيع كتابك؟

- أحتاج أولاً إلى استنشاق بعض الهواء النقي.

قادته عبر الممرات وراء الكواليس، مرورًا بحجرات الملابس، إلى زوج من الأبواب في مؤخرة المبنى بجوار رصيف شحن.

سألته: "أكل شيء على ما يرام يا دكتور بيلتشر؟"

- طبعًا.

- وهل ستعود؟ إنهم مصطفون بالفعل أمام طاولة توقيعك. ولديّ أيضًا كتاب لتوقعه لي.

- لن أفوت ذلك.

دفع ديفيد البابين المزدوجين وخطا خارجًا إلى الزقاق.

استقبله الظلام والهدوء والبرد خير استقبال.

فاحت رائحة النتن من حاويات القمامة القريبة وكان بمقدوره سماع وحدات التدفئة المركزية أعلى قاعة المحاضرات وهي تهدر من بعيد.

إنها الفترة بين عيد الشكر والكريسماس، وفصل الخريف الدراسي يقترب من نهايته، رائحة الأوراق الميته في الهواء، والهدوء الذي يخيم على أي حرم جامعي قبل أسبوع الامتحانات.

ركوبته -سيارة شيفروليه سوداء- مصفوفة في الزقاق.

جلس أرنولد بوب، متدثرًا بسترته الثقيلة الواقية من المطر- على غطاء المحرك، يقرأ كتابًا على ضوء عمود النور.

سار ديفيد إليه.

سأله أرنولد: "كيف سار الأمر؟"

- انتهت، هذه الجولة انتهت، وهذا شيء طيب.

- هل انتهيت من التوقيع بالفعل؟

- سأفوته. هدية صغيرة لنفسي.
  - مبروك. هيا نعيديك إلى وسط البلد.
  - وأغلق أرنولد الكتاب ذا الطبعة الشعبية.
  - ليس بعد؛ أريد أن أقوم بتمشية صغيرة في أرجاء الحرم الجامعي أولاً. لو جاؤوا يسألونك عني...
  - لم أرك قط.
  - أنت رجل صالح.
- ربت ديفيد على ذراعه، وسار إلى نهاية الزقاق. كان بوب معه منذ أربعة أعوام، عُيِّن في البداية سائقًا، لكن مع خلفيته في سلطة إنفاذ القانون سمح له ديفيد بتوسيع نشاطاته لتشمل أعمال التحقيق الخاصة.
- كان الرجل موهوبًا ومتمكنًا ومخيفًا.
- أصبح ديفيد مقدرًا ليس فقط لمهارة بوب في التحريات، لكن أيضًا لنصحه. أصبح بوب ساعده الأيمن بسرعة.
- بعد أن تجاوز معهد شيريدان للتكنولوجيا والتعليم المتقدم، وجد نفسه بعد قليل يدخل حقلًا مفتوحًا.
- ورغم تأخر الوقت، توهج الضوء وراء نوافذ المكتبة بزجاجها الملون.
- كانت السماء صافية، والقمر يصعد فوق أبراج مبنى قوطي كبير من بعيد.
- كان قد ترك معطفه في السيارة، واخترقت الريح الباردة سترته الصوفية قادمة من البحيرة التي كانت تبعد عنه مسافة أقل من رُبْع ميل.
- لكنها بدت لطيفة.

أحس بشعور طيب.

بأنه حي.

بعد أن قطع نصف مرج (ديرينج ميدو)، التقط رائحة دخان  
سيجارة يحملها النسيم.

بعد خطوتين، تعثّر فيها تقريبًا.

لحق نفسه، وترنّح متراجعًا.

رأى جمرة التبغ أولاً، وبعد ذلك تأقلمت عيناه مع سنا القمر  
المتزايد، ورأى الفتاة وراءها.

قال: "آسف، لم أرك في البداية."

تطلعت إليه حيث جلست وركبتها مضمومتان إلى صدرها.

كانت تسحب أنفاسًا عميقة من السيجارة، والجمرة تتوهج  
وتخبو، ثم تتوهج وتخبو.

حتى في الضوء الشحيح، استطاع أن يتبين أنها لم تكن طالبة هنا.

جثا ديفيد على ركبتيه.

تطلعت إليه بحدة.

كانت ترتجف.

وكانت حقيبة الظهر في العشب إلى جوارها محشوة إلى آخرها.

سألها: "أأنت بخير؟"

- نعم.

- ماذا تفعلين هنا؟

- وما شأنك أنت بحق اللعنة؟ هل أنت أستاذ جامعي هنا؟

- لا.

- حسنًا ماذا تفعل أنت هنا في البرد والظلام؟

- لا أعرف. احتجت فقط إلى أن أبتعد عن الناس دقيقة. أصفي ذهني.

قالت وهي تدخن: "أعرف هذا الشعور."

عندما فارق القمر أبراج المبنى خلفهما، أضاء نوره وجه الفتاة.

كانت عينها اليسرى مسودّة ومنتفخة ونصف مغلقة.

قال: "لقد ضربك أحدهم.." ونظر إلى حقيبة ظهرها مرة أخرى: "أنت وحدك؟"

- بالطبع لا.

- لن أبلغ عنك.

كانت قد دخنت سيجارتها حتى بلغت أصابعها. ألقتها في العشب، وأخرجت واحدة أخرى من جيبها، وأشعلتها.

قال ديفيد: "هذا مضر بك فعلاً كما تعلمين."

هزت كتفيها، وقالت: "ما هو أسوأ ما يمكن أن يحدث؟"

- قد تموتين.

- نعم، سيكون هذا مأساويًا للغاية.

- كم عمرك؟

- كم عمرك أنت؟

- سبعة وخمسون.

مد ديفيد يده في جيبه، أمسك محفظته، وأخرج منها كل ما فيها من نقود.

- هذا أكثر قليلاً من مائتي دولار...

- لن أمص لك قضيبك.

- لا، لا أريد... أريدك فقط أن تأخذي هذا.

- بجد؟

- نعم.

كانت يداها ترتعشان من البرد وهي تتناول بهما لفة النقود.

سألها ديفيد: "هل ستجدين لنفسك فراشاً دافئاً الليلة؟"

- نعم، لأن الفنادق تؤجر الغرف لمن هم في الرابعة عشر من عمرهم طوال الوقت.

- الجو هنا قارس البرودة.

تكلّفت الابتسام، وفي عينيها بدت لمعة من الحيوية: "لديّ وسائلي، لن أموت الليلة، لا تقلق. لكني سأحصل على وجبة ساخنة. أشكرك."  
نهض ديفيد.

سألها: "منذ متى وأنت وحدك؟"

- أربعة شهور.

- الشتاء قادم.

- أفضل أن أجمّد حتى الموت من العودة إلى دار الرعاية. لن تفهم...

- كبرتُ في حي جميل في جرينويتش، كونكتيكت. بلدة صغيرة  
ظريفة على مبعدة أربعين دقيقة بالقطار من محطة جراند  
سنترال. سياجات خشبية. أطفال يلعبون في الشوارع. كان  
ذلك في خمسينيات القرن العشرين. ربما لا تعرفين من يكون



نورمان روكويل، لكن بلدتنا من نوعية الأماكن التي كان ليرسمها. عندما كنت في السابعة من عمري، تركني والدي مع جليسة أطفال ذات مساء من يوم جمعة. كانا ذاهبين بالسيارة إلى المدينة لتناول العشاء ومشاهدة عرض ما. لكنهما لم يعودا قط.

- تركاك؟

- ماتا في حادث سيارة.

- أوه.

- لا أظن أبدًا أنك تعرفين ما وراء الآخرين.

سار مبتعدًا، وساقا البنطال تحفان في العشب.

هتفت وراءه: "سأكون قد رحلت قبل أن تخبر رجال الشرطة بأنك رأيتني. قال ديفيد: "لن أخبر رجال الشرطة."

بعد بضع خطوات أخرى، توقف.

ألقي نظرة وراءه.

ثم سار عائداً.

قالت: "عرفت أنك منحرف لعين.."

- لا، أنا عالم. اسمعي، يمكنني أن أعطيك عملاً حقيقياً. مكاناً دافئاً تقيمين فيه. أمناً من الشوارع ورجال الشرطة ووالديك ودور الرعاية وأياً كان ما تهربين منه.

- اغرب عن وجهي.

- أنا مقيم في فندق دريك بوسط البلد. اسم عائلتي بيلتشر. ستكون هناك بالفعل غرفة خاصة بك في انتظارك لو غيرت رأيك.

- لن أنتظر لو كنت مكانك.

نهض واقفاً.

- اعتني بحالك. أنا ديفيد بالمناسبة.

- أتمنى لك حياة لطيفة يا ديفيد.

- ما اسمك؟

- وما شأنك؟

- لا أعرف بأمانة.

دارت بحدقتها في عينها، ونفثت خيطاً من الدخان. ثم قالت:  
"باميلا.. بام."

\*\*\*

تسلل ديفيد بهدوء إلى داخل جناحه بالفندق وعلق معطفه على  
المشجب بجوار الباب.

كانت إليزابيث جالسة في الصالون، تقرأ على الضوء الرقيق لمصباح  
على حامل تدلى فوق المقعد الجلدي بجوار النافذة.

كانت في الثانية والأربعين من عمرها، وقد بدأ شعرها الأشقر  
القصير يفقد حيويته - أصفر يميل إلى الفضي.  
جمال شتوي مبهر.

قالت: "كيف سار الأمر؟"

مال وقبّلها: "مضى على نحو رائع."

- هذا يعني أنك انتهيت؟

- انتهينا. سنعود إلى الديار.

- تقصد إلى الجبل.

- تلك هي الديار الآن يا حبيبتى.

سار ديفيد إلى النافذة وأزاح الستائر الثقيلة. لم يكن هناك أي مَطل على المدينة. فقط أضواء حركة المرور المتأخرة على طريق شاطئ البحيرة وهوّة البحيرة السوداء خلفه تفغر فاهها متثابّة في الظلام.

عبر الجناح وفتح باب غرفة النوم بحرص.

تسلل إلى الداخل.

لا صوت لوقع خطواته فوق السجاد السميك.

استغرقت عيناه لحظة لتأقلم مع الظلام. ثم رآها. متكورة على الفراش الوسيع. كانت قد ركلت عنها الأغذية وتدحرجت إلى الحافة. أعادها إلى وسط الحشية وغطاها مرة أخرى وأراح رأسها برفق على الوسادة.

أخذت فتاته الصغيرة نفسًا عميقًا، لكنها لم تستيقظ.

مال فوقها، وقبل وجنتها وهمس: "أحلامًا حلوة يا أليسا يا حلوتي."

عندما فتح باب غرفة النوم، كانت زوجته واقفة هناك.

- ما الخطب يا إليزابيث؟

- سمعت طرقة للتو على الباب.

- ومن كان؟

- فتاة مراهقة. قالت إن اسمها بام. وأنت أخبرتها أن تأتي إلى

هنا. هي في انتظارك بالرواق.

## القسم الثاني



## 8

أنهى توبياس ربط كيس خيمته الواقية وهبط من فوق شجرة الصنوبر. في الضوء الشحيح، جلس القرفصاء فوق دائرة الصخور وهو يقدح قطعة الصوان بالحجر، مستجمعاً شجاعته. كانت مخاطرة، دائماً مخاطرة. لكن مرّت أسابيع منذ شعر لآخر مرة بوهج النار. منذ نزع أوراق الصنوبر في وعاء به ماء يغلي وترك شيئاً دافئاً يسيل على حلقة. كان قد استكشف المنطقة بالكامل. لا آثار أقدام. لا براز حيوانات. لا شيء يشير إلى تردد أي شيء على المكان باستثناء ظبية وصغيريها. فقد رأى خصلة من شعر أبيض خشن عالقة في أشواك شجيرة من توت العليق.

أصاب بشرارة قماش الاشتعال السريع. تصاعد لهب أصفر وعلق بحزمة من نبات الظيان الأبيض الذي يشبه لحية رجل عجوز، حزمة

مربوطة بغصن مفكوك من نار ميتة. اشتعلت أطراف النصال الجافة ذات اللون الخمري. وتصاعدت دوائر الدخان منها. امتلأ قلبه ببهجة بدائية.

أقام توبياس مخروطاً من العصي فوق أسنة اللهب المتنامية، ومديه ليدفئهما. لم يكن قد استحم منذ آخر عبور قام به للنهر. كان هذا منذ شهر على الأقل. ما زال يتذكر عندما لمح انعكاسه في تيار الماء المنساب والصافي كالزجاج: لحية وصلت إلى عظم قفصه الصدري، وجلد انغرست فيه القذارة. بدا أشبه بإنسان الكهف.

أضاف توبياس قطعة حطب واحدة إلى النار ومال مستنداً إلى الشجرة. أحسّ بأمان معقول في هذه الغيضة الصغيرة من أشجار الصنوبر، لكن لا يوجد منطق للتمادي في الاعتماد على الحظ الذي اعتمد عليه مرات كثيرة من قبل حتى يدفعه إلى التخلي عنه.

من قرار حقيبة ظهره المموهة، أخرج غلاية المخيم المصنوعة من التيتانيوم سعة لتر واحد وملأها إلى منتصفها بماء من آخر زجاجاته المتبقية.

أسقط فيها حفنة من أوراق الصنوبر ذات الرائحة الحادة، مقطوعة للتو من أغصانها.

استرخى في جلسته منتظراً أن يغلي مشروبه الساخن شاعراً أن هذه هي لحظته الأقرب إلى البشرية منذ عصور.

\*\*\*

شرب وعاء منقوع الصنوبر وترك النار تهمد. قبل أن يفقد نورها تماماً، تفحص محتويات حقيبة ظهره.

ست زجاجات مياه سعة لتر واحد، ما زالت نصف واحدة فقط مملوءة.

حجر وصوان.

صندوق إسعافات أولية لا يوجد به إلا قرص مُسكّن واحد.

كيس جاف ملآن باللحم المقدد.

غليون، علبة كبريت، وآخر ما لديه من تبغ، كان يحتفظ به لليلته الأخيرة - إن أتت أصلًا - في البرية.

آخر علبة لديه من خراطيش وينشستر 30-30.

مسدس سميث آند ويسون عيار 357 نفدت ذخيرته منذ أكثر من عام.

كيس لحقيبة الظهر.

دفتر يوميات مغلف بالجلد ومحفوظ في كيس بلاستيك.

أخرج عصا من اللحم المقدد وقشر عنها طبقة العفن. سمح لنفسه بخمس قضمات صغيرة قبل أن يعيدها إلى الكيس. أنهى منقوع الصنوبر وأعاد وضع كل شيء في الحقيبة. وضعها على كتفه، وتسلق العشرين قدمًا إلى مكمنه في الشجرة وربط حقيبة ظهره في أحد الأغصان.

فك حذاء تسلق الجبال - بُلي نعلاه منذ زمن طويل من كثرة الوطأ وبدأ جلده يتشقق - وربطه في الشجرة. أخرج ذراعيه من معطفه الطويل. كان من المفروض أن يحظى هذا المعطف بالتنظيف قبل شهور، لكنه كان ما زال يبقيه دافئًا.

ناور بجسده حتى دخل كيس خيمته الواقية وأغلق على نفسه السحاب.



أف! رائحته نتنة. بدا كأنه طوّر عبقًا خاصًا به.

لن يتوقف عقله عن العمل.

كانت احتمالات أن يتعثّر حشد في هذه الغيضة من أشجار الصنوبر ضعيفة لا ريب. لكن مجموعة صغيرة أو فرد... احتمال أكبر.

كان التخيم في الشجر مسألة تحتمل الأمرين.

الأمر الطيب أنها تبعده عن خطوط التموقع الصريحة. في مرات لا حصر لها كان يسمع غصنًا ينكسر في منتصف الليل ويتقلب بهدوء ليحرق تحته بعشرين أو ثلاثين قدمًا إلى منحرف يزحف أسفله.

الأمر السيئ أنه لو تطلع واحد منهم إلى أعلى، فهو معلق في الشجرة.

مد يده ولمس المقبض الأملس المكسو بالجلد لسكينة الحربي.

كانت هي السلاح الحقيقي الوحيد في ترسانته. أما البندقية الونشستر فلن تفيده شيئًا في الصراع عن قرب، ولم يعد يستخدمها إلا لصيد طعامه.

كان ينام دائمًا ويده على سكينة، وأحيانًا يصحو في الظلام، بعد منتصف الليل، ليجد نفسه قابضًا عليها كأنها تعويذة. من الغريب أن يعتقد أن شيئًا بهذا العنف يكتسب في عقله مكانة مريحة مثله مثل ذكرى صوت أمه.

\*\*\*

ثم صحا.

استطاع أن يرى السماء عبر الأغصان فوقه.

تكتفت أنفاسه بخارًا في البرد.

كان الهدوء مطلقًا باستثناء دبيب قلبه النابض في السّحر.

مال بعنقه، وحدَّق أسفله إلى بقايا نار مخيمه.  
كان خيط الدخان الأبيض يتصاعد من الجمرات.

\*\*\*

مسح توبياس قطرات الندى عن الماسورة الطويلة لبندقيته عالية  
القوة ورفع الحقيبة على كتفه. سار إلى حافة الغيضة وقرص بين  
شجيرتين.

كان البرد لعينًا.

لا يمكن أن يكون أول صقيع في هذا الفصل على مبعده أكثر من  
ليلة أو ليلتين.

أخرج بوصلة من جيبه. كان يواجه الشرق. تصاعدت سلسلة من  
المروج والغابات تدريجيًا نحو سلسلة من الجبال في المدى البعيد.  
على مبعده خمسين أو ستين ميلًا ربما. لم يكن متأكدًا تمام التأكد،  
لكنه تمسك بأمل أن تكون ما حملت في زمن مضى اسم ساوتوث.  
لو كانت هي، فقد وصل تقريبًا إلى الديار.

رفع بندقيته إلى كتفه، وحدَّق عبر المنظار التلسكوبي في التضاريس  
أمامه.

لم تكن هناك نسمة واحدة.

وقفت الحشائش في الحقول المفتوحة بلا حراك.

على مبعده ميلين، ملح بيسون.. بقرة وعجلها يرعيان.

بدا الامتداد التالي من الغابة على مبعده ثلاثة أو أربعة أميال.  
وقت طويل سيقضيه في العراء. علَّق بندقيته على كتفه وسار مبتعدًا  
عن حمى الأشجار.

بعد مائتي ياردة، ألقى نظرة وراءه إلى غيضة الصنوبر المتصاغرة خلفه.  
كانت ليلة طيبة هناك.

نار وشراب ساخن وأقرب شيء لنوم مريح في الليل يمكن أن يصبو إليه في البرية.

سار في الشمس، شاعرًا أنه أقوى مما أحس به لأيام.

بين لحيته السوداء، وقبعة رعاة البقر السوداء، ومعطفه الأسود المتدلي حتى كاحليه، بدا أشبه بنبي متشرد أرسل ليجوب العالم.  
وربما كان كذلك، من بعض الوجوه.

لم يضع العلامة في دفتر يومياته بعد، لكنه كان اليوم رقم 1287 في رحلته المضنية.

كان قد وصل حتى المحيط الهادي غربًا وشمالًا حتى ما كان ذات يوم مدينة سياتل وميناءها العظيم.  
كاد يُقتل عشر مرات.

قتل أربعة وأربعين منحرفًا. تسعة وثلاثين بمسدس. ثلاثة بسكينه.  
واثنين في قتال يداً بيد اقترب من خسارته كثيرًا.  
والآن، كان في حاجة فقط إلى أن يعود إلى الديار.

ليس فقط من أجل الفراش الدافئ الذي ينتظره ووعد النوم دون خطر الموت المائل أبدًا. ليس فقط من أجل الطعام والجنس الذي حلم بممارسته طويلًا مع المرأة التي أحبها.  
لكن لأن لديه أخبارًا ينقلها.

والله لديه أخبار ينقلها.

مكتبة

t.me/soramnqraa

## 9

سار إيثنان وراء ماركوس في ممر المستوى الثاني مروراً بسلسلة من الأبواب تحمل لافتات: المختبر أ، المختبر ب، المختبر ج.

قرب نهاية الممر، وعلى مسافة صغيرة من الدَّرَج، توقف مرافق إيثنان عند باب محفورة في وسطه دائرة من الزجاج.

أخرج ماركوس بطاقته المفتاحية.

قال إيثنان: "لا أعرف كم سأظل بالداخل، لكنني سأجعلهم يبلغونك عندما أكون مستعداً للعودة إلى البلدة."

- لا توجد مشكلة. سأكون إلى جانبك طوال الوقت.

- لا، لن تكون.

- سيادة المأمور، أوامري...

- اذهب وابكِ لرئيسك. قد تكون سائقي، لكنك لست ظلي.  
ليس بعد الآن. وبينما تفعل ذلك، انتزع لي تقارير أليسا عن  
مهمتها.

خطف إيثنان بطاقة الرجل المفتاحية، ودفعها في جهاز القراءة،  
وجذبها إلى صدره. بعد أن عبر العتبة التفت وحدث في مرافقه بينما  
يغلق الباب في وجهه.

لم تكن الحجرة مظلمة، لكنها كابية؛ مثل دار سينما قبل خمس  
دقائق من بدء الفيلم. توهج صف من الشاشات -خمس بالطول  
وخمس بالعرض- على الحائط أمامه مباشرة. كان هناك باب آخر  
على يمين الشاشات يتطلب الدخول عبره بطاقة مفتاحية. لم يكن  
إيثنان قد مُنح حق الدخول إلى غرف المراقبة قط.

التفت إليه رجل يضع سماعة رأس ويجلس على مقعد دوار.

قال إيثنان: "قيل لي إن في إمكانك مساعدتي.."

نهض الرجل. قميص قصير الكمين مزين بربطة عنق مثبتة فيه.  
أصلع. له شارب. على صدره ما يشبه بقعة قهوة. بدا كأنه جزء  
أصيل من غرفة التحكم، وانبعثت من الحجرة بالتأكيد أجواء المراكز  
العصبية.

اقترب إيثنان من الرجل، لكنه لم يمد إليه يداً.

قال: "أنا واثق أنك تعرف الكثير عني، لكنني أخشى أني لا أعرف  
حتى اسمك."

- أنا تيد. أراس مجموعة المراقبة.

كان إيثنان قد حاول أن يجهز نفسه لهذه اللحظة. لمقابلة الرجل  
الثالث في طاقم بيلتشر، الرجل المكلف بالتجسس على أهل وايوارد

باينز في أكثر لحظاتهم خصوصية. وكانت الرغبة في كسر أنفه أقوى حتى مما توقعه إيثنان.

هل شاهدتني أنا وتيريزا معًا؟

سأله تيد: "أنت تتحرى حول مقتل أليسا؟"

- هذا صحيح.
- كانت امرأة عظيمة. أريد أن أقدم كل ما يمكنني فعله للمساعدة.
- سعيد بسماع ذلك.
- من فضلك، تفضل بالجلوس.

سار إيثنان وراء تيد إلى الشاشات. جلسا على مقعدين دوارين على عجلات. بدت وحدة التحكم مجهزة لإطلاق مركبة فضائية لكائنات غريبة. الكثير من لوحات المفاتيح وتكنولوجيات شاشات اللمس بدت أكثر تطورًا من أي شيء يتذكره إيثنان من عامله.

قال إيثنان: "قبل أن نبدأ، أريد أن أسألك شيئًا."

- طبعًا.
- كل ما تفعله هو الجلوس هنا والتجسس على الحيوانات الخاصة.. صحيح؟

غامت عينا تيد - أكان هذا شعورًا بالخزي؟

- تلك هي حياتي.
- هل كنت على معرفة بمهمة أليسا في البلدة؟
- نعم.

- حسنًا. إذن ها هو سؤالِي. أنت مسؤول عن أعقد نظام مراقبة رأيته في حياتِي. كيف فاتك مقتلها؟
- أنا لا ألتقط كل شيء هنا يا مستر بيرك. هناك آلاف الكاميرات في البلدة، لكن أغلبها داخل البيوت والبنيات. كانت لدينا شبكة خارجية أقوى عندما بدأت باينز منذ أربعة عشر عامًا، لكن عناصر الطبيعة ألحقت بها دمارًا كبيرًا. أتلقت الكاميرات. وقيدت على نحو جذري قدرتنا على الرؤية.
- إذن أيًا كان ما حدث لأليسا...
- حدث في بقعة عمياء، نعم.
- هذه البقاع العمياء - هل تعرف أين هي؟
- حوّل تيد انتباهه إلى أجهزة التحكم، وأصابعه تتحرك بسرعة الضوء على مجموعة من شاشات اللمس.
- اختفت لقطات البث من الكاميرات.
- امتزجت خمس وعشرون شاشة الآن في صورة واحدة - صورة من الجو لويوارد باينز.
- قال تيد: "إذن نحن ننظر إلى البلدة والوادي. تقريبًا كل قدم مربع من الأرض داخل حدود السور المكهرب. يمكننا أن نركز على أي مكان نريده." واقتربت الصورة بعدسة تكبير من المدرسة؛ وتجلت معدات الملعب في بؤرة التركيز.
- تساءل إيثان: "هل هذه الصورة في الوقت الحالي؟"
- لا. هذه صورة التَّقْطت منذ سنوات. لكنها الإطار الذي يعتمد عليه كل مسار تتبعنا.
- نقر تيد على الشاشة بأطراف أصابعه.

ظهر غشاء لوني.

غطى معظم المدينة.

أشار تيد إلى الشاشات.

- كل مكان ترى فيه هذا الغشاء اللوني، لدينا تغذية كاميرا  
حالية وقتية مستندة إلى رقاقة مجهرية. لكنك ستلاحظ بقعًا  
سوداء، حتى داخل الجزء المغطى.

نقر أزرار تحكّمه وملاً منزلاً واحد الشاشة. تغيّر المنظور الفوقي إلى  
منظر ثلاثي الأبعاد من مستوى الشارع. بضغطة من إصبعه، انزاحت  
النوافذ والكساء الخارجي الخشبي للبيت الفيكتوري وأصبحت الصورة  
مخططًا تفاعليًا.

- ستلاحظ وجود ثلاث نقاط عمياء في المسكن. لكن..

حلّ لون أحمر مصمت محل الغشاء اللوني الحاسوبي.

- لا يوجد ما نسميه "نقاط صماء". هذا المنزل، مثله مثل أي  
مسكن آخر في البلدة، به ما يكفي من ميكروفونات لالتقاط  
أي شيء يعلو على ثلاثين ديسيل.

- وكم يبلغ ارتفاع الصوت عند ثلاثين ديسيل؟

همس تيد: "قدر الهمس المسموح به في المكتبات." وأعاد الشاشات  
إلى الصورة الجوية لباينز مع الغشاء اللوني. "لذا، بعيدًا عن بضع  
نقاط عمياء في كل منزل، أغلب مباني باينز من الداخل مغطاة تمامًا.  
لكن ما إن تكون خارجًا، حتى في البلدة، يبدأ النظام في التصدع. انظر  
إلى كل المساحات السوداء. هناك فناء خلفي بلا أي مراقبة بصرية  
على الإطلاق. المقبرة كارثة - مجرد بضع كاميرات هنا وهناك. وكلما  
ابتعدت عن مركز البلدة نحو المرتفعات الصخرية، يزداد الأمر سوءًا.  
انظر إلى هذه النقاط العمياء في الناحية الجنوبية. مساحات تصل إلى



عشرين فدائنًا من الأراضي بلا مراقبة على الإطلاق. والآن لدينا -نظريًا- وسيلة للتعامل مع ذلك."

ضغط تيد شيئًا ما على إحدى لوحات المفاتيح.

تداخل عشاء لوني جديد مع الغشاء الحاسوبي السابق.

ظهرت مئات النقاط الضوئية الحمراء.

تجمعت أغلبيتها العظمى في مساحة نصف قطرها ستة مربعات سكنية قرب وسط البلدة.

بعضها يتحرك.

تساءل تيد: "هل تميز ماهيتها؟"

- الرقاقات المجهرية.

- نقرأ أربعمئة وستين إشارة. ينقصنا واحدة.

- هذا لأني أجلس هنا معك؟

- صحيح.

حرك تيد المؤشر فوق نقطة ضوئية ثابتة في مبنى بالشارع الرئيسي. نقر شاشة اللمس. انبثقت فقاعة نضيفة.

قرأ إيثان: "براد فيشر."

- أعتقد أنك تناولت العشاء مع براد وزوجته ليلة أمس.

الساعة الآن العاشرة وإحدى عشرة دقيقة صباحًا، ومستر

فيشر في مكتبه القانوني. حيث يُفترض أن يكون تمامًا. بالطبع

يمكن لهذه البيانات أن تُرسل بأي عدد من الوسائل.

اختفت كل النقاط الضوئية إلا نقطة فيشر.

بدأ الوقت المسجل أسفل الشاشة يجري إلى الوراء.

خرجت نقطته الضوئية من المبنى، واتجهت شمالاً في الشارع الرئيسي، ودخلت منزله.

تساءل إيثان: "إلى أي مدى يمكنك أن تعود بالزمن؟"

- إلى وقت إدماج مستر فيشر.

تنقلت النقطة الضوئية الحمراء بسرعة في كافة أرجاء البلدة.

شهور تدور عائدة.

سنين.

قال تيد: "ويمكنني أن أصنع له خط سير."

ظهر خط سير ارتسم بسرعة في كل مكان، كأن أحدهم يشخبط بقلم على الشاشة.

قال إيثان: "مدهش.."

- بالطبع أنت تفهم مشكلتنا.

- يعمل النظام إلى أن ينتزع الناس رفاقاتهم المجهرية.

- إنه ليس إجراء سهلاً أو بلا ألم. بالطبع أنت تعرف ذلك.

تساءل إيثان: "إذن ماذا تفعل بالضبط طوال اليوم؟"

- تقصد كيف يتعامل المرء مع مراقبة بلدة كاملة؟

- نعم.

- ضع على رأسك هذه السماعة.

رفعها إيثان من فوق لوحة التحكم.

"هل تستطيع أن تسمعني؟" أتى صوت تيد عاليًا وواضحًا عبر

السماعات.

- نعم.

جرت أصابع تيد على شاشات اللمس وتحولت صورة وايبورد باينز ومسار عمر براد فيشر من جديد إلى خمس وعشرين صورة منفصلة.

قال تيد: "أنا واحد من ثلاثة تقنيي مراقبة في الوقت الحالي. وراء ذلك الباب هناك، لدينا أربعة تقنيي مراقبة آخرين يراجعون اللقطات والمقاطع الصوتية المُبلَّغ عنها على مدار الساعة. يتتبعون الأشخاص المثيرين للاهتمام. يصيغون التقارير. يتواصلون مع فريقنا داخل البلدة. معك. هل تفهم كيف يجمع النظام البيانات ويصنفها؟"  
- لا.

- لن أقول إن الفيديو ليس مهمًا. لكن التسجيلات الصوتية هي أكثر ما نعتمد عليه بشدة. يستخدم نظامنا برنامج تمييز أصوات على أحدث تقنية، يميز كلمات ونبرات صوت معينة. لا ننظر من كئيب إلى الكلمات ذاتها بقدر ما نرصد المشاعر وراءها. لدينا أيضًا برنامج تمييز للغة الجسد، لكنه أقل كفاءة.

- هل يمكن أن توضح لي بمثال؟

- طبعًا. كن صبورًا معي. سيكون الأمر مربكًا في البداية.

بدأت الشاشات تتغير.

رأى إيثان:

امرأة تغسل أطباقًا

فصل في المدرسة، حيث تشير ميجان فيشر إلى سبورة سوداء

المتنزه على جانب النهر، خالٍ

رجل جالس على مقعد في منزل يحدق إلى الفراغ

رجل وامرأة يمارسان الجنس في حمّام

وهكذا.

صور تأتي أسرع وأسرع.

مقاطع صوتية مبتورة.

أجزاء من حوارات بلا معنى وخارج سياقها، مثل طفل يدير قرص راديو بين المحطات.

تساءل تيد: "هل لاحظت هذا؟"

- لا، ماذا؟

تجمدت الصور. ملأت إحداها الشاشات.

أطل المنظر من السقف على امرأة تستند إلى ثلاجة، وذراعاها المعقودتان مظللتان بالغشاء اللوني الحاسوبي.

قال تيد: "هاك، ذلك وضع دفاعي. أترى غشاء التمييز اللوني؟"

وقف رجل أمامها، لم يظهر وجهه في الكادر.

- لئز إن كان يمكننا أن نجد زاوية أفضل.

ماجت ثلاث زوايا مختلفة للكاميرا في المطبخ بسرعة أكبر من أن يستوعب إيثنان أيًا منها.

- لا، هذا أفضل ما يمكن الحصول عليه.

راقب إيثنان يد تيد اليمنى وهي ترفع شريط صوت رقمي.

أصبح الحوار الذي يسترقان السمع إليه واضحًا في سماعة رأسه.

قالت المرأة: "لكنني رأيتك معها."

قال الرجل: "متى؟"

- أمس. كنتما جالسين إلى نفس المنضدة في المكتبة العامة.

- نحن صديقان يا دونًا، هذا كل شيء.

- وكيف أعرف أن الأمر ليس أكثر من هذا؟

- لأنك تثقين بي؟ لأنني أحبك ولم أكن لأفعل أبدًا أي شيء يؤلمك؟

أغلق تيد الصوت وقال: "لا بأس. أتذكر هذين الزوجين. هو في الحقيقة يخونها. فعلها مع أربع نساء على الأقل فيما يمكنني أن أتذكر. شخص حثالة فعلاً."

- إذن لن تستمر في مراقبة هذا؟

نقر على لوحة المفاتيح وهو ما زال يتكلم: "لا، سنستمر. أضع علامة الآن على هذه التغذية من الكاميرات. في وقت لاحق اليوم، سيفحص واحد من فريقتي التقني لقطات السيد الخائن من الأسبوع الماضي أو نحو ذلك. سنتأكد من أن أيًا من أماكن لقاءاته السرية الغرامية ليس خارج المراقبة. ستكون تقارير المراقبة على مكثبي مستر بيلتشر وبام أول شيء في الصباح."

- وبعد ذلك؟

- سيتخذان ما يريانه ضروريًا من إجراءات.

- تقصد أنهما سيمنعانه من ممارسة ذلك؟

- إذا رأيا سلوكه خطرًا على السلم العام؟ بالقطع.

- ماذا سيفعلان به؟

تطلع إليه تيد من فوق أزرار التحكم وابتسم: "تقصد ماذا ستفعل أنت. الاحتمال الأكبر أنك من ستتعامل مع الأمر سيادة المأمور بيرك."

أعاد تيد ضبط الشاشات على منظر جوي واحد لوايوارد باينز.

- والآن بعد أن حصلت على فهم أساسي للطريقة التي يعمل بها نظامنا وقدراته، أنا تحت أمرك. ماذا تريد أن ترى؟

مال إيثنان إلى الورا في مقعده.

- هل يمكنك أن تتقصى مكان رقاقة تتبع أليسا؟

ظهرت نقطة ضوئية حمراء في منزل في الطرف الشرقي من البلدة.

قال تيد: "من الواضح أنها ليست هي. في ليلة وفاتها، أزالنا أليسا رقاقتها المجهريّة وتركتها في درج طاولة فراشها الجانيّة."

- لم أعرف حتى إن لبيلتشر ابنة. ترى كيف يتحمّل الأمر؟

- بأمانة، لا أعرف. ديفيد رجل معقد. يُقدّر التحكم في مشاعره قبل أي شيء. إنه يعاني الحسرة سرًا، أنا متأكد.

- أين والدة أليسا؟

- ليست هنا..

قالها تيد بنبرة تثبط أي تساؤل آخر.

- حسنًا، دعني أرى حركتها حول البلدة بالعودة إلى أسبوع واحد.

تحركت أصابع تيد فوق أزرار التحكم.

خرجت الإشارة الضوئية من المنزل، إلى الحدائق المجتمعية، وعادت.

ثم تحركت خارج المنزل وخارج الخريطة.

تساءل إيثنان: "أكان هذا في آخر مرة أتت فيها إلى داخل الجبل؟"

- نعم.

عادت رقاقة أليسا المجهريّة إلى داخل البلدة.

ذهابًا وإيابًا في الشارع الرئيسي.

الحدائق المجتمعية.

ثم البيت من جديد.

نهض إيثان من مقعده وتمطى بذراعيه فوق رأسه.

تساءل إيثان: "هل يمكنك تتبع رقاقة مجهرية أخرى؟"

- طبعًا. لمن؟

- كيت هيوسون.

- تقصد كيت بالينجر.

كتب تيد اسمها مستخدمًا لوحة المفاتيح ونقر لوحة أخرى بيده اليمنى.

تجسمت إشارة ضوئية ثانية في جزء آخر من البلدة.

تساءل إيثان: "هل من الممكن لك أن تعزل كل المواقع التي كانت فيها النقطتان في مكان واحد في نفس الوقت؟"

- هذا هو الكلام! كم المدة التي تريدنا أن نرجع إليها؟

- نفس النطاق الزمني. بدايةً من أسبوع مضى.

راقب إيثان الرجل المتحمس وهو يُدخل العوامل المتغيرة في حقل بيانات.

عندما تطلع إلى الشاشات من جديد، كانت هناك أربع إشارات مزدوجة على الخريطة الجوية.

- هل يمكنك...

- أن أتوصل إلى تغذية بالفيديو والصوت من كل مقابلة؟ ظننتك لن تطلبها أبدًا.

ضغط تيد على أول نقطتين مزدوجتين في الحدائق المجتمعية، وقال: "كان هذا هو اللقاء الأول. حدث منذ ستة أيام. أعطني لحظة.

دعني أعثر على أفضل زاوية" وتجول بين عدد من نقاط المراقبة - بسرعة أكبر من أن يتمكن إيثان من استيعاب أي شيء. "حسنًا، ها هي نقطتنا الأفضل".

ملأت كيت الشاشات. كانت ترتدي فستانًا صيفيًا، ونظارة، وقبعة من القش. تمسّحت نحو الكاميرا بين صفوف من أحواض الزهور المرتفعة. تدلّت سلة قماشية من إحدى ذراعيها، وقد امتلأت بالخضراوات والفواكه.

ملأت مؤخرة رأس شخص ما الجزء الأدنى من الشاشات.

تساءل إيثان: "أهي أليسا؟"

- نعم.

رفع تيد الصوت.

كيت: لا مزيد من التفاح؟

أليسا: لا، انتهى بسرعة.

مدت كيت يدها داخل سلتها وناولت أليسا شيئًا ما.

قال إيثان: "أوقف الصورة.."

ثبتت الصورة - وذراع كيت ممدودة.

تساءل إيثان: "ما هذا؟"

- تفاحة خضراء؟

شغل تيد الفيديو.

كيت: تأتين لنا دائمًا بأجمل الفواكه والخضراوات. فكرت أن أحضر

لك شيئًا من حديقتي الخاصة.

أليسا: يا لها من فلفلة رائعة!



كيت: أشكر.

أليسا: سأتناولها الليلة.

تحركت كيت خارج الكادر.

تساءل تيد: "هل تريد أن تراه مرة أخرى؟"

- لا، شغل الفيديو التالي.

شاهدا كيت وأليسا تلتقيان ثلاث مرات أخرى.

في اليوم التالي، في الشارع الرئيسي، مرّت المرأتان إحداهما بالأخرى وهزّت أليسا رأسها.

في اليوم التالي، عند المنتزه إلى جانب النهر، تقاطعت سبلهما مرة أخرى.

أومات أليسا برأسها هذه المرة.

قال تيد: "تري عم كان كل هذا؟" وألقى نظرة نحو إيثان: "هل لديك أي أفكار؟"

- ليس بعد.

شغل تيد لقاء أليسا وكيت الأخير.

حدث يوم وفاة أليسا في الحداثق المجتمعية، وكان التفاعل متطابقًا مع لقاءهما الأول.

توقفت كيت عند كشك خضراوات أليسا.

تبادلتا بضع كلمات.

ثم ناولتها كيت فلفلة رومية أخرى.

أوقف تيد الفيديو.

قال إيثان: "ربما توجد رسالة ما في تلك الفلفلة."

- وماذا تقول؟
- لا أعرف، مكان وموعد لقاء؟ تعليمات لأليسا حول كيفية إزالة رقاقتها؟ فسّر لي شيئاً. أفهم أنه عندما يزيل هؤلاء المتجولون رقاقتهم لا يمكنك تتبعهم. لكن ألا تستمر الكاميرات في التقاط تحركاتهم؟
- لا.
- لا؟
- كاميراتنا تستشعر فقط قرب وحركة الرقاقت المجهريّة.
- ماذا يعني هذا بالضبط؟
- اسمع، لا سبيل لمراقبة هذه البلدة باستخدام آلاف الكاميرات التي تعمل جميعاً في وقتٍ واحد. أغلب الوقت، ستعمل الكاميرات في الفراغ وتهدر طاقتنا. لذلك تستشعر كاميراتنا الرقاقت. بمعنى آخر، تكون الكاميرا في وضع السكون إلى أن تتحرك رقاقة في نطاق جهاز الاستشعار. لا تنقل الكاميرا مقطّعاً مصوراً إلا عندما تستثيرها رقاقة. وحتى عندئذٍ، عندما تظل رقاقة بلا حراك لمدة خمس عشرة ثانية، تعود الكاميرا إلى وضع السكون.
- إذن ما تقوله إن...
- لا تدور الكاميرات طوال الوقت. عندما يزيل مواطن رقاقتة، يصبح شبحاً بشكلٍ عملي. بطريقة ما، توصل هؤلاء المتجولون إلى طريقة لمناورة النظام.
- أرنبي.
- عرض تيد صورة جديدة وقال: "ها هي آخر ثلاثين ثانية لدينا لكيت في ليلة مقتل أليسا."

على الشاشات، ظهرت غرفة نوم.  
دخلت كيت الغرفة ترتدي قميص نوم ينسدل حتى ركبتها.  
تبعها زوجها.  
صعدا إلى الفراش معًا، وأطفأ الأنوار.  
انتقلت الكاميرا المعلقة في السقف إلى الرؤية الليلية.  
رقد الزوجان في سكون تام على الفراش.  
بعد خمس عشرة ثانية، أظلمت الصورة.  
في المرة التالية التي عادت فيها إلى العمل، كان الضوء يملأ الغرفة،  
وكيت وزوجها معتدلان في جلستهما على الفراش.

قال إيثان: "يعيدان وضع رقاقتيهما.."

- نعم. لكن في الليل، من نحو العاشرة والربع إلى السابعة  
والنصف في الصباح التالي، كانا شبحين. وفي تلك الفترة من  
الوقت، فقدت أليسا حياتها.

نظر إيثان إلى تيد، وقال: "لهذا يقيم بيلتشر المهرجانات، أليس  
كذلك؟ هل أنا على حق؟ ليس هذا فقط لأنه يريد أن تضبط  
البلدة نفسها. بل لأنه عندما يزيل أحدهم رقاقتيه، يحتاج بالفعل إلى  
مساعدتنا للعثور عليه."

\*\*\*

قام إيثان باستدعاء ماركوس.  
عندما وصل مرافقه، قال إيثان: "أريد أن أرى مقر أليسا."  
صعدا على السلم طابقين إلى المستوى الرابع.

بعد خمس خطوات في الممر، عرف إيثنان أي باب ينفتح على غرفة أليسا من باقات الزهور الطازجة المتناثرة على البلاط. تساءل إن كان ييلتشر قد أرسل أحدهم إلى البلدة من أجلها. امتلأ محيط إطار الباب برسائل قصيرة وبطاقات بريدية وصور فوتوغرافية ولافات. أيًا وكيفما كانت أليسا، فهي امرأة محبوبه داخل الجبل على الأقل.

قال المرافق: "سيدي، أتيت بهذه التقارير التي طلبتها."

ناول ماركوس ملف أوراق لإيثنان.

قال إيثنان: "أود أن أدخل الغرفة."

- بالطبع.

أخرج ماركوس بطاقته المفتاحية، ودفعها عبر الماسح الضوئي.

أدار إيثنان مقبض الباب، ودخل.

كانت مساحة معيشة ضيقة.

بلا نوافذ.

لا تزيد على مائة قدم مربع.

وُضع سرير مفرد عند الحائط المقابل. ثمة مكتب، وخزانة أدراج، وحائط من رفوف الكتب التي حمل نصفها كتبًا، ونصفها الآخر صورًا فوتوغرافية في إطارات.

تفحصها إيثنان، كل الصور لنفس المرأة في مراحل مختلفة من العمر - من فتاة صغيرة إلى امرأة في الخمسين.

والدة أليسا؟

جلس إيثنان على فراش أليسا.

كان الحائط المقابل لرفوف الكتب جدارية متقنة لشاطئ: أشجار نخيل، مياه خضراء على شعاب مرجانية داكنة، رمال بيضاء، سماء باقية إلى الأبد على حالها.

مال إيثنان بظهره غائصًا في الوسائد، ورفع حذاءه على الفراش. ابتسم.

من زاويته، عندما تحدّق في الجدارية يبدو كأنك هناك، تضطجع في الرمال، محدّقًا في ذلك الخط الوهمي للأفق حيث يلتقي البحر بالسماء.

حمل الملف عنوان: "المهمة #1055 ملف متابعة" فتحه.

خمس صفحات.

خمسة تقارير.

اليوم #5293

من: أليسا بيلتشر

إلى: ديفيد بيلتشر

المهمة #1055

تقرير اتصال #1

الموضوع: المواطنة 308، المدعوة كيت بالينجر

جرى أول اتصال في الساعة 1125 تقريبًا عند ناصية الشارع الرئيسي والشارع التاسع. رسالة قصيرة مُرّرت إلى كيت بالينجر تقول: "سئمت من كوني مراقبة". التقاء قصير للنظرات. لم يجر تبادل للكلام. لم يحدث أي اتصال آخر في تاريخه.

اليوم #5311

من: أليسا بيلتشر

إلى: ديفيد بيلتشر

المهمة #1055

تقرير اتصال #2

الموضوع: المواطنة 308، المدعوة كيت بالينجر

بعد ثمانية عشر يومًا من أول اتصال، اقتربت بالينجر مني في الحدائق وأعطتني فلفلة رومية. كانت الفلفلة مشقوقة وبداخلها رسالة قصيرة تقول: "رقاقة التبع في عضلة باطن الركبة بساقك اليسرى. انتزعيها في خزانة، لكن احتفظي بها معك حتى إشعار آخر". أعطني لي موعدان محتملان لتأكيد أني أزلت الرقاقة. الأول في الساعة 1400 اليوم 5312، والموعد التالي في الساعة 1500 اليوم 5313. لو فشلت في إزالة الرقاقة بحلول يوم 5313، لن يحدث بيننا أي تفاعل آخر. لم يحدث أي اتصال آخر في تاريخه.

اليوم #5312

من: أليسا بيلتشر

إلى: ديفيد بيلتشر

المهمة #1055

تقرير اتصال #3

الموضوع: المواطنة 308، المدعوة كيت بالينجر

في الساعة 1400، مررت ببالينجر وهي تسير جنوبًا في الشارع الرئيسي بالقرب من تقاطعه مع الشارع السادس. هززت رأسي. لم يحدث أي اتصال آخر في تاريخه.

اليوم #5313

من: أليسا بيلتشر

إلى: ديفيد بيلتشر

المهمة #1055

تقرير اتصال #4

الموضوع: المواطنة 308، المدعوة كيت بالينجر

في الساعة 1500، مررت بالينجر تسير جنوبًا على الدرب جهة  
النهر. أومأت لها برأسي. ابتسمت. لم يحدث أي اتصال آخر في تاريخه.

اليوم #5314

من: أليسا بيلتشر

إلى: ديفيد بيلتشر

المهمة #1055

تقرير اتصال #5

الموضوع: المواطنة 308، المدعوة كيت بالينجر

عادت بالينجر إلى كشكي في الحدائق بفلفلة رومية أخرى. تقول  
الرسالة القصيرة داخلها: "الليلة في الواحدة صباحًا. ضريح المقبرة.  
اتركي رقاقتك في الطاولة بجوار سريرك. البسي سترة لها غطاء رأس".  
سأتابع بتقرير جديد غدًا.

\*\*\*

سار إيثان في ممر المستوى الثالث ومرافقه في أثره.

في منتصف الممر، توقف عند زوج من الأبواب المزدوجة. عبر الزجاج، رأى مباراة كرة سلة كاملة تدور وقائعها أمامه. فريق يرتدي قمصانًا أمام فريق من عراة الصدور. صوت ارتطام الكرة بالأرضية الخشبية الصلبة. صرير الأحذية. لجزء من الثانية، انتابته فكرة مجنونة أن ينضم إلى المباراة.

تابع السير.

- هل تمنع لو سألتك شيئًا يا ماركوس؟

- تفضّل.

- كم عمرك؟

- سبعة وعشرون.

- وكم المدة التي عشتها هنا في مجمع البنية الفوقية؟

- أخرجني مستر بيلتشر من حالة الإرجاء منذ عامين لأحل محل حارس قُتل في مهمة خارج السور.

- يعرف كل من في الجبل ما هم مقدمون عليه عندما يوقَّعون مع بيلتشر، أليس كذلك؟

- هذا صحيح.

- إذن لماذا تفعلها؟

- أفعل ماذا؟

توقف إيثنان خارج الباب المؤدي إلى الكافيتريا.

واجه ماركوس.

- لماذا تلقي بحياتك القديمة مقابل هذا؟



- لم ألق شيئاً يا مستر بيرك. هل تعرف ماذا كنت في حياتي القديمة؟

- ماذا؟

- مدمن ميثامفيتامين وسكّير.

- وماذا؟ وجدك بيلتشر؟ أعطاك فرصة كي تحقق كل ما تريد؟

- قابلته خارج السجن - بعد عقوبة بالسجن ثلاث سنوات عن التسبب في القتل وقيادة مركبة من دون رخصة. كنت منتشياً وسكراناً وقتلت أسرة ليلة رأس السنة. رأى فيّ شيئاً لم أعرف بوجوده من قبل.

- ألم تكن لديك أسرة؟ أصدقاء؟ حياة كانت على الأقل ملكك؟ ما الذي جعلك تثق به في المقام الأول؟

- لا أعرف، لكنه كان على حقّ، أليس كذلك؟ نحن جزء من شيء ما هنا يا مستر بيرك. شيء مهم. كلنا.

- الأمر هو كما يلي يا ماركوس، ولا أريدك أن تنسى هذا أبداً. لم يسألني أحد أو يسأل أي شخص في ذلك الوادي إن كنا نريد أن نكون جزءاً من هذا بحق اللعنة.

تابع إيثنان سيره.

عند أسفل الدرج المؤدي إلى المستوى الأول، استوقفته ضجة ما.

كان ماركوس يدفع بطاقته بالفعل عند مدخل الباب الزجاجي إلى المغارة.

سار إيثنان في الممر.

- إلى أين أنت ذاهب يا مستر بيرك؟

كانت الضجة صادرة عن شيء يصرخ.

شيء شيطاني.

معدَّب.

غير بشري.

لقد سمعته من قبل وشعر بالبرودة حتى النخاع.

- مستر بيرك!

كان إيثنان يهرول في الممر الآن، والصرخات تزداد ارتفاعاً.

- مستر بيرك!

توقف عند نافذة عريضة.

حدَّق عبر لوح الزجاج داخل مختبر.

كان هناك رجلان في معطفي معمل أبيضين ومعهما ديفيد بيلتشر.

أحاطوا بمنحرف.

كان المخلوق مربوطاً بأحزمة إلى طاولة فولاذية نقالة.

أحاطت القيود الجلدية السميقة بساقيه، أسفل ركبتيه وأعلاهما.

واحد بعرض جذعه.

وواحد حول كتفيه.

وخامس يؤمِّن رأسه.

ثُبت معصماه السميكان وكاحلاه إلى جوانب النقالة بأساور فولاذية من العيار الثقيل، وكان المخلوق يتشنج أسفل الأحزمة الجلدية كأنه يعاني من صعق كهربائي.

قال ماركوس بعد أن وصل إلى جوار إيثنان: "لا ينبغي لك أن تكون

هنا.."

- ماذا يفعلون به؟

- هيا، فلنذهب. لن يكون مستر بيلتشر سعيدًا لو رأى...

دقّ إيثنان على الزجاج.

قال ماركوس: "يا إلهي!"

التفت الرجال.

عبس العالمان.

قال بيلتشر شيئًا لهما ثم سار إلى مدخل المختبر. عندما انفتح الباب، تعالت صرخات المنحرف، وترددت أصداؤها في جنبات الممر كأنها شيء يصرخ مستغيثًا من الجحيم.

انغلقت الأبواب بخفة.

- إيثنان، أي خدمة؟

- كنت في طريقي إلى الخارج. وسمعت صرخات.

التفت بيلتشر نحو لوح الزجاج. كان المنحرف قد هداً أو أهلك نفسه من المجهود. رأسه فقط هي التي كانت تتحرك تحت الحزام، وتقلصت صرخاته إلى أصوات كالنعيب. استطاع إيثنان أن يرى قلبه الضخم يدق بجنون وراء جلده الشفاف. لم تكن هناك أي تفاصيل واضحة. مجرد لون وشكل وحركة، كلها غائمة كأنها وراء زجاج مغبش.

قال بيلتشر: "عينة مثيرة، أليس كذلك؟ فحل وزنه ثلاثمائة وسبعة عشر رطلاً. واحد من أكبر الذكور التي رأيناها حتى الآن. تحسب أنه يمكن أن يكون الذكر المهيمن على قطيع كبير الحجم، لكن واحدًا من قناصي لمحله قادمًا من الوادي الضيق هذا الصباح، وحده تمامًا. تطلب الأمر أربعمائة ملليجرام من مخدر تيلازول كي يسقط. هذه

هي الجرعة التي يتطلبها تخدير ذكر بالغ كامل النضج من نمر الجاجوار. وكان ما زال واهن الحركة عندما وصلنا إليه."

- كم المدة التي يمكن أن يبقيه هذا مخدراً؟

- هذه المهدئات لا تعمل إلا نحو ثلاث ساعات. بعد ذلك، يجدر بك أن تحبسهم، لأنهم يكونون في حالة ثورة عارمة عندما يستفيقون.

- إنه فتى ضخم!

- أضخم من ذلك الذي اشتبكت معه بالتأكيد. أعتقد أنه من المنطقي قول إنك لو قابلت هذا الفحل في الوادي الضيق، لما كنا نتحدث الآن.

- ماذا تفعل به؟

- نستعد لإزالة غدة في أسفل عنقه.

- لماذا؟

- يتواصل المنحرفون من خلال الفرمونات؛ وهي إشارات يحملها الهواء تعطي معلومات وتستثير استجابات.

- ألا يفعل البشر الشيء ذاته؟

- نعم، لكنه على مستوى أكثر غريزية وأوسع بكثير بالنسبة إلينا. الجاذبية الجنسية. تعرّف الأم على الوليد والعكس. يستخدم المنحرفون الفرمونات كما نستخدم الكلمات.

- إذن لماذا تقطع لسان هذا الشيء فعلياً؟

- لأن آخر ما نريده منه أن يخبر كل أصدقائه أنه في أزمة. لا تفهمني خطأ. أنا أحب السور. أنا أثق بالسور. لكن وجود

عدة مئات من المنحرفين على الجانب الآخر يحاولون تصور كيف ينقذون أحاهم يجعلني منزعًا قليلًا.

نظر بيلتشر إلى خصر إيثان وقال: "ما زلت لا تضع مسدسك."

- أنا هنا. في الجبل. ما الفائدة؟

- الفائدة يا إيثان أن طلبت منك أن تفعل هذا. إنه شيء بسيط، أليس كذلك؟ ضع مسدسًا في كل الأوقات، أظهر الجانب اللعين منك !

عاد إيثان ليحرق عبر الزجاج.

كان أحد العالمين منحنيًا فوق وجه المنحرف، يسلط قلمًا ضوئيًا في عينه اليسرى بينما المخلوق يصدر صوتًا كالفيح.

بدا أنه ما بين ستة وسبعة أقدام طولًا.

ذراعاه وساقاه أشبه بحبال من أنسجة الفولاذ المفتولة.

لم يستطع إيثان أن يرفع عينيه عن الوحش.

مخالبه السوداء في طول أصابعه.

تساءل إيثان: "هل هم أذكاء؟"

- يا إلهي! نعم.

- في ذكاء الشمبانزي؟

- أمخاهم أكبر من أمخاينا. وبسبب حواجز التواصل

الواضحة، يغدو اختبار ذكائهم -وفق شروطنا- إشكاليًا. لقد

جربت مجموعة من الاختبارات الاجتماعية والبدنية، والمسألة

ليست أنهم لا يمكنهم حلها. هم فقط يرفضون. الأمر أشبه

بأن أحاول اختبارك وأنت تقول لي أن أضع الاختبار في مؤخرتي

بالعرض. أقصد ذلك النوع من الاستجابة. أسرنا عينة مطواعة

بعض الشيء منذ عدة شهور. موجودة في القفص التاسع.  
معدل عدائية منخفض. ندعوها مارجریت.

- إلى أي حد منخفض؟

- أعطيتها اختبارات تذكُر وأنا جالس وراء طاولة أمامها في قفصها. وكان ورائي حارسان يصبوان بندقيتين مشحونتين باثني عشر خرطوشًا إلى صدرها. لكنها رغم ذلك لم تُظهر أي علامات عدوانية.

- كيف تختبرها؟

- بلعبة ذاكرة بسيطة للأطفال. تعال معي.

طرق بيلتشر على الزجاج ورفع إصبعًا واحدًا للعالمين.

تحركا عبر الممر نحو الأبواب الزجاجية في الطرف البعيد، وماركوس في أثرهما على مسافة عشرة أقدام.

- أستخدم بطاقات كرتونية صغيرة. جانب منها فارغ. والآخر به صورة فوتوغرافية: ضفدع، دراجة، كوب لبن. أرتبها بحيث يكون الجانب الذي يحمل الصورة مكشوفًا على الطاولة وبعد ذلك أترك مارجریت تراها. نبدأ برقم بسيط. خمس بطاقات. ثم عشر. لديها دقيقتان لتفحصها. ثم أقلب البطاقات بحيث لا ترى الصور. وأمد يدي في كيس يحوي نسخًا مكررة من البطاقات. أريها مثلًا البطاقة التي تحمل صورة كوب اللبن، وهي تلمس بمخيلها البطاقة المطابقة على الطاولة. وأقلبها لأرى إن كانت أصابت.

- وكيف تبلي في الأمر؟

- لقد وصلنا يا إيثان إلى مائة وعشرين بطاقة، لا تستغرق مارجریت أكثر من ثلاثين ثانية لتذكر مواقعها.

- واستطاعت أن تتذكرها كلها بشكل صحيح؟

أوماً بيلتشر برأسه وقال بصوت خالطه الفخر: "تذكّر تام". توقف وأشار إلى نافذة صغيرة في باب لم يبدُ من نقطة دخول إليه إلا مدخل بطاقة مفتاحية. "أحتفظ بها هنا. أتود مقابلة مارجریت؟"

- ولا حتى قليلاً.

انعكس من الزجاج وهج قادم من مصابيح الفلورسنت المعلقة.

أحاط إيثنان وجهه بيديه وهدق في القفص.

قال بيلتشر: "أعرف ما تفكر فيه، لكنني لا أعتقد أنها شاذة، أقصد ذكاءها. هي فقط مختلفة المزاج. وهو ما لا يعني أنها لن تقتلع حلقي إذا اعتقدت أنها يمكنها أن تفلت من العقاب."

كان القفص مجرد أرضية وجدران وسقف ووحش.

جلس الشيء المدعو "مارجریت" في ركن الحجرة وقد تكورت ساقاها إلى صدرها. راقبت النافذة في الباب بعينين صغيرتين غائمتين لا ترمشان أبداً.

- لقد علّمتها بالفعل اثنتين وخمسين علامة. هي متعلمة بالفطرة. تريد التواصل. لسوء الحظ، بنية حنجرتها مختلفة عنا بما يجعل نقطة إخراج الأصوات، على الأقل بالمعني الذي نفهمه، مستحيلة.

بدت المنحرفة كأنها في حالة تأمل.

خطر لإيثنان أن رؤية أحد هذه المخلوقات جالساً في هدوء وإذعان شيء أكثر إثارة للقلق بالقطع.

قال بيلتشر: "لا أعرف إن كنت قد رأيت تقرير هذا الصباح."

- لا، جئت إلى هنا مباشرةً.

- سنخرج مواطنًا مستقبليًا من حالة الإرجاء. واين جونسون. إنه يومه الأول. لعله يستيقظ في المستشفى فيما نحن نتكلم. تتولى بام عملية التوجيه. سنى كيف سيسير الأمر، لكن ربما تُستدعى للمساعدة في الأيام القادمة.
- لا بأس.
- أمل أن يكون تيد في قسم المراقبة متعاونًا.
- كان كذلك.
- إذن ستتواصل مع شريكك القديمة قريبًا؟
- الليلة أو الغد.
- ممتاز. ألدك خطة لعب؟
- أعمل عليها.
- ستقدم لي تقريرًا يوميًا عن تقدمك في العمل.
- قال إيثان: "ديفيد، بشأن مكالمتك الهاتفية ليلة أمس."
- انسها. فقط اعتقدت أنه ينبغي لك أن تعرف.
- أردت أن أخبرك مرة أخرى كم أنا آسف على خسارتك. لو احتجت أي شيء...
- حدق بيلتشر في إيثان، بعينين تستعران غضبًا لكن صوته كان باردًا وهو يقول: "اعثر على من فعل هذا بفتاتي الصغيرة. هذا هو كل ما أحتاج إليه منك. لا مزيد."





## 10

كانت بام جالسة على طرف الفراش بزى الممرضات الكلاسيكي  
عندما أفاق واين جونسون.  
لوقتٍ طويل، رقد بلا حراك تحت اللحاف، يطرف بعينيه ناظرًا  
إلى السقف.  
أخيرًا اعتدل جالسًا ونظر إليها.  
كان عاري الصدر، يغزو الصلع رأسه.  
في الثانية والأربعين من عمره.  
لم يتزوج قط.  
بلا أطفال.

كان واين قد جاء إلى وايبورد باينز، آيداهو، في الثامن من أغسطس عام 1992، كبائع جوال للموسوعات. وصل في وقت متأخر وطرق خمسة أبواب. في المساء، بعد عملية بيع واحدة، حجز غرفة في فندق وايبورد باينز وسار بعد ذلك إلى مطعم عائلي الطراز. في الطريق، صدمته دراجة نارية عند مفترق الطرق، حادث تصادم وهروب مثالي - صدمة رأس كافية لأن يفقد وعيه، لكنها ليست كافية لقتل مخه أو إتلافه بشكل دائم.

في ضوء موت بيتر ماكول منذ ليلتين عند السور، كانت البلدة متأهبة لتقديم مواطن جديد.

كان جلد واين جونسون ما زال يبدو رماديًا. لم تكن قد مرت إلا عشر ساعات على نقل الدم بعد حالة الإرجاء، لكن لونه سيعود إلى طبيعته قبل نهاية اليوم.

ابتسمت بام وقالت: "أهلاً بك يا هذا."

ضيق عينيه ناظرًا إليها، لعل رؤيته ما زالت مشوشة مع عودة نظامه للتشغيل.

دارت عيناه في أرجاء الحجرة.

كانا في الطابق الرابع من المستشفى. النافذة مواربة والستائر الكتانية البيضاء تتحرك جيئة وذهابًا مع ارتفاع وانخفاض النسيم، في إيقاع ثابت كأن الحجرة ذاتها تتنفس.

قال واين جونسون: "أين أنا؟"

- وايبورد باينز.

جذب الأغطية حول عنقه، لكن لم يكن الاحتشام دافعه من ذلك.

- أنا... أتجمد.

- طبيعي تمامًا. ستشعر بتحسن قبل نهاية اليوم، أعدك بذلك.

قال الرجل: "حدث شيء ما.."

- نعم. حدث شيء ما. هل تذكره؟

ضاقت عيناه.

سألته بام: "هل تذكر اسمك؟"

فقدان ذاكرة كلي، خاصةً خلال الثماني والأربعين ساعة الأولى، يحدث في تسعة وثلاثين بالمائة من الحالات.

- واين جونسون.

- جيد جدًا. هل تذكر ما جاء بك إلى هنا؟

- جئت لأبيع موسوعات؟

- نعم. حسنًا. هل قمت بأي مبيعات؟

- لا أذكر... واحدة. أعتقد. نعم. عملية بيع واحدة.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- كنت ذاهبًا لتناول العشاء و...

استطاعت أن ترى ذكرى الصدمة تعاوده بثقلها، أن ترى الخوف وظل الخوف يمر على وجهه.

- صدمني شيء ما. لا أعرف ما هو. لا أتذكر شيئًا بعد ذلك.

هل هذه مستشفى؟

- نعم. وهذه بلدتك الآن.

- بلدي؟

- هذا صحيح.

- أنا لا أقيم هنا. أعيش في سكوتسبَلَف، نبراسكا.

- كنت تعيش في سكوتسبَلَف، لكنك تعيش هنا الآن.

اعتدل واين في جلسته بعض الشيء.

كان هذا هو الجزء المفضَّل غالبًا لدى بام في عملية الإدماج. أن تراقب مواطنًا جديدًا وهو يبدأ في استيعاب أن حياته -أو أيًا كان هذا الوجود الجديد- قد تغيرت بلا رجعة. لا شيء يفوق المهرجانات، لكن هذه اللحظات من الكشف الهادئ المدمر كانت -على الأقل بالنسبة إليها- هي التالية في الترتيب وبفارق بسيط.

سألها واين جونسون: "ماذا يعني هذا بالضبط؟"

- يعني أنك تعيش هنا الآن.

أحيانًا يصلون ما بين النقاط وحدهم.

وأحيانًا يكون عليها أن تنخسهم للسير على الخط.

انتظرت دقيقة، مراقبة العجلات وهي تدور في جنون وراء عيني مستر جونسون.

قال أخيرًا: "في الحادث... هل أصبت؟"

مدَّت بام يدها عبر الفراش وربتت على البروز الذي كان ساقه تحت الأغطية.

- أخشى ذلك.

- أصبت إصابة عنيفة؟

أومأت برأسها.

- هل أنا...؟

تطلع حوله في حجرة المستشفى.

نظر إلى يديه.

كان بمقدورها أن تشعر بالسؤال آتياً.

أرادته أن يأتي.

كان يسير على رؤوس أصابعه إلى حافته.

- هل أنا...؟

وبام تقول في عقلها: اسأله. اسأله فقط. كانت البيانات حاسمة: في كل مرة تقريباً يصل فيها مواطن إلى السؤال وحده ويجد الشجاعة لنطقه، تسير عمليه دمجها دون عوائق. أما الفشل في طرح السؤال فكان مؤشراً دقيقاً بشكلٍ مرعب على الكافرين والمقاتلين والهاربين. أغلق واين فمه.

ابتلع السؤال كأنه حبة دواء مُر.

لم تدفعه بام نحوه. لا جدوى من ذلك.

ما زال الوقت مبكراً.

ما زال هناك الكثير من الوقت لجعل مستر جونسون يعتقد أنه ميت.



# 11

جلس إيثان إلى طاولة بجوار النافذة في مقهى (ستيمينج بين)، يرشف الكابوتشينو ويراقب محل اللعب في الناحية الأخرى من الشارع. يحمل اسم (كنوز خشبية)، وملحقة به ورشة يقضي فيها رجلٌ اسمه هارولد بالينجر عطلات نهاية الأسبوع في صناعة اللعب. وتعمل في المتجر زوجته كيت بالينجر، كيت هيوسون سابقًا، زميلة إيثان في الخدمة السرية سابقًا.

لم يتحدث إيثان إليها إلا مرة واحدة فقط منذ قدومه إلى وايوارد باينز، وسط عملية إدماجه المرعبة، لكن منذ أصبح مأمورًا، لم يتبادلا كلمتين معًا، وتمكّن من تجنّبها تمامًا.

والآن ها هو يتفحصها من وراء الزجاج.



كانت جالسة عند ماكينة النقود في متجر اللعب الفارغ من الناس، مستغرقة في كتاب. الوقت وقت الأصيل والضوء مائل عبر زجاج الواجهة يشعل شعرها الذي شاب قبل الأوان محوًّا إياه إلى كتلة من الوهج اللامع الذي يكاد يغطي الأبصار.

كانه سحابة متكوّمة سقطت عليها إضاءة خلفية من نور الشمس.

كان قد قرأ ملف إقامتها. قرأه عدة مرات.

عاشت كيت في وايوارد باينز نحو تسع سنوات. عندما جاء للبحث عنها، كانت في السادسة والثلاثين. ستكمل الخامسة والأربعين خلال ثلاثة أسابيع. في حياتهما السابقة، كان يكبرها بعام، أما الآن فهي تسبقه بثمانية أعوام.

كشف ملفها عن عملية إدماج وحشية.

قاومت، وحاولت أن تهرب، واختبرت صبر بيلتشر إلى درجة أنه كان على وشك أن يأمر بإقامة مهرجان عليها.

ثم... رضخت ببساطة.

استقرت في منزلها المحدد.

استقرت في وظيفتها المحددة.

وبعد عامين عندما جاء القرار عن طريق مأمور بيلتشر وقتها، تزوجت هارولد بالينجر وانتقلت إلى منزله دون أدنى احتجاج.

ولمدة خمس سنوات، كانا مواطنين نموذجيين.

جاء أول تقرير مراقبة بسبب جملة مسموعة من الميكروفون المعلق فوق فراشهما.

عبارة هامسة لكنها بلغت معدل الديسيبل القابل للاكتشاف.

صوت كيت: آل إنجلر وآل جولدن معنا.

ثم لا شيء لمدة شهر حتى ظهرت رقاقة كيت المجهريّة ذات ليلة في الساعة الثانية صباحًا في المقبرة.

تتبعها المأمور بوب. وجدها تتجوّل وحدها. استجوبها لكنها تظاهرت بالجهل. قدمت اعتذاراتها. كذبت وقالت إنها تشاجرت مع هارولد، وكانت في حاجة إلى بعض الهواء النقي.

وقعت حادثة أخيرة بعدها بيومين؛ اختفاء هارولد وكيت لمدة ساعة داخل خزانة غرفة نومهما، والتي تصادف أن تكون إحدى النقاط العمياء في المنزل.

جرى الإبلاغ عن اللقطة، وخرج تقرير، لكن لم يتبيّن شيء من الأمر.

وطوال عام ونصف لم تكن هناك أي تقارير أخرى إلى أن أرسل تيد من قسم المراقبة مذكرة إلى بيلتشر وبام.

قرأها إيثنان وهو يرشف الكابوتشينو.

اليوم #5129

من: تيد أبشو

إلى: ديفيد بيلتشر

الموضوعات: المواطنان 308 و294، المدعوان كيت وهارولد بالينجر

لقد انتابني شكٌّ متزايد طوال الشهور القليلة الماضية، وهو ما أشعر بوجوبية أن أشاركه معك الآن. بعد منتصف الليل، كل بضعة أسابيع، وفي أحد عشر منزلًا نعرفها بمنازل (بالينجر، إنجلر، كيري، توريل، سميث، جولدن، أوبريان، نايسواندر، جرين، براندينجر، شو) لا ترسل الكاميرات الداخلية أي تغذية فيديو لفترات ممتدة من الوقت؛ تقريبًا ما بين أربع إلى سبع ساعات. التغذية الليلية المعتادة ساعتان من التقلّب والتلملم مع تفويت كل نشاط لا حراك فيه. الشيء

الوحيد الذي يمكن أن يسبب هذه الانقطاعات الممتدة من تغذية الفيديو هو الغياب التام لحركة الرقاقة المجهرية. بعبارة أخرى، لا وجود لحركة توقظ الكاميرات.

لكن هذا مستحيل.

كي تنطفئ الكاميرا في الليل لساعات كل مرة، فهذا يعني أن الأهداف تنام في سكون تام. أو أنها ميتة. الكاميرات حساسة للغاية ومبرمجة على الانتباه لدى أدنى حركة، حتى ارتفاع وانخفاض صدر المرء المرتبط بالتنفس الثقيل.

لم يعطل أحد الكاميرات. ولو كان هذا حادثاً في أحد المنازل، لسجلته باعتباره شيئاً شاذاً. لكن الرقم الكبير من وقائع الانقطاع الممتدة، وتكرارها، وحقيقة أنها تحدث في نفس الوقت عبر عددٍ من المنازل .. كل هذا يقودني إلى استنتاج أن شيئاً أكبر، سرياً ومرتبباً، يحدث من وراء ظهورنا.

أعتقد أن المواطنين المذكورين أعلاه، وربما غيرهم، لم يكتشفوا فقط رقاقاتهم، لكنهم وجدوا طريقة لإزالتها في أي وقتٍ على مرأى من الكاميرات. من المعروف أنه من دون الرقاقات المزروعة، يمكن للمواطنين التحرك دون أن يراهم أو يكتشفهم أحد، في بيوتهم، أو عبر البلدة، أو حتى وراء السور.

أنهى إيثنان بقية كوبه من الكابوتشينو، وخرج من المقهى إلى الشارع. جلجلت الأجراس المعلقة على الباب عندما فتحه وخطا إلى داخل متجر اللعب.

كان قد تنفّس بعمق وهو يعبر الشارع الرئيسي، لكن قلبه ما زال يدق كالمجنون.

رفعت كيت عينيها عن الكتاب؛ نسخة شعبية مهلهلة من رواية للكاتب البريطاني لي تشايلد، آخر روايات بطله الجندي الأمريكي ريتشر.

كان تاج رأسها من الشعر الأبيض هو ما جعلها تبدو أكبر سنًا من بعيد. لكن من قريب، كانت شابة. تجاعيد قليلة حول العينين، لكنها ما زالت جميلة بحق اللعنة! منذ زمن ليس بالبعيد، من منظوره على الأقل، كان واقعًا في حب هذه المرأة.

دامت علاقتهما ثلاثة من أكثر الشهور حميمية وطيشًا ورعبًا وسعادة وحياة في حياته، مثلما تخيل أن يكون الشعور بالهيروين إذا لم تنتهِ النشوة أبدًا، إذا لم تحتوِ كل حقنة أيضًا على احتمالية الموت. كانا شريكين في العمل وقتها، وكان قد مرَّ أسبوع وهما على الطريق معًا في شمالي كاليفورنيا.

كل ليلة، كانا يستأجران غرفتين. وكل ليلة، لمدة خمسة أيام، كان يبقى معها. نادرًا ما كانا ينامان ذلك الأسبوع. لم يستطيعا أن يبعدا أيديهما أحدهما عن الآخر. لم يستطيعا التوقف عن الكلام عندما لا يمارسان الحب، وكانت ساعات النهار التي يجب عليهما فيها أن يتظاهرا بأنهما محترقان تجعل الأمر أكثر إثارة وألمًا بشكلٍ رائع. لم يشعر قط بهذا الافتقار الكامل للوعي بالذات تجاه أي شخص، حتى تيريزا. قبول غير مشروط. ليس فقط لجسده وعقله، لكن أيضًا لشيء أكبر، لشيء فيه لا يمكنه تحديده. لم يرتبط إيثان قط بأحد إلى هذه الدرجة. أكبر نعمته وأكبر نقمة مدمرة للحياة كلها موجودتان في المرأة نفسها، ورغم ألم الشعور بالذنب ومعرفة كيف سيحطم هذا زوجته، التي ما زال يحبها، بدت فكرة الابتعاد عن كيت كأنها خيانة لروحه. لذا فعلتها هي بدلًا منه.

ذات ليلة باردة وممطرة في كابيتول هيل.

في مقصورة حول أكواب بيرة بلجيكية داخل حانة صاخبة مظلمة  
اسمها (ستَمبَلينج مونك).

كان مستعداً لترك تيريزا، لأن يلقي بكل شيء بعيداً. كان قد طلب  
كيت هناك ليخبرها بذلك، لكنها مدّت يدها عبر خشب الطاولة  
البالي بفعل عشرة آلاف كأس شراب وُضعت عليه وكسرت قلبه.

لم تكن كيت متزوجة، ولم يكن لديها أطفال.

لم تكن مستعدة للقفز من فوق الجرف معه بينما وراءه الكثير  
مما يجذبه إلى الوراء فوق النتوء الصخري.

بعد أسبوعين، كانت في بويسي، بعد نقلها بناءً على طلبها.

بعد سنة، كانت مفقودة في بلدة بولاية آيداهو لم يسمع أحدٌ بها  
من قبل واسمها واوارد باينز، وأُرسل إيثان للبحث عنها.

بعد ألف وثمانئة عام، وبعد أن تحوّل كل شيء يعرفونه تقريباً إلى  
تراب أو انقرض من الوجود، ها هما واقفان، يواجه أحدهما الآخر في  
متجر لعب في البلدة الأخيرة على الأرض.

للحظة، غيَّب التحديق إلى وجهها عن قرب عقل إيثان.

تحدثت كيت أولاً..

- كنت أتساءل إن كنت ستقوم بالزيارة أبداً.

- كنت أتساءل عن ذلك أنا نفسي.

- مبروك.

- علام؟

مدّت ذراعها فوق النضد ونقرت على نجمته النحاسية اللامعة.

- ترفيتك. من اللطيف رؤية وجه مألوف يدير العرض. كيف يسير بك التأقلم مع وظيفتك الجديدة؟

كانت بارعة، في هذه المحادثة القصيرة، بدا واضحًا أن كيت قد أتقنت التدفق الحوارى السطحي الذي يستطيع أفضل من في وايوارد باينز تحقيقه دون مجهود.

قال: "يسير جيدًا.."

- أراهن أنه من الجيد أن يكون لديك شيء ثابت ومثير للتحدي.

قالتها كيت مبتسمة، ولم يكن بمقدور إيثان أن يتحاشى سماع ما وراء النص، وتساءل إن كان الجميع يسمعونه يتردد فيما بينهم. إن كان قد صمت أصلًا.

مقارنةً بالجري نصف عارٍ عبر البلدة ونحن جميعًا نحاول أن نقتلك.

قال: "الوظيفة تليق بي تمامًا."

- هذا عظيم. سعيدة فعلاً من أجلك. إذن، لأي شيء أدين بشرف زيارتك؟

- أردت فقط أن أطل عليك وألقي التحية.

- طيب، كان هذا لطيفًا منك. كيف حال ابنك؟

- بن في خير حال.

- لا بد أنه يكبر بسرعة.

- تلك هي الحقيقة.

يا إلهي! بدا الحديث إليها متكلفًا للغاية. مثل حوار سيئ في رواية أو ممثلين يقرآن سطورًا.

تناهى صوت طرقٍ متصاعد في الباب المجاور؛ هارولد يصنع شيئًا.

سألها إيثان: "كيف حال زوجك؟"

لم تُرَق له الكلمة؛ ليس عندما تنطبق على الرجل الذي كان يضاجع كيت طوال السنوات السبع الماضية. أم ترى كان زواجهما صورياً؟ أنها كانت تكرهه سرًا، لكنها تحافظ على الشكليات؟ لم تسمح له قط بلمسها.

قالت: "إنه رائع..". وناقض صدق ابتسامتها كل ما ظنه قبل قليل، كشف كل ما فيه من كذب، إنها تحب هارولد. أضاء وجهها عند ذكر اسمه. في هذه اللحظة، وفقط في رفة من الوقت، لمح إيثان كيت الحقيقية.

سألها إيثان: "أهو وراء هذا الباب؟"

- نعم، ذلك هو يصدق شيئًا. نحب أن نقول إني المخ وهو العضلات في هذه العملية.

اغتصب إيثان ضحكة، وقال: "لم أقابله قط، حسنًا، لم أقابله فعليًا."  
ظن أنها قد تقرأ مقصده. تعرض أن تُعرِّفه عليه.

لكنها لم تقل إلا: "ستقابله؛ لديه بعض الضغط هذا المساء كي ينجز طلبًا للمدرسة. لماذا لا تختار شيئًا من أجل بن؟ أي شيء في المتجر. على حساب أصحاب المحل."

- لا يمكن.

- أنا مصرّة.

- أنت بالغة الطيبة.

ابتعد إيثان عن ماكينة النقود. لم يكن متجرًا كبيرًا، لكن الرفوف ممتلئة -من الأرض إلى السقف- بلعبٍ يدوية الصنع. رفع سيارة

خشبية. بها عجلات تدور، أبواب، غطاء صندوق للمحرك، صندوق سيارة ينفتح وينغلق.

قال: "هذه رائعة فعلاً..عمل هارولد مدهش".

أعاد إيثنان السيارة على الرف.

تحركت كيت من خلف النضد، كانت ترتدي فستاناً أصفر في لون أوراق الحور المتساقطة في الخريف، وقوامها لم يتغيّر تقريباً.

سألته: "كم عمر بنِ الآن؟"

- هو في الثانية عشرة.

- إمام. العمر الصعب عندما تبدأ اللعب التقليدية في فقد جاذبيتها.

سارت إلى مؤخرة المتجر، حافية القدمين على الخشب الصلب الذي توهج تقريباً تحت ضوء الأصيل المائل عبر نوافذ واجهة المتجر. "لكن ربما لديّ الشيء المناسب."

وقفت على كعبها، ورفعت ذراعيها إلى مقلع على أعلى رف.

كانت الصنعة بسيطة لكنها دقيقة.

خشب خام منحوت، صار أملس بالصفرة.

شريط مطاطي سميك مشدود إلى الشوكتين المتفرعتين على شكل حرف Y وجيب جلدي بُني.

قال إيثنان: "هذا مثالي.."

- يسعدني أن تقبله.



عندما أمسك بالمقلاع، انخفضت يده الأخرى ولمست يد كيت. كان الطرق قد توقف وراء الباب المجاور، لكن ضجة قلب إيثان بدت كأنها تصم الآذان في هدأة المتجر.

حدق في عينيها، اللتين بدتا بطريقة ما أكثر زرقة مما يتذكر، وتخلل بأصابعه أصابع كفها اليسرى.

قاوم كي يتجاهل الكهرباء عندما لمس جلدها.

لم تسحب يدها.

رقت عيناها مطرقة بنظرها إلى يديهما.

تناولت قصاصة الورق منه، وأطبقت عليها قبضتها.

قال إيثان: "من اللطيف فعلاً أن أراك مرة أخرى."

وخرج من المتجر.

\*\*\*

جلجلت الأجراس عندما انفتح باب مكتب شركاء العقارات في وايوارد باينز.

رفعت تيريزا عينيها عن مكتبها بينما يدخل رجل لم تره من قبل.

كان بمقدورها أن تعرف على الفور أنه جديد في البلدة، أيًا كان معنى هذا.

بدا شديد الشحوب ومرتبكًا.

توقف عند طرف مكتبها وسألها: "هل أنت تيريزا بيرك؟"

- نعم.

- قالوا إنني يجب أن أتحدث إليك عن منزل، لكنني لا أعرف حقيقةً ما...

- نعم، بالطبع، يمكنني مساعدتك في ذلك، ما اسمك؟

- إم، واين. واين جونسون.

مدّت يدها وصافحته قائلة: "يسعدني مقابلتك يا واين.. من فضلك اجلس."

أخرجت مجلدها الذي يحوي القوائم المتاحة ودفعته عبر المكتب إليه. تردد.

للحظة، تساءلت تيريزا إن كان على وشك الاندفاع خارجًا. لكنه فتح المجلد، وبدأ يقلب في الصفحات.

كانت تكره هذا. مساعدة شخص ما كان في وايبورد باينز لعدة سنوات على تحسين وضعه والانتقال إلى منزل جديد شيء آخر. مثل هؤلاء الأشخاص كانوا يعرفون الإجراءات، يعرفون كيف يتظاهرون بالكذب. لكن هذا الرجل المسكين وصل للتو. لا فكرة لديه عما يحدث له. لماذا هو هنا، لماذا لا يمكنه الرحيل. تساءلت في عقلها إن كانوا قد هدّوه بعد أم لا.

بعد دقيقة، مال إلى الأمام.

سألته تيريزا: "هل ترى شيئًا يعجبك؟"

همس بصوتٍ يكاد لا يُسمع: "ماذا يجري هنا؟"

قالت تيريزا: "ماذا تقصد؟ نحن فقط نطالع عقارات. اسمع، أعرف

أن شراء منزل جديد يمكن أن يكون مربحًا، لكنني هنا للمساعدة."

وقالتها كأنها تكاد تؤمن بها.

وعبر نافذة المكتب الأمامية، لفت شيء ما نظرها - في الناحية الأخرى من الشارع، كان إيثنان يخرج من محل (الكنوز الخشبية) حاملاً في يده مقلعاً.

\*\*\*

عبر النافذة خلف حوض المطبخ، راقب إيثنان السماء وهي تخبو نحو الغسق. بدأت المنازل تتوهج. امتلأ الوادي بصوت البيانو، بفضل هيكتر جاير.

برودة شتاء قادم زادت من حدة النسيم المندفح عبر الباب السلكي. كان إيثنان يلاحظ هذا بشكل متزايد: عندما تغيب الشمس خلف الجبال، يهبط البرد على البلدة فوراً. حالة عدوانية من البداية، وجدها مزعجة. كان قد سمع حديثاً عن أن الشتاءات هنا طويلة وأسطورية.

ترك إيثنان يديه متلكنتين في غسالة الأطباق الدافئة.

فجأة كانت تيريزا خلفه.

وضعت طبقاً بعنفٍ على لوحة تقطيع اللحم.

سألها إيثنان: "هل كل شيء بخير؟"

كانت غريبة الأطوار خلال العشاء. غريبة حتى على واينورد باينز.

لم تنطق بكلمة. لم ترفع عينها عن طبقها.

تطلعت إليه.

سألته: "أم تنس شيئاً؟"

- لا.

كانت غاضبة. وعيناها الخضراوان مشتعلتان بحنقٍ مكتوم.

- ألم تأتِ بشيء من أجلِ بن؟

اللعنة!

لقد رأته، بطريقة ما رأته في محل اللعب، لكنه لم يحضر المقلاع إلى البيت. لقد ذهب إلى مكتبه بدلاً من ذلك، وراجع الأمور مع بليندا، ودسَّ هدية كيت في الدرج الأسفل بمكتبه.

على أمل أن يتجنَّب هذا الحديث بعينه.

سألته: "ماذا ستفعل به؟ أعتقد أن ابننا سيحب أن يكون لديه مقلاع."

- تيريزا...

- آه يا إلهي! هل ستحاول بالفعل أن تنكر الأمر؟

أخرج يديه من الماء، وجفَّفهما في المنشفة المعلقة على مقبض باب الموقد.

أحسَّ بالتهاب معدني فظيع في مؤخرة حلقه ذكَّره بالليلة التي حكى فيها لتيريزا عن كيت. كانت زميلته السابقة في بويسي بالفعل عندما أجلس تيريزا وباح لها بكل شيء. لم يستطع العيش مع الكذبة بينهما. كان يحترهما للغاية.. يحبها للغاية.. لم تكن المسألة قط أنه لم يحب زوجته.

لم تفهم تيريزا.

لم تكن هذه مفاجأة.

لكنها لم تطرده من البيت أيضًا.

وكان ما كان.

بكت وانهارت، لكنها في نهاية الأمر كانت تحبه رغم كل شيء.

ما زالت.

على الرغم من كل شيء.

وحدث أغرب شيء: جعله رد فعلها يحبها أكثر. أراه زوجته في ضوء لم يرها فيه قط. أو بالأحرى فاته أن يراها فيه.

خطت تيريزا خطوة نحوه.

قالت: "رأيتك هناك، في متجرها. رأيتك."

قال إيثان: "كنت هناك، وأعطتني المقلع من أجل بن. ولم أحضره إلى البيت..."

- لأنك أردت أن تخفيه عني.

- لماذا ستعطيني شيئاً من الواضح أنه من عندها إذا كنا نفعل شيئاً من خلف ظهرك؟

- لكنك أخفيته عني.

- نعم.

أغلقت تيريزا عينيها، وللحظة، اعتقد إيثان أنها على وشك التحطم قطعاً.

فتحتها مرة أخرى، وقالت: "إذن لماذا ذهبت لتراها؟"

وضع إيثان يديه على سطح الموقد ومال إلى الوراء.

- إنه عمل يا تيريزا، وهذا كل ما يمكنني قوله.

- عمل.

- ما كنت لأذهب إليها أبداً لولا ذلك.

- ومن المفترض بي أن أصدق كلامك هكذا؟

- أحبك، وأتمنى لو لم أقابلها قط. لا فكرة لديك.

- ماذا يُفترض بي أن أفعل تجاه هذا؟

فتحت تيريزا الصنبور وملأت كوبًا.

شربته دفعة واحدة.

وضعته جانبًا.

قالت وهي تحديق عبر النافذة: "اسمع، لقد حصلت على شيء منها لم تستطع ان تحصل عليه مني، نوع ما من الخبرة يتجاوز خبرتنا، لا أكرهك على ذلك، ولم أكرهك قط". التفتت في وقفها أمام الحوض وواجهته، والبخار يتصاعد من سطح الماء المختلط بالصابون. كان جايفر يعزف أحد كونسيرتات موتسارت للبيانو. قالت: "لكن هذا لا يعني أنك لم تجرحني."

- أعرف ذلك.

- أتساءل إن كانت تُشعرك بما تجعلني أنت أشعر به. لست مضطرًا إلى المحاولة والإجابة عن ذلك. إذن الأمر من أجل العمل، هه؟

- نعم.

- لذا أظن أنه يعني...

- لا يمكنني الحديث عنه.

أومأت برأسها وقالت: "سأخذ حمامًا."

- أنا هنا يا تيريزا. هنا بكليتي.

راقب زوجته وهي تخرج من المطبخ، وأنصت إلى صوت الأرضية الخشبية الصلبة وهي تصرُّ تحت وقع قدميها بينما تتحرك عبر الصالة نحو الحمام.

انغلق باب.

بعد دقيقة، سمع صوت طرشة الماء المكتوم وهو يملأ حوض الاستحمام ذا القدمين المخلبتين.

\*\*\*

زحف إيثنان داخلاً السرير تحت الأغطية.

رقد على جنبه، وأسند رأسه إلى إحدى ذراعيه، وراقب زوجته النائمة.

سخن دفء جسدها الفراغ بين الملاءة واللحاف.

كانت قد تركت النافذة مفتوحة بمقدار بوصة عن حافتها وكان الهواء الزاحف عبرها بارداً بما يكفي لجعله يتمنى لو سحب بطانية أخرى من الخزانة المصنوعة من خشب البلوط عند طرف سريرهما. ظن أنه سينعس نصف ساعة أو نحو ذلك، وحاول أن يغلق عينيه، لكن النوم جافاه.

نادراً ما يتوقف عقله عن العمل أصلاً.

لا شك أن كيت قد قرأت رسالته القصيرة.

لكن ماذا صنعت بها؟

في جلسته بالمقهى منذ سبع ساعات، كان قد قرر أخيراً مساراً للعمل.

مزق قصاصة من ورقة فارغة في الطبعة الأحدث من جريدة وايبوارد لايت وكتب:

إنهم يعرفون بأمرك. إنهم يراقبونك.

أرسلوني للتحري وراءك. الضريح. الثانية

صباحاً. الليلة.

## 12

الثانية إلا خمس دقائق صباحًا.  
لا قمر ومليار نجم في سماء سوداء حالكة.  
البحيرة الصغيرة عديمة البط في متنزه البلدة بدأت حافتها تكتسي  
بالجليد.  
بعد الظهر، أتى أحد رجال بيلتشر بسيارة برونكو جديدة إلى  
الرصيف أمام منزل إيثان، سيارة دفع رباعي مطابقة لسابقتها، إن لم  
تكن ألمع قليلًا.  
لكن إيثان اختار أن يمشي.  
دسّ يديه في جيوب سترته الفرائية المقلنسة. وخذر البرد يزحف  
على أطراف أصابعه.



سرعان ما كان يسير بمحاذاة النهر، والماء يهدر في مروره فوق الصخور، ورائحته النظيفة العذبة تملأ هواء الليل.

هل مرَّ أسبوعان فقط منذ عبر هذا النهر في قلب الليل، والبلدة بأكملها في أثره، وفرَّ في الاتجاه الآخر من الوادي الضيق؟  
لم يعد يشعر على أي نحو أنه ذلك الرجل.

تسلق إيثان سورًا حجريًا متخلخلًا كأنه خارج للتو من قصيدة لروبرت فروست، والصخور باردة كأنها مكعبات ثلج حين تلمسها. تلالآت شواهد القبور مثل وجوه قديمة تحت ضوء النجوم، وابتعد صوت النهر.

مرَّ إيثان عبر حشائش تصل إلى الخصر، وعبر غيضات من شجيرات البلوط.

هنا وسط الأموات في الطرف الجنوبي من البلدة، لم تعد أضواء وايبوارد باينز مرئية بأي حال من الأحوال.

لاح الضريح من بعيد.

هل أتت؟

كانت كيت القديمة لتأتي.. لا محالة.

لكن ماذا عن كيت الجديدة؟ كيت التي عاشت في وايبوارد باينز تسع سنوات. كيت التي لم يعد يعرفها.

تلكأ شيء ما في مؤخرة عقله. شيء قبيح ومُخل بالتوازن. الخوف.

ماذا لو أن كيت وجماعتها عذبوا وقتلوا أليسا بيلتشر؟

لا فكرة لديك عما هي قادرة عليه.

لم يستطع أن يتخلص مما قاله بيلتشر صباح أمس، وعندما اقترب من فتحة الضريح، قال في عقله: كان ينبغي لي أن أحضر معي مسدسي.

نهض الضريح وسط تجمُّع من أشجار الحور العتيقة التي أسقطت أوراقها بالفعل؛ عملات ذهبية متناثرة وسط الحشائش المحتضرة. وكانت الأصص الحجرية التي أحاطت بالباب الحديدي قد تفتتت منذ زمن طويل، لكن الأعمدة احتفظت بقوامها.

لم تكن هناك ريح.

ولم يعد صوت النهر إلا همساً.

قال: "كيت؟"

ولا من مجيب.

أخرج كشافاً من جيبه، ومسح بالشعاع أشجار الحور، منادياً اسمها مرة أخرى.

فتح إيثنان الباب الثقيل بصعوبة، وجزؤه السفلي يحتك بالحجر في أنين يضرّس الأسنان.

سلط ضوءه في الداخل.

أشعل الجدران الحجرية.

نافذة الزجاج الملون في الخلف.

لم تكن كيت موجودة.

سار ببطء حول محيط الضريح، مسلطاً كشافه على الحشائش المحيطة، التي كانت منحنية بالفعل تحت ثقل طبقة الصقيع الهشة.

تلاأت بلورات الجليد في الضوء.

عاد إلى المدخل، وجلس على الدرجات بين الأعمدة بينما يتأكد ببطء إدراكه بأنها لم تأت. لقد قام بلعبة خطيرة، كشف سره، وأخافها.

ماذا كانت لتفعل؟ تهرب؟

أطفأ الضوء.

كان السير من منزله وتوقّع أن يراها قد أسنداه ضد البرد، لكن الآن هاجمه صارخًا.

جاهد كي يقف على قدميه.

وأخذ نفسًا مباغتًا.

وقفت كيت على مبعدة خمسة أقدام، شبح في الظلام، ترتدي ملابس سوداء بالكامل وقد جذبت القلنسوة على رأسها.

عندما تحركت إلى الأمام، عكس نصل سكين تقطيع اللحم في يدها لمعة من نور النجوم.

قال إيثنان: "سكين؟ فعلاً؟"

مكتبة

t.me/soramnqraa

- ظننت أنني قد أضطر إلى القتال.

- وهل أنت مضطرة الآن؟

- لا أحد يعرف هذه الأيام.

- هلا أنزلتها بحق اللعنة؟ لم أحضر حتى مسدسًا.

اكتفت بالتحديق فيه. لم يستطع أن يقرأ عينيها في الضوء الضعيف، لكن فمها كان خطأ ربيعًا مشدودًا. "ماذا؟ ألا تصدقيني؟ أتريدين أن تفتشيني تفتيشًا ذاتيًا أيتها العميلة هيوسون؟"

- افتح سرتك.

وضعت كين سكينها في غمد مؤقت صنعتها من شريط لاصق.

انزلقت يداها حول خصره.

ثم أعلى وأسفل فخذيه.

بسرعة، وتمكّن.

قال إيثان: "ما زالت لديك.."

- ماذا؟

- ما زالتِ تملكين مهارة التفتيش مثل خير محترف.

تراجعت خطوة. نظرت إليه بصلافة لم يرها في عينيها من قبل.  
على الأقل موجهة إليه.

قالت: "هل تعبت معي؟"

- لا. هل أنت هنا وحدك؟

- نعم.

- أين هارولد؟

- هل تعتقد أننا غيبان إلى درجة أن نترك تقضي علينا معًا؟

- لا أحد يحاول أن يقضي عليكِ يا كيت. على الأقل ليس الليلة.

- لا أعرف حتى إن كان يمكنني أن أصدقك.

- لكنك أتيتِ.

- هل كان لديّ خيار؟

- ماذا لو تحدثنا بالداخل؟

- لا بأس.

تبعها إيثان صاعدين الدرجات الحجرية إلى داخل الضريح.

عندما أصبحت بالداخل، دفعت بكتفها الباب في قوة لتغلقه.

واستدارت إليه.

واجهت إيثان في الظلام.

سألته: "هل تحمل رقاقتك؟"

- نعم.

- إذن هم يعرفون أنك هنا.

- ربما.

استدارت كيت وتحسست الباب بحثًا عن مقبضه، لكن إيثان سحبها إلى الورا.

- دعني!

- اهدئي يا كيت. لا يهم.

- كيف لا يهم بحق الجحيم؟ إنهم يعرفون أنك هنا.

- موقعي فقط. الضريح لا يحوي ميكروفونات. وأنا لا أحمل ميكروفونات.

- لكنهم يعرفون أنك ستحدث معي الليلة؟

- أرسلوني.

دفعته إلى الورا نحو نافذة الزجاج الملون بقوة مباغطة وساوت ملابسها.

أخرج إيثان كشافه من جيبه، وأناره، ووضعته على الأرض بينهما. أضاء النور المتدفق من أسفل وجهيهما بطريقة بشعة.

تكتفت أنفاسهما بخارًا في البرد.

- أحتاج إلى أن تثقي بي يا كيت.

مالت بظهرها مستندة إلى الحائط وقالت: "أحتاج إلى أن تثبت لي أن هذا ممكن."

- كيف أفعل ذلك؟
- ماذا يعرفون عني؟
- يعرفون أنك وآخرين تزيلون رقاقتكم، أنكم تخرجون أحيانًا في الليل.
- وأرسلوك لكي تستجوبني؟
- هذا صحيح.
- علام؟
- أتريدين حقًا أن تلعبها بهذه الطريقة؟
- لا أعرف عم تتحدث، منذ أسبوعين قلبت هذه البلدة رأسًا على عقب في محاولة يائسة للرحيل، والآن أنت المأمور. تعمل بوضوح لديهم.
- إذن أنت تعرفين بوجود "هم".
- وأي أبله لا يعرف؟
- ماذا تعرفين غير ذلك يا كيت؟
- تداعت جالسة على الأرض.
- جلس إيثان أيضًا.
- أعرف أن هناك سورًا حول أطراف البلدة، أعرف أننا جميعًا تحت المراقبة.. طوال الوقت. أعرف أنك منذ أسبوعين كنت تريد الحقيقة.
- هل خرجت وراء السور؟

ترددت كيت، ثم هزّت رأسها. "وهل خرجت أنت؟" لا بد أنها قرأت الإجابة في وجهه، وقالت حتى قبل أن يجد الفرصة للكذب: "أوه يا إلهي، لقد خرجت."

- احكي لي عن أليسا.

لم تجفل كيت بالضبط، لكنه قرأ الدهشة في عينيها.

- ماذا عنها؟

- أتعرفين أنها قُتلت قبل ليلتين؟

- هل أنت جادٌ؟

- وُجِدَت عارية في منتصف الطريق، مطعونة حتى الموت. تعرضت للتعذيب.

- يا إلهي!

وزفرت زفرة طويلة مرتعدة.

- مَنْ وجدها؟

- أنا.

- ولماذا تسألني عن هذا؟

- كيت.

- ماذا؟

- أعتقدين أنهم لا يعرفون أنك كنت تتكلمين مع أليسا؟

تحركت حدقتها بسرعة مشتتة، وقد قرّت فيهما لمحة من هلع.

همست كيت: "جاءت إليّ.."

- أعرف.. رأيت اللقطات. كان مفترضًا أن تقابليها ليلة موتها.

- كيف تعرف ذلك؟

لم يجِبها، فقط تركها تدرك الأمر وحدها. ظهرت على وجهها الخيبة. "أوه.. فهمت.. كانت معهم."

- نعم.

- جاسوسة.

- ماذا حدث تلك الليلة يا كيت؟ كان مفترضًا أن تقابليها هنا في الواحدة صباحًا. لقد قامت بتوثيق كل شيء. ماذا حدث؟ حدّقت كيت إلى الأرض.

قال: "ربما تصدقين هذا وربما لا تصدقينه.. لكنني هنا باعتباري صديقك."

- لا أصدق هذا.

- لماذا؟

- لأنني لا أستطيع تحمّل المجازفة بأن أكون على خطأ.

- قولي لي ما حدث، يمكنني أن أساعدك.

- هل أحتاج إلى مساعدتك؟

- بشدة.

- ماذا يوجد على الجانب الآخر من السور؟

- لا تسأليني عن ذلك.

- أحتاج إلى أن أعرف.

- ماذا حدث لأليسا؟

- لا أعرف.



- هل قتلتها؟
- قل لي أنت.. هل أنا قاتلة؟
- لم أعد أعرفك.
- نهضت كيت وقالت: "هذا مؤلم بأكثر مما تعرف."
- هل قتلتها؟
- لا.
- أمسك إيثان بكشّافه، وجاهد كي يقف على قدميه: "احكي لي عما أنت متورطة فيه."
- وداعًا يا إيثان.
- يجب أن أعرف.
- من أجلك؟ أم من أجل الأشخاص الذين يمسون بمقودك؟
- سيقتلونك يا كيت.. أنت وهارولد.. سيخفونكما.
- أعرف الخطر.
- و؟
- وأعيش حياتي بشروطي.. إذا كانت شروطي ستقودني إلى هذا الطريق، فليكن.
- أريد فقط أن أساعدك.
- في أي جانب أنت يا إيثان؟ حقًا؟
- لا أعرف بعد.
- ابتسمت وقالت: "هذا أول شيء صادق تقوله لي.. أشكرك على ذلك." مدّت يدها وأمسكت بيده، كانت أصابعها باردة كالثلج، لكن

شكل اليد كان مألوفًا. آخر مرة أمسك بها كانت منذ ألفي عام على شاطئ في شمالي كاليفورنيا.

قالت: "أنت خائف.."

كان وجهها على مبعدة بوصات من وجهه. وتركيزها أشبه بمصباح تسخين .

- ألسنا جميعًا؟

- قضيت هنا تسع سنوات. لا أعرف أين أنا. أو لماذا. أحيانًا أعتقد أننا جميعًا موتى، لكن في ساعات الليل الهادئة المظلمة، أعلم أن هذا ليس حقيقيًا.

- ماذا تفعلين عندما تتركين بيتك في الليل؟

- ماذا يوجد وراء السور؟

- يمكنني أن أحملك يا كيت، لكن عليك أن...

- لا أريد حمايتك.

جذبت الباب لتفتحه، وخرجت إلى الليل.

بعد أن خطت خمس خطوات من الضريح، توقفت: والتفتت، وحدقت وراءها في إيثان.

- آخر مرة رأيت فيها أليسا حية كانت منذ ليلتين.

- أين رأيتهما في المرة الأخيرة؟

- افترقت بنا السبل في الشارع الرئيسي.. لم نقتلها يا إيثان.

- لكنها كانت معك ليلة مقتلها.

- نعم.

- أين؟

هزّت كيت رأسها.

- أين تذهبين في الليل يا كيت؟ ولماذا؟
- ماذا يوجد وراء السور؟
- عندما لم يرد، ابتسمت وقالت: "هذا ما ظننته."
- هل تحيينه؟
- عذراً؟
- زوجك.. هل تحيينه؟ هل هذا حقيقي؟
- اختفت الابتسامة.
- أراك لاحقاً سيادة المأمور.

\*\*\*

سار إلى البيت دون أن يعرف.  
دون أن يعرف إن كذبت عليه كيت أم لا.  
دون أن يعرف إن ذهبت إلى الجانب الآخر من السور.  
دون أن يعرف إن كانت قد قتلت أليسا.  
دون أن يعرف أي شيء بحق اللعنة!  
كان لديها ذلك الأثر في علاقتهما أيضاً. ربما يقضي معها يوماً يبدو  
نعمة من السماء وقتها، ثم يخرج على الجانب الآخر غير واثق من  
موقعه. مساءلة مستمرة لكل شيء. لم يفهم قط إن كانت لعبة واعية  
من جانبها، أم فشله الشخصي في السماح لهذه المرأة بالتغلغل عميقاً  
في رأسه.

خلع حذائه بعد أن دخل مباشرة من الباب الأمامي، ومشى على أطراف أصابعه فوق الأرضية الخشبية الصلبة إلى الدرج الداخلي. كان الجو باردًا في البيت، وأصدرت الأرضية صريرًا وطقطقة تحت ثقل خطواته.

قطع رواق الطابق العلوي إلى غرفة نوم ابنه.

كان الباب مفتوحًا.

تحرك إلى السرير.

لا يمكن أن يكون الجو أدفأ من سبع درجات مئوية في الغرفة.

نام بن مدفونًا تحت خمس بطانيات، لكن إيثان جذبها أقرب قليلًا حول عنقه، ولمس بظهر يده وجنة الصبي.

ناعمة ودافئة.

كان من المنتظر وصول شاحنات مليئة بالحطب في أي يوم من الآن. قيل إن البلدة تحرق كميات وافرة من الصنوبر من أجل التدفئة طوال الشتاء، حيث يتلقى كل منزل ستة أكداس من الحطب. كان لدى بيلتشر جيش صغير من الرجال يقومون برحلات يومية خارج السور تحت حراسة مدججة بالسلاح. يقطعون الأشجار ويشقون الخشب من أجل البلدة بأكملها.

توجه إيثان نحو غرفة نومه.

خلع بنطاله وقميصه، وتركهما في كومة في مدخل الغرفة.

كانت الأرضية قارصة البرودة.

هرول إلى السرير.. زحف تحت الأغذية، وانقلب على جنبه وجذب تيريزا بقربه.

كانت تشع حرارة.

قَبْلَ مؤخِّرةِ عنقِها.

بدا النومُ أملاً بعيد المنال.. مؤخراً أصبح من المستحيل تقريباً أن  
يُسكت الضوضاء الدائرة في جنبات عقله.

أغلق عينيه.

لعله يأتي على أي حال.

- إيثنان.

- أهلاً حبيبتي.

قالها هامساً. انقلبت على الناحية الأخرى وواجهته. لأنفاسها في  
وجهه سخونة رقيقة أليفة.

- أبعد قدميك عن قدميَّ. إنهما باردتان كالثلج.

- آسف.. هل أيقظتك؟

- عندما غادرت المنزل. أين ذهبت؟

- العمل.

- لتراها؟

- لا يمكنني...

- إيثنان.

- ماذا؟

- أين؟

- لا يهم يا تيريزا. فعلاً لا...

- لا أستطيع الاستمرار في هذا.

- في ماذا؟ نحن؟

- هذه البلدة. ونحن فيها. أنت. هي. وظيفتك.

مالت مقتربة منه وهمست في أذنه: "هل يمكنني الاستمرار في الحديث هكذا أم سيسمعوننا؟"

تردد.

- سأفعل ذلك على أي حال يا إيثان.

- إذن فلتظلي ساكنة.

- ماذا؟

- ظلي ساكنة تمامًا.

- لماذا؟

- هلا فعلتي ذلك فقط؟ وبشكل خاص لا تحركي ساقك اليسرى.

رقدا ساكنين.

كان بمقدوره الشعور بقلب زوجته يدق في صدره.

عدَّ إيثان إلى خمسة عشر في عقله، ثم همس: "تحدثي على ألا يعلو صوتك هذا الحد."

- كنت أظن أنني لو استطعت فقط أن أكون معك مرة أخرى،

أجدك هنا معنا، أنني سأستطيع أن أفعل ذلك. أن أبتلع الكذبة.

- و؟

- لا أستطيع.

- لا خيار لديك يا تيريزا. هل تعلمين الخطر الذي نضع أسرتنا

فيه بمجرد إجراء هذا الحوار؟

دفعت فمها بقوة في أذنه.

سرت قشعريرة في عموده الفقري.

- أريد أن أغادر هذا المكان.. لقد سئمت يا إيثان.. لا أبالي بما يمكن أن يحدث لنا.. أريد فقط الرحيل.

همس إيثان: "أتباليين بما سيحدث لابننا؟"

- هذه ليست حياة.. لا أبالي إذا متنا جميعاً.

- طيب.. لأننا سنموت فعلاً.

- أنت على يقين بهذا؟

- مئة في المئة.

- لأنك تعرف.

- نعم.

- ماذا يوجد في الخارج يا إيثان؟

- لا يمكننا إجراء هذا الحوار.

- أنا زوجتك.

كان جسدهما قد تداخلا أحدهما في الآخر.

ساقاها لطيفتان وناعمتان على جلده والحرارة المنبعثة من جسدها تدفعه إلى الجنون.. أراد أن يهزها.. أراد أن يضاجعها.

- لماذا تنتصب بقوة هكذا؟

- لا أعرف.

- ماذا يوجد في الخارج يا إيثان؟

- تريد أن تعرفي حقاً.

وعندئذٍ كانت يدها على قضيبه.

- هل تفكر فيها؟

- لا.

- أقسم لي.

- أقسم لك.

انزلت مبتعدة، غائصة تحت الأغطية، وضعتَه في فمها. جعلته يصل إلى الحافة. ثم خرجت وخلعت قميص نومها. جلست فوقه وتعالَت أنفاسها. مالت عليه وقبّلتَه. وحلمتها منتصبَتان على صدره في البرد.

انقلبت تيريزا على ظهرها وجذبت إيثان معها، جذبته بداخلها. علا صوتها وبدا بالغ الجمال.

عندما بدأت تصل إلى الذروة، أنزلت رأس إيثان، وصارت شفاتها على أذنيه، وشفاته على أذنيها. تأوهت وقالت: "قل لي".  
قال بأنفاس متقطعة: "ماذا؟"

- قل لي... أووووه يا إلهي إيثان... أين نحن حقًا.

دفن إيثان وجهه في أذنها: "نحن كل ما تبقى يا حبيبتِي." كانا يصلان إلى الذروة معًا، في صخبٍ وعنف، في تزامن كما كانا دائمًا. "هذه هي البلدة الأخيرة على الأرض."

صرخت تيريزا: نعم نعم نعم أوه يا إلهي لا تتوقف، بصوت عالٍ بما يكفي للتغطية على كلماته.

- ونحن محاطان بالوحوش.

\*\*\*

رقدًا متشابكين ومتعرقين وفي سكون كامل.

إيثان يهمس في أذنها.



أخبرها بكل شيء.

في أي زمان هما. في أي مكان. عن بيلتشر. عن المنحرفين.  
ثم رقد مسندًا رأسه إلى كوعه، وممسدًا وجهها.  
حدّقت تيريزا في السقف.

كانت هنا منذ خمس سنوات، وقت أطول للغاية مما قضاه  
إيثان، لكنها كانت حالة من الغفلة. من عدم المعرفة الحقيقية.  
والآن عرفت. ربما تشككت من قبل، لكن كل الشكوك زالت وتبددت:  
باستثناء إيثان وبين، لن ترى مرة أخرى أبدًا كل الناس الذين أحبّتهم  
في حياتها من قبل. لقد ماتوا منذ ألفي عام. وإذا كانت من قبل  
متمسكة بأمل مغادرة واوارد باينز يومًا ما، فقد دمّر إيثان هذا  
الأمل للتوّ.

لا يوجد موعد أخير لانتهاء الحكم عليها بالسجن في هذا المكان.  
إنها مسجونة مدى الحياة.

تساءل إيثان أي شعور هو المهيمن - تصوّر كوكتيلاً كاملاً يمتزج  
داخل رأسها: غضب، يأس، انكسار قلب، خوف.

على ضوء عمود نور بعيد أتي عبر النافذة، شاهد دموعًا تتشكل  
في عينيها.

أحس بيدها ترتعد في يده.

# 13

برج ووتر تاور  
متنزه فولنتير بارك  
سياتل، 2013

عندما اقترب هاسلر من مدخل برج ووتر تاور، خرجت امرأة من الظلال بجوار الباب.

قالت: "تأخرت."

- خمس دقائق فقط. اهدئي. هل هو بالأعلى؟

- نعم.

لم تكن تزيد في العمر على عشرين عامًا. بنية نحيلة عضلية، رائعة الجمال، لكنها ذات عينيْن ميتين. اختيار مثير للانتباه فيما يتعلق

بقوة بيلتشر وسلطته. بالتأكيد كانت تبدي ثقة امرأة يمكنها أن تتعامل مع الأمور بنفسها.

وقفت بين هاسلر والباب، تسد الطريق.

قال: "هل تمنعين؟"

للحظة بدا كأنها قد تمنع، لكنها أخيراً تنحت جانباً.

عندما مرَّ هاسلر بجوارها قال: "لا تسمحى لأحد بالصعود."

- شكراً على إبلاغي بالطريقة التي أؤدي عملي بها أيها العميل الفيدرالي.

جلجل الحديد تحت حذاء هاسلر الكلاسيكي المدبب.

صعد الدرجات متثاقلاً.

كان طابق المراقبة كابي الإضاءة، له جدار دائري من الطوب تتخلله نوافذ مقوَّسة غُطيت بشبكات غليظة القطر لمنع أي شخص من عبورها. ثمة حاجز أكبر يرتفع من الأرض إلى السقف يحرس المسقط ذا الخمسة والسبعين قدمًا المؤدي إلى السلم اللولبي المفتوح.

جلس ديفيد بيلتشر على دكة في الجانب الآخر من طابق المراقبة مرتدياً معطفاً أسود طويلاً وقبعة مستديرة.

دار هاسلر حول الدكة وجلس بجانبه.

للحظة لم يكن هناك صوت إلا وقع المطر المنهمر على السطح أعلاههما.

رفع بيلتشر عينيه في ابتسامة تكاد لا تبين وقال: "العميل هاسلر."

- ديفيد.

من النافذة بدا خط أفق سيائل كأنه خط من النيون الضبابي  
عبر كتلة السحب المنخفضة.

مدّ بيلتشر يده داخل معطفه وأخرج مظروفًا سمينًا.  
وضعه في جِجر هاسلر.

فتحه هاسلر بحرص، أطلَّ داخله، وفرَّ بإبهامه الأوراق فئة المئة  
دولار.

قال وهو يعيد إغلاق المظروف: "يبدو لي أنها ثلاثون ألفًا.."  
تساءل بيلتشر: "ألديك أخبار؟"

- مرّ خمسة عشر شهرًا منذ اختفاء العميل بيرك وموت العميل  
ستولينجز. لا توجد أي خيوط بحث. لا توجد أي أدلة جديدة.  
والآن لا تسيء فهمي. أنا لا أقول إن أي شخص في وزارة الخزانة  
سينسى أبدًا أن لدينا عميلًا قُتل وثلاثة مفقودين في وايوارد  
باينز، آيداهو. لكن بلا معلومات جديدة، هم يدورون في  
مكانهم ويعرفون ذلك. منذ يومين، جرى رسميًا تخفيض  
أولوية التحقيق الداخلي بشأن عملائي المفقودين.

- ماذا يعتقد رجالك أنه حدث؟

- النظريات؟

- نعم.

- أشياء متفرقة ومتنوعة، لكن لا شيء يقترب ولو من بعيد من  
صميم الهدف. أقاموا "صلاة الأمل" الخاصة بإيثان بيرك اليوم.

- وما هي "صلاة الأمل"؟

- لا فكرة لديّ بالفعل.

- هل ذهبت؟

- ذهبت إلى الحفل الذي أقيم بعدها في منزل تيريزا.

- سأزورها بعد أن تنتهي من لقائنا.

- حقًا؟

- حان الوقت.

- تيريزا وبن؟

- لديّ نظرية تقول إنني لو استطعت إبقاء العائلات معًا كلما أمكن ذلك، سيكون الانتقال أسهل على الجانب الآخر.

نهض هاسلر.

سار إلى النافذة.

حدّق خارجًا إلى الصوبة الزجاجية، التي أضيئت بأنوار العيد.

كان بمقدوره سماع أصوات المرور والموسيقى الحية هناك في كابيتول هيل، لكن هنا بالأعلى في برج ووتر تاور، أحسّ أنه معزول عن كل شيء.

قال هاسلر: "هل فكرتَ بأي شكل فيما تحدثنا عنه آخر مرة؟"

- فكرت. وأنت؟

- إنه كل ما أفكر فيه.

التفت هاسلر وحدّق في بيلتشر وقال: "كيف سيكون الأمر؟"

- ما هذا الأمر الذي سيكون؟

- وايبورد باينز. عندما تخرج من ذلك الشيء أيًا كان ما تدعوه...

- الحياة المرجأة.

اكفهر وجه بيلتشر وقال: "أنت تعرف بالفعل عن مشروعني أكثر

بكثير مما أظنه مريحًا لي."

- لو أردت أن أسقطك يا ديفيد، لفعلتها منذ شهور.
- لو أردتك ميتًا أيها العميل هاسلر -أنت وكل من تحب- لن يمنعني شيء في العالم من تحقيق ذلك. لا من السجن. ولا من القبر.
- قال هاسلر: "إذن فقد أرسينا الثقة بيننا.."
- ربما. أو على الأقل ضمناً الهلاك المشترك.
- لا فرق في رأيي.
- هَبْ رذاذُ قارص البرودة من النافذة. أحس هاسلر به يغشو قفاه برعشة غير محببة.
- إذن نعود إلى سؤالي يا ديفيد. كيف سيكون الأمر عندما تستيقظون جميعًا؟
- في البداية، العمل. الكثير والكثير من العمل. سيكون من الواجب إعادة بناء البلدة. سيستغرق هذا بعض الوقت. لكن بعد ذلك؟ لا أعرف. نحن نتحدث عن ألفي عام من الآن. هذا البرج الذي نقف بداخله سيكون أطلاً. ذلك الخط من الأفق؟ سيختفي. كل الناس في هذه المدينة وأطفالهم وأحفادهم وأحفاد أحفادهم سيتحللون إلى العدم. حتى عظامهم.
- تشبث هاسلر بالسياج فوق النافذة.
- أريد أن أكون جزءًا من هذا.
- لا توجد ضمانات يا آدم.
- أعني ذلك.
- هذا أشبه بـكولومبوس وهو يبحث عن الهند الشرقية. بالإنسان وهو يصعد إلى القمر. قد يسير مليون شيء على نحو

خاطئ ولا نستيقظ أبدًا. قد يضرب نيزك الأرض. زلزال. قد  
نصحو على غلاف جوي مسمم أو عالم عدائي لا نتخيله أبدًا.

- هل تعتقد حقًا أن هذا سيحدث؟

- لا فكرة لديّ عما سنصحو عليه. مجرد صورة في رأسي عن  
هذه البلدة الصغيرة المثالية حيث تنال البشرية فرصة البدء  
من جديد. هذا هو كل ما يقودني.

- إذن هل ستسمح لي بمصاحبتك؟

- لديّ بالفعل طاقم عمل كامل. ما هي مجموعة المهارات  
التي ستضيفها؟

- الذكاء. القدرة على القيادة. مهارات المراقبة. كنت فردًا في قوة  
دلتا<sup>(1)</sup> قبل أن أنضم إلى جهاز الخدمة السرية، لكنني واثق أنك  
تعرف هذا بالفعل.

اكتفى بيلتشر بالابتسام ثم قال: "حسنًا، أعتقد أنك معنا."

- لديّ معروف أطلبه، ولو وافقت عليه، يمكنك أن تستعيد  
مظروفك هذا.

- ماذا؟

- ألا يستيقظ إيثان بيرك أبدًا.

- لماذا؟

- أريد أن أكون هناك مع تيريزا.

- تيريزا بيرك.

---

(1) إحدى وحدات القوات الخاصة الأمريكية، تعمل على مهمات تحرير الرهائن والاستطلاع  
والعمليات الصغيرة والدعم الخاص وتقوم بمكافحة العمليات الإرهابية وتعتمد الإنزال  
الجوي. (المترجم)

- هذا صحيح.

- زوجة إيثنان.

- نعم.

قال بيلتشر: "هل تحبها؟"

- في الحقيقة نعم.

- وهل تحبك؟

- ليس بعد. لم تتوقف قط عن حبه.

أحس هاسلر بالقرحة تلتهب في معدته. ذلك اللهب الأخضر للحسد.

- يخونها مع زميلته السابقة كيت هيوسون، وتظل مبقية عليه.

تظل تحبه. هل قابلت تيريزا بيرك من قبل؟

- لا، لكنني سأقابلها بعد قليل.

- إنه لا يستحقها.

- وأنت تستحقها.

- سأحب هذه المرأة كما تستحق أن تُحَب. ستكون أسعد معي

في وايوارد باينز مما كانت في أي وقت من حياتها.

تهدجت أنفاسه وهو يقول هذه الكلمات، كي يعبر عنها. لم يكن

قد شارك هذا مع أي شخص قط.

ضحك بيلتشر وهو ينهض واقفًا: "إذن في نهاية الأمر، كل ما في

الأمر أنك تريد الحصول على امرأة؟"

- لا، إنها...

- أنا أمزح معك. سأحقق هذا.



سأله هاسلر: "متى سنخضع للمسألة؟"

- اسمها إيقاف الحياة. بنيتي الفوقية منتهية. كل ما يتبقى هو  
تزويد المستودع بالموثون وتجميع آخر المجندين القلائل الباقين.  
أنا في الرابعة والستين من العمر، ولن يصغر عمري بعد الآن،  
وهناك الكثير مما يجب فعله على الجانب الآخر.

- إذن...

- سنقيم حفلاً ليلة رأس السنة في وايوارد باينز. أنا وأسرقي ومئة  
وعشرون عضواً من طاقم عملي سنشرب أفضل شامبانيا يمكن  
للمال أن يشتريها ونذهب للنوم ألفي عام. أهلاً وسهلاً بك لو  
أحببت أن تنضم.

- أسبوعان؟

- أسبوعان.

- أين سيعتقد الناس أنك ذهبت؟

- لقد قمت بالترتيبات. لقد مرّت سبع سنوات منذ آخر  
محاضرة عامة لي. لقد أصبحت شخصاً منعزلاً. أظن أن هناك  
احتمالاً خمسين في المئة في أن تكون الجرائد ما زالت تنتظر  
نعيي. ماذا عنك؟ هل فكرت في الطريقة التي ستدبر بها  
خروجك؟

- سأصرف معاشي التقاعدي، وأفرغ حساباتي البنكية، وأترك أثراً  
مربكاً لمورد جوازات سفر مزورة غامض. ليس هذا هو الجزء  
الصعب.

- وما هو الجزء الصعب؟

نظر هاسلر من جديد خارج النافذة نحو تلال كوين آن المتسربلة  
بالضباب - منطقة تيريزا بيرك.

- معرفة أي يجب أن أنتظر ألفي عام كي أكون مع امرأة أحلامي.



## القسم الثالث



# 14

تمدد توبياس على بطنه في العشب الممتايل.

حبس أنفاسه تقريبًا.

على مبعدة خمسمئة ياردة، برز المنحرف من غابة الصنوبر.

دخل الحقل، متحركًا في قفزات هادئة في اتجاه توبياس.

**اللعنة!**

كان توبياس قد خرج للتو من غابة على الجانب المقابل للحقل قبل أقل من خمس دقائق. قبلها بثلاثين دقيقة، كان قد عبر جدولًا، وتلكأ نصف ثانية على الضفة، مترددًا في أن يتوقف كي يشرب أم لا، ثم قرر أن يتابع طريقه. لو لم يفعل ذلك، لقضى خمس أو عشر دقائق يشرب حتى يمتلئ ويعيد ملء زجاجاته عبوة اللتر الواحد. بالتالي كان سيصل إلى حافة هذا الحقل عندما يكون هذا المنحرف في الخلاء

بالفعل. كان يمكنه تتبُّع مساره محتمليًا بغطاء الغابة وأمانها. يتأكد من تفادي ذلك الموقف الحرج الذي وجد نفسه فيه الآن: سيضطر إلى إطلاق النار عليه. الاشتباك حتمي. كان الوقت منتصف الظهيرة. المنحرف في اتجاه الريح. لا خيار لديه وهو عالق هنا وأقرب بقعة من الشجر على مبعده ما يساوي عدة ملاعب كرة قدم. حواس الشم والبصر والسمع لدى المخلوق مضبوطة بدقة كبيرة، وفي اللحظة التي يقف فيها سيلمحه. ونظرًا إلى اتجاه الريح، سيشم رائحة توبياس في أي لحظة من الآن.

كان توبياس قد أسقط حقيبة ظهره وبندقيته في العشب ما إن ملح حركة من بعيد. مدَّ الآن يده، وقبض على بندقيته الوينشستر موديل 70.

أمسك بماسورة الخزانة واستند إلى كوعه الأيمن.

ضبط عينه وراء المنظار.

لم تتقاطع خطوط التصويب فيه منذ زمن، وعندما دخل المنحرف في بؤرة شبكة الخطوط، فكر توبياس في كل المرات التي اهتز فيها المنظار عندما كان يسند البندقية إلى شجرة أو يلقي بها أرضًا. في كل المطر والجليد الذي انهمر على سلاحه في أيامه التي زادت على الألف في البرية.

قاس مسافة الهدف الآن وكانت مائتي ياردة. ما زالت مسافة بعيدة، لكن لاحت كتلته المركزية كبيرة في نقطة تقاطع الخطوط. أجرى تعديلًا بسيطًا تحسبًا للريح. قلبه يدق على الأرض التي ما زالت باردة من صقيع الليل. مرَّت أسابيع، وربما شهور، منذ لقائه الأخير بأحدهم. كانت لديه ذخيرة لمسدسه عيار 357 وقتها.. يا إلهي! كم يفتقد هذا السلاح. لو كان ما زال معه مسدسه، لنهض وصاح وترك ذلك الوحش يعدو نحوه.

لأطاح بدماغه من مسافة قريبة.

كان بمقدوره أن يرى قلبه ينبض في نقطة تلاقي الخطوط.

أنزل صمام الأمان.

لمس الزناد بإصبعه.

لم يرغب في جذبته.

طلقة واحدة هنا ستعلن عن وجوده لكل مخلوق في دائرة نصف قطرها ثلاثة أميال.

يفكر: دعه يمر فقط، ربما لن يراك.

وبعد ذلك: لا، يجب أن تقضي عليه.

تردد صدى الفرقة عبر الحقل، وارتد من سور الأشجار البعيد، وبدأ يتلاشى رويدًا.

إخفاق.

وقف المنحرف بلا حراك، تجمّد في منتصف خطوة على ساقيه اللتين بدتا متينتين كالبلوط، وأنفه مرفوعة في اتجاه الريح. على وجهه وعنقه لحية من دم جاف بعد صيدٍ حديث. من الصعب الحكم على حجمه عبر منظار، وللحق، لم يكن ذلك مهمًا. حتى أصغر هذه المخلوقات التي يدور حجمها في نطاق مئة وعشرين رطلًا كانت قاتلة بشكلٍ مؤكد.

رفع توبياس مقبض المزلاج، وجذبه إلى الخلف.

انقذفت الخرطوشة الفارغة مع نفثة من الدخان.

دفع المزلاج إلى الأمام، وأحكم إغلاقه، وعاد إلى النظر عبر المنظار.



كان اللعين قد قطع مسافة من الأرض، وهو يتقافز عبر المرج بأقصى سرعة وبتلك المشية المنحنية المهرولة التي تُذكِّره بكلب البيتبول.

في حياته السابقة، رأى توبياس اشتباكات في كل أنحاء العالم: مقديشيو، بغداد، قندهار، حقول الكوكا في كولومبيا. عمليات إنقاذ رهائن، عمليات استحواذ على أهداف عالية القيمة، عمليات اغتيال خارج المنظومة القانونية. لا شيء منها يقارن بالخوف الذي يجعل المرء يتغوط دون إرادته لمرأى منحرف يهاجمه.

مئة وخمسون ياردة بينهما والوحش يقترب ولا فكرة لديه عن مدى دقة منظاره.

وضع الكتلة المركزية في نقطة التقاء الخطوط.

ضغط الزناد.

ارتدَّت البندقية بعنفٍ في كتفه، وظهر خيط من الدماء على الجنب الأيسر للمنحرف. لقد خدش ضلوعه بالكاد، والمخلوق ما زال قادمًا، في عزم وبسالة.

لكنه الآن أدرك انحراف المنظار: بضع درجات إلى اليمين والأسفل.

ألقي توبياس بالخرطوشة الفارغة.

ألقم الخزانة بخرطوشة جديدة، أغلق المزلاج، ضبط المنظار.

صار بمقدوره سماعه الآن: أنفاس متسارعة وصوت المخالب وهي تمزق العشب.

لاحظ امتلاءً غريبًا بالثقة.

جعل نقطة التقاء الخطوط على رأسه وأطلق النار.

عندما أزاحت الريح دخان البندقية من الطريق رأى توبياس المنحرف مستلقيًا على وجهه بلا حراك في العشب، لقد أطاحت الرصاصة بمؤخرة رأسه.

القتيل رقم خمسة وأربعين.

اعتدل في جلسته.

يداه تتعرقان في قفازيه اللذين بلا أصابع.

انفجرت صرخة من الغابة.

رفع بندقيته، ومسح بالمنظار خط الأشجار على مبعده ثلث ميل.

تبعثها صرخة ثانية.

وثالثة.

لم يستطع أن يرى أي شيء بوضوح في الأشجار.

مجرد حركة في الظلال.

أصابه الإدراك بنوبة خوف باعثة على الغثيان: ثمة المزيد منهم.

لقد قتل فقط طليعة سرب أكبر.

وضع حقيبته على كتفه، وأمسك ببندقيته وانطلق عبر الحقل.

نهضت الغابة التي تحرك نحوها على مبعده ربع ميل. وضع حزام البندقية على كتفه وأسرع في عدوه إلى أقصى ما يستطيع، ذراعه ترتفعان وتنخفضان بقوة، وكل بضعة أمتار يقطعها بخطواته الواسعة ينظر يسارًا في اتجاه الصرخات التي ازدادت تكرارًا وعلوًا بما يفوق أنفاسه المتقطعة.

فلتصل إلى الأشجار قبل أن يروك. بالله عليك. لو وصلت إلى الغابة،

قد تعيش. لو لمحك القطيع ستموت خلال الدقائق العشر التالية.

نظر خلفه، رأى المنحرف الميتم في العشب، وخط الأشجار وراءه،  
لكن لم تكن هناك أي حركة أخرى في الحقل.

أمامه مباشرة، نهضت الأشجار التي قد تنقذه على مبعده خمسين ياردة.  
لم يكن قد جرى لينجو بحياته منذ أكثر من عام. كان البقاء حيًّا  
خارج السور فئًا يعتمد على مبدأ التفادي. لا تندفع أبدًا في أرض  
مجهولة. خذ وقتك دائمًا. امشِ بهدوء. ابقَ في الأشجار كلما كان ذلك  
ممكناً. لا تغامر بالخروج إلى الخلاء إلا عند الضرورة. لا تتهور. لا تترك  
وراءك أثرًا. ولو بقيت منتبهًا كل لحظة من اليوم، لديك فرصة في  
البقاء حيًّا.

وصل أخيرًا إلى الأشجار في اللحظة التي انطلق فيها أول المنحرفين  
إلى الخلاء. لم يعرف إن كانوا قد رأوه، ولم يستطع أن يراهم الآن. لم  
يستطع أن يسمعهم. لم يكن هناك شيء إلا الفوضى داخل صدره،  
شهيقه هو.

اندفع بين الأشجار، والأغصان تمسك بذراعيه.

شقَّ فرع صغير الجانب الأيمن من وجهه.

سال الدم على شفته.

قفز فوق جذع شجرة ساقط وألقى نظرة وراءه عندما نزل على  
الأرض في الجانب الآخر؛ لا شيء يراه غير اختلاط الأخضر الراكض.

أحسَّ بحريق في ساقه.

حريق في رئتيه.

لم يعد في مقدوره الاستمرار في هذا المجهود أكثر من ذلك.

خرج إلى خلاء مرصع بالجلاميد، وفي نهايته جرف صخري ارتفاعه  
سبعون قدمًا. كان إغواء التسلق إلى الأمان بديهياً لكنه مضلل. يستطيع  
المنحرفون التسلق بنفس السرعة التي يمكنهم الجري بها تقريبًا.  
تعرّج جدول عبر الخلاء.

طرطش حذاؤه بقوة في الماء.

مزقت الصرخات فضاء الغابة خلفه.

وصل إلى آخر عزمه. لم يعد ببساطة قادرًا على المضي على هذا النحو.

اندفع إلى داخل غيضة من شجيرات البلوط، ذات أوراق قرمزية.

انتهى. مكتبة سر من قرأ

توقف بالقرب من أجمة، وسقط على ركبتيه، وجرجر جسده  
إلى داخل الشجيرات. وضع توبياس البندقية على الأرض وفتح حقيبة  
ظهره، شاعرًا بالدوار من الإرهاق.

أهذا في النهاية هو المكان الذي سأموت فيه؟

كانت علبة الخراطيش عيار 30-30 على القمة.

دائمًا.

فتحتها، وبدأ يلقم الرصاصات داخل القابض أمام المزلج مباشرة.  
شحن رصاصتين في الخزانة، والأخيرة في نهاية الماسورة، ودفع المزلج  
إلى مكانه.

تدحرج على بطنه.

كانت أوراق الشجر المحيطة به برتقالية اللون.

حمل الهواء رائحة الأوراق الميتة.

كان قلبه ما زال يدق بعنف كأنه يحاول الخروج من صدره.

حدّق عبر الغابة إلى الخلاء وراءه.

إنهم قادمون.

لا معرفة لديه بحجم الحشد الذي سيتعامل معه.

لو لمحوه، وكان عددهم أكثر من خمسة، فعليه السلام.

لو لمحوه، وكان عددهم خمسة أو أقل، ونجح في تصويب كل رصاصة بدقة، فثمة احتمال ضعيف.

لكنه لو أخطأ أو لم يطلق رصاصاته لتقتل في كل مرة -إذا اضطر إلى إعادة شحن البندقية بالذخيرة- سيموت.

الموضوع بسيط.

مسح الخلاء المزروع بالجلاميد عبر المنظار.

لم تكن هذه أول مرة يواجه فيها احتمال الفشل في العودة إلى وايوارد باينز. لقد تجاوز موعده المحدد بالفعل بأربعة شهور. لعلمهم أعلنوه ضحية عملية قتالية. سينتظر بيلتشر وقتًا أطول قليلاً. سيمنحه فترة سماح بعد انتهاء تاريخ عودته تصل إلى ستة أشهر كي يعود قبل أن يرسل شخصاً آخر وراء السور في عمق الريف العدائي. لكن ما هي فرص أن يجد مستكشفٌ آخر ما وجده هو؟ ما هي فرص أن ينجو لوقت طويل مثلما نجا؟

اندفع منحرف إلى الخلاء.

ثم آخر.

وآخر.

ورابع.

وخامس.

لا مزيد. من فضلكم. لا...

انضمت جماعة من خمسة إلى الآخرين.

ثم عشرة آخرون.

وسرعان ما كان هناك خمسة وعشرون منهم يدورون حول  
الجلاميد في ظل ذلك الجرف الصخري.

سقط قلبه في صدره.

زحف عائداً إلى عمق الأجمة، وهو يجرجر حقيبته وبنديته معه  
بعيداً عن الأنظار.

لا فرصة الآن.

\*\*\*

بدأ الضوء يخبو.

ظل يعيد استعراض ما حدث، محاولاً أن يحدد الهفوة في التقدير،  
الزلة، لكنه لم يجد شيئاً. لقد انتظر عند حافة ذلك الحقل خمس  
دقائق قبل أن يخرج إليه. تفحص بمنظاره التضاريس المحيطة. أنصت.  
لم يندفع نحو أي شيء.

بالطبع كان في إمكانه أن يلتف حول تلك القطعة من الريف  
المفتوح. يلتزم بمحيط الغابة. كان هذا ليأخذ منه اليوم بأكمله.

لا. لا يمكنك أن تندم على اختيار كهذا. لم يكن فيه شيء متهور.

وفقاً لحساباته، كانت وايوارد باينز ترقد مستكينة على مبعده  
ثلاثين أو أربعين ميلاً إلى الشرق من موقعه.

أربعة أيام من الارتحال الهادئ.

عشرة أيام في الطقس السيئ أو مع إصابات طفيفة.

كاد يصل بحق المسيح!

طوال الأيام الثلاثة الماضية كان يقطع مراعي ذات مرتفعات. بدأ شجر التنوب والحوار يمتزج مع الصنوبر. صباحات أكثر برودة. بل صار بمقدوره أن يحس بالهواء الشحيح في تلك الأنفاس العميقة التي لا تملأ رئتيه تمامًا قط.

بحق اللعنة.

والآن هذا؟

اهدأ أيها الجندي.

اسكت عن هذا الهراء.

أغلق عينيه، وأجبر الهلع على السكوت. رقدت صخرة صغيرة وسط الأوراق إلى جانب يده اليمنى. التقطها وبدأ يحفر بهدوء الشق الخامس والأربعين في خزانة بندقيته.

\*\*\*

حلّ المساء.

لم يتبينوا موقعه، لكنهم لم يرحلوا كذلك.

كان هذا غريبًا؛ لقد شاهد منحرفين يتتبعون آثار الرائحة من قبل. تذكر ليلة قضاها على ارتفاع أربعين قدمًا في شجرة صنوبر. وفي نور القمر، راقب منحرفًا يمرُّ على مبعدة خمسين قدمًا، وأنفه في الأرض، يتشمم بوضوح أثر شيء ما.

ربما السبب هو الجدول.

لقد عبره في عجلة محمومة، لكن الماء ارتفع إلى ركبتيه. ربما تخلص من أثر رائحته، أو على الأقل ما يكفي منها للتخلص منهم.

الحقيقة أنه لا يعرف بالضبط مقدار حدة قدرات المنحرفين الشمية. أو ما كانوا يتبعونه بالضبط. خلايا الجلد الميته؟ عبر العشب حديث الوطأ؟ وحاشا لله أن تكون لديهم موهبة الكلاب البوليسية. سقطت الشمس.

استقر المنحرفون في الخلاء.

تكور بعضهم في أوضاع جنينية إلى جوار الجلاميد وناموا. استرخى آخرون قرب الجدول وغمسوا مخالبيهم في التيار. بعد فترة، اختفى فريق من أربعة منهم داخل الغابة. لم يقترب قط إلى هذا الحد من أي قطيع.

في مخبئه داخل الأجمة، ملح منحرفين لا يزيد طولهم على أربعة أقدام. على مبعدة أربعين ياردة من مكمنه، قفز ثلاثة منهم في الجدول حيث يلتوي عائداً إلى داخل الغابة، وتفاعلمهم مزيج مضطرب من أشبال الأسود المتصارعة وأطفال بشريين يلعبون المسافة. زاد إحساسه بالبرد وجفّ حلقه بشدة.

كانت لديه زجاجة نصف مملوءة في حقييته، وكان بمقدوره أن يرى عطشه يدفعه إلى المجازفة باكتشافه ومدّ يده إليها، لكنه لم يكن متلهفاً إلى هذا الحد. ليس بعد.

\*\*\*

عند الغسق، عاد المنحرفون الأربعة من الغابة.

كانوا قد أحضروا شيئاً معهم، حملة اثنان منهم بينهما، والمخلوق يتملص ويثغو عندما خرجوا إلى الخلاء.



أحاط الحشد بهم.

امتلاً الخلاء بالطقطقات والصيحات.

لقد سمع هذا مرات كثيرة: إنه نوع ما من التواصل.

عندما شكّل المنحرفون دائرة، كان هناك ما يكفي من الضجة كي يرفع توبياس بندقيته ويراقب عبر المنظار.

أمسك الصيادون ظبيًا - ذكرًا مراهقًا طويلًا ونحيلًا وقد بدأ صف من القرون يرتفع بين أذنيه.

وقف مترنحًا وسط الدائرة، وقد انكسرت قائمته الخلفية اليمنى كسرًا سيئًا، ارتفع حافره عن الأرض، وتبدّى خط أبيض من العظم عبر عرقوبه.

دفع أحد الذكور الكبار منحرفًا صغير السن داخل الدائرة.

صاح الحشد في تناغم، بمخالب مرفوعة إلى السماء.

وقف المنحرف الصغير مشلولًا.

تلقى دفعة أخرى قوية.

بعد لحظة، بدأ يتقدم نحو فريسته، والظبي يتراجع بصعوبة على قوائمه الثلاث.. استمر هذا لفترة كأنها رقصة باليه مرعبة.

فجأة، اندفع المنحرف الصغير وألقى نفسه على الحيوان الجريح مشرعًا مخالبه. أرجح الظبي رأسه، ونطح المنحرف ملقيًا به إلى الورااء ممددًا على الأرض.

سرت في الحشد فوضى بدت مزعجة كأنها ضحك.

دُفع بصغيرٍ آخر إلى قلب الدائرة.

طوله أربعة أقدام ونصف، ووزنه ثمانون رطلًا بحسب تخمين توبياس.

اندفع نحو الظبي وقفز على ظهره، وهو يغرز مخالبه في جسده، دفع ثقله الظبي الجريح إلى السقوط على ركبتيه. رفع الظبي رأسه وأطلق صيحة عاجزة بينما المنحرف الصغير يدفن وجهه في جلد الظبي ويشقُّه بوحشية.

استمرت اللعبة، وتبادل الصغار الأدوار في مطاردة الظبي حول الدائرة. في عضة، في خدشه، في مصّ الدم من هنا وهناك، لكنَّ أحدًا منهم لم يقترب من إصابته إصابة خطيرة.

أخيرًا، قفز فحلُّ طولهُ ستة أقدام داخل الدائرة، وقبض على المنحرف الصغير من رقبته ورفعهُ من فوق ظهر الظبي. أمسك بالصغير على مبعدة بوصات من وجهه، وصاح بشيء بدا أشبه بتعبير منزعج.

ألقي بالصغير وعاد إلى الظبي.

كما لو أنه أحس بالخطر المتصاعد، جاهد الظبي كي يقف لكن قائمته الخلفية كانت متضررة للغاية.

اقترب الفحل.

الظلام يهبط بسرعة.

مال نحو الظبي.

رفع ذراعه اليمنى.

صرخ الظبي.

زَعق الفحل بشيء، وقفز المنحرفون الثلاثة الصغار إلى داخل الدائرة وتكوموا على الظبي، وهم يأكلون أحشائه التي اندلقت في العشب يتصاعد منها البخار.

عندما اقتربت دائرة المنحرفين ليراقبوا صغارهم يأكلون، أخفض توبياس بندقيته.

كان هناك ما يكفي من الضجة والفضوى لأن يد يده نحو حقييته ويدخل يده فيها بقوة. ظل يبحث ويبحث حتى لمست أصابعه أخيراً الزجاجاة. أخرجها، وفتح غطاءها، وصب الماء في حلقه صباً.

\*\*\*

نام يرتعد ويحلم بكل ما رآه.

أطلال سيائل؛ غابة مطيرة كثيفة على المحيط الهادي تتناثر فيها ناطحات سحاب مقلوبة. ما زالت المائة قدم السفلى من نصب إبرة الفضاء قائمة، محاطة بفضوى من الكروم والأحراش. لا شيء يمكن تمييزه ولو من بعيد باستثناء جبل رينييه. من مسافة ستين ميلاً، وبعد ألفي عام، وقف دون تغيير ظاهري. كان توبياس قد جلس في شجرة على قمة ما كان ذات يوم تل كوين آن وبكى لمراى ذلك الجبل بينما تطن الغابة المطيرة بثرثرة الحيوانات التي لم تر أو تشم قط رائحة كائن بشري.

حلم بوقوفه في شاطئ في أوريجون.

تكوينات صخرية تلوح في الضباب مثل أشباح سفن.

كان قد تناول عصا وخربش بها في الرمل: أوريجون، الولايات المتحدة الأمريكية. جلس يراقب الشمس وهي تغوص في البحر بينما يعلو المد ويمحو الكلمات من الوجود.

حلم بالسير في طريق لا نهاية له أمامه.

بالنوم في الأشجار وعبور الأنهار.

حلم بأنه يحلم بيته في وايوارد باينز. قدر ما يريد من أغذية.  
بطن مليء بالطعام الدافئ. باب موصود.

الأمان وراء السور.

النوم دون خوف.

وهذه المرأة.

عندما تعود -وستعود- سأضاجعك أيها الجندي، كأنك عدت  
لتوك من الحرب.

كانت قد خطت هذه الكلمات على الصفحة الأولى من دفتر  
يومياته في الليلة السابقة على رحيله. لم تعرف إلى أين هو ذاهب  
بالطبع، لكنها كانت تعرف فقط أنه قد لا ينجح في العودة.

أحسّ بحنين بالغ تجاهها.

وزاد هذا الآن أكثر من أي وقت سبق.

لو تعرف فقط عدد الليالي الباردة والمطيرة التي قرأ فيها كلماتها  
الأخيرة وأحسّ بوهج الارتياح.

حلم بالموت.

بالعودة.

وأخيراً، حلم بأبشع شيء رآه في سلسلة طويلة من الأشياء البشعة.

سمعه وشمّه من مبعده عشرة أميال، الضجة المنبعثة من غابة  
خشب أحمر قديمة بها أشجار ارتفاعها أربعمائة قدم في مكان ما  
بمحاذاة حدود ما كانت يوماً ما كاليفورنيا وأوريجون.

عندما اقترب، أصبحت الضجة هائلة.

كأنها مئات الآلاف من الصرخات المستمرة.

كانت أكبر مجازفة قام بها خلال سنواته الأربع خارج السياج، لكن فضوله لم يسمح له بالعودة.

حتى بعد أيام، لم يكن سمعه سليمًا. درجة الصوت أعلى عشر مرات من أعلى حفل روك موسيقي. كأنها ألف طائرة تقلع في نفس اللحظة. زحف نحو الصوت، متسترًا بغطاء مؤقت من أحراش الغابة كتمويه.

على مبعده نصف ميل، تغلب الخوف على فضوله، ولم يستطع أن يرغم نفسه على التحرك قدمًا آخر أقرب.

التقط لمحات منه عبر الأشجار العملاقة - في حجم عشرة ملاعب كرة قدم، وأعلى أبراجه ترتفع عدة مئات من الأقدام فوق رؤوس الأشجار الحمراء. حدّق عبر منظار بندقيته وحاول أن يستوعب ما رآه: بناء مصنوع من ملايين الأطنان من التراب وجذوع الشجر والصخور، كلها مثبتة معًا بنوع ما من الصمغ. من مكمّنه، كان يشبه خلية نحل عملاقة سوداء - عشرات الآلاف من الخلايا الفردية تعج بالمنحرفين ومخزوناتهم من الفرائس المتعفنة.

كانت الرائحة تثير الدموع.

والضجة أشبه بمائة ألف شخص يُسلّخون أحياء في نفس الوقت.

بدا الأمر غريبًا تمامًا، وبينما كان يزحف مبتعدًا عنها، أتاه الإدراك وشعر به جليًا أمام عينيه تمامًا.

تلك البشاعة كانت مدينة.

المنحرفون يشيدون حضارة.

صار الكوكب كوكبهم.

\*\*\*

استيقظ.

عاد الضوء من جديد - زرقه ناعمة مترددة تتلأأ في الخلاء.

اكتسى كل شيء بالصقيع وتجمدت ساقا بنطاله إلى درجة التصلب  
أسفل ركبتيه.

كان المنحرفون قد رحلوا.

وكان يرتعد بشكل لا إرادي.

احتاج إلى النهوض، إلى التحرك، إلى التبول، إلى إشعال نار، لكنه لم  
يجرؤ.

لا فكرة لديه عن الوقت الذي انقضى منذ غادر الحشد.

\*\*\*

تسلقت الشمس السماء أعلى الجرف الصخري وضرب ضوء  
الشمس الخلاء.

تبخر الصقيع من فوق العشب.

لقد ظل مستيقظاً الآن طوال ثلاث أو أربع ساعات ولم يكن هناك  
غير صوت ورقة شجر ترتعش في الغابة المحيطة.

اعتدل توبياس في جلسته.

اشتعل الألم من جري الأمس داخل كل عضلة - كأنها أوتار جيتار  
مشدودة أكثر مما يجب. نظر حوله، وبدأت أطرافه تلتهب مع  
وصول الدم إليها.

بينما يجاهد كي يقف على قدميه، أشرق الإدراك بداخله.

هو ما زال يتنفس.

ما زال واقفًا.

وبطريقة ما.. حي.

أعلاه توهَّجت الأوراق القرمزية في شجيرات البلوط، بإضاءة خلفية  
من الشمس.

حدَّق عبرها إلى زرقه لم تبلغها أي سماء في حياته من قبل.

## 15

عندما استيقظ إيثان، كانت تيريزا وبين قد غادرا إلى العمل  
والمدرسة.

لم ينم تقريبًا.

سار عاريًا على الخشب الصلب القارص البرودة إلى النافذة وحكَّ  
طبقة الجليد من فوق الزجاج الداخلي.

ما زال الضوء القادم عبر النافذة ضعيفًا بما يشير إلى أن الشمس لم  
تتجاوز بعد الجدار الشرقي من الجبال التي تطل على البلدة.

لقد حذرته تيريزا من أنه في قلب الشتاء تأتي دائمًا فترة طولها  
شهر -الأسابيع الأربعة التي تحيط بالانقلاب الشتوي- لا تصعد فيها  
الشمس قط أعلى الجروف الصخرية المحيطة بوايوارد باينز.

فَوَّت الإفطار.



اشترى قهوة سريعة من ستيمينج بين ليشربها في الطريق.

سار جنوبًا خارج البلدة.

كان قد استيقظ وشعور بالندم يختمر داخله، مثل صداع الصباح بعد ليلة سُكر بيِّن - كل شيء ما زال غائمًا من ليلة الأمس وثمة إحساس ثقيل بأنه أفسد الأمر بشدة.

لأنه أفسده بالفعل.

لقد أخبر تيريزا.

كان شيئًا لا يمكن تصوره تقريبًا.

إحراقًا للحق، كان قد ارتبك بالفعل تمامًا بعد رؤية كيت، واستخدمت زوجته حيلها الماكرة للحصول على ما أرادته بالضبط. والحقيقة أنه لا يعرف بعد إلى أي حد كان هذا خطأ مأساويًا. في أسوأ الأحوال سيفلت لسان تيريزا وتخبر الآخرين وتشق هذه البلدة نصفين. سيدعو بيلتشر إلى إقامة مهرجان.. سيفقد زوجته.. سيفقد بن أمه.. مجرد تخيل هذا يقتله.

على الناحية الأخرى لا يمكنه أن ينكر أنه أحس بشعور طيب عندما حكى الأمر أخيرًا لشخص آخر، ناهيك بكونها زوجته. المرأة التي من المفترض ألا يخفي عنها أي أسرار. لو أمكنها أن تبقي فمها مغلقًا، لو أمكنها أن تتعامل بحصافة مع المعلومة -لا انفلاتات، ولا لحظات ضعف، ولا زلات، ولا نزوات- فسيكون هناك على الأقل إنسان آخر يشاركه ثقل هذه المعرفة الساحقة. على الأقل قد تفهم تيريزا أخيرًا العبء الذي يحمله على عاتقه كل يوم من حياته.

سار في منتصف الطريق، ورفع نظريه إلى لافتة "وداع" وايوارد باينز: أسرة من أربعة أشخاص في منتصف ابتسامة، منتصف تلويحة.

نتمنى أن تكون قد استمتعت بزيارتك إلى

وايوارد باينز

لا تكن غريبًا! عُد بسرعة!

بالطبع كان ذلك فقط المدخل إلى نكتة بيلتشر الكبرى.

وسيستدير الطريق عائداً بعد نحو نصف ميل ليقدم المفارقة الختامية الهستيرية للنكتة.

تلك الأسرة المثالية المبتسمة ذاتها على لافتة تحيي الجميع بـ

مرحبًا في وايوارد باينز

حيث الفردوس هو الوطن

ليست المسألة أن إثنان لا يُقدَّر المفارقة، بل وحس الدعابة على مستوى ما، لكن في ضوء ليلة الأمس، وما صارت عليه حياته سريعًا من كوارث، كان أكثر ما يتمناه لو أحضر معه بندقيته ذات الاثنى عشر خرطوشًا ليثقب برصاصها تلك الوجوه السعيدة البغيضة. سيفعلها في المرة القادمة.

حملت هذه الفكرة بالتأكيد وعدًا بشفاء صدره.

أنهى قهوته عندما وصل الغابة ورمى الثقل.

كان قد شرع في كرمشة الكوب الستايروفوم عندما رأى شيئًا بداخله.

كان خط كيت.

بقلم فلوماستر أسود وبخط دقيق:

الثالثة صباحًا. ناصية الرئيسي والثامن. قف بجوار الأبواب الأمامية لدار الأوبرا. بلا رقاقة وإلا لا تكلف نفسك عناء القدوم.

\*\*\*

كان باب النفق مرفوعًا بالفعل وبام في انتظاره جالسة على المصد الأمامي للسيارة الجيب ترتدي شورطًا أسود ليكرا وفانلة ليكرا بلا أكمام ترتفع فوق سرتها. شعرها البني مشدود إلى الوراء في ذيل حصان لكنه ما زال يحمل دُكنة العرق مما بدا تدريبيًا شاقًا.

قال إيثنان: "تشبهين صورة غلاف مجلة سيارات عريضة بالية."

- حلمتاي تتجمدان في البرد هنا.
- أنت لا ترتدين ما يكفي من الملابس تقريبًا.
- أنهيت للتو تسعين دقيقة على الدراجة. لم أتصور أن تتأخر إلى هذا الحد.

- قضيت ليلة طويلة.

- تطارد قصة حبك النارية القديمة؟

تجاهل إيثنان عبارتها هذه، وصعد إلى المقعد الأمامي.

أدارت بام المحرك، وانطلقت بالسيارة داخل الغابة، ودارت بها دورة كاملة كانت كفيلة بالقاء إيثنان من الجيب لولا أنه قبض على القائم الحديدي في اللحظة الأخيرة.

عادت بالسيارة إلى داخل النفق، وعندما انغلق الباب المموه خلفهما، صرخت إطارات السيارة وهي تنطلق بهما إلى قلب الجبل.

\*\*\*

دخل المصعد المؤدي إلى طابق بيلتشر، قالت بام: "أسد إليّ خدمة هذه الظهرية."

- ماذا؟

- تحقق من وضع واين جونسون.

- الوافد الجديد؟
- نعم.
- كيف يسير به الحال؟
- ما زال الوقت مبكرًا على المعرفة بالتحديد. لقد استيقظ بالأمس فقط. سأرسل معك نسخة من ملفه إلى البلدة، لكنني رأيت تقرير مراقبة أشار إلى أنه سار في الطريق إلى حافة البلدة هذا الصباح.
- وصل إلى السور؟
- لا، لم يغادر الطريق، لكن من الواضح أنه وقف هناك يحدّق في الشجر وقتًا طويلًا.
- ماذا تريدني أن أفعل بالضبط؟
- تكلم معه فقط. تأكد من أنه يفهم القواعد. ما هو متوقع. العواقب.
- تريدني أن أهده.
- لو رأيت أن هذا هو اللازم. سيكون من اللطيف لو تمكنت من المساعدة في دفعه إلى الاعتقاد بأنه ميت.
- كيف؟
- ابتسمت بام ابتسامة عريضة وقرصت ذراع إيثان بقوة كافية لإصابته بشدّ عضلي.
- آاه!
- تخيل ذلك يا عبيط. يمكن أن يكون الأمر ممتعًا لو تعرف.
- ماذا؟ إخبار رجل بأنه ميت؟

وصل المصعد، انفرجت الأبواب، لكن عندما تحرك إيثان كي يخرج من السيارة، مدت بام ذراعها أمامه. لم تكن مفتولة العضلات بالمعنى الكاريكاتوري للاعبة كمال الأجسام، لكن بنيتها العضلية كانت مثيرة للإعجاب بشدة. نحيلة وصلبة.

قالت: "لو أخبرتَ مستر جونسون أنه ميت، ستكون قد أخطأت المغزى بأكمله. يجب أن يصل إلى ذلك الاستنتاج وحده تمامًا."  
- هذه قسوة.

- لا، سينقذ هذا حياته. لأنه لو آمن بصدق أن هناك عاملًا ما زال موجودًا في الخارج، هل تعرف ماذا سيفعل؟  
- سيحاول الهرب.

- وخمن من الذي يجب أن يطارده؟ سأعطيك إشارة. شخص اسمه على وزن بيثان.

ابتسمت تلك الابتسامة السيكوباتية وأنزلت ذراعها وقالت: "أنت أولاً يا سيادة المأمور."

دخل إيثان مقر بيلتشر وسار في الممر إلى مكتبه، حيث جذب الأبواب البلوطية المزدوجة ودخل.

كان بيلتشر واقفًا قرب النافذة المحفورة في الصخر وراء مكتبه، محدقًا عبر الزجاج.

- تعال هنا يا إيثان. أريد أن أريك شيئًا. أسرع ولا سيفوتك.

تحرك إيثان إلى جوار حائط الشاشات المسطحة وحول مكتب بيلتشر.

أشار بيلتشر عبر الزجاج بينما وصلت بام إلى جانبه الآخر وقال: "والآن شاهد فقط."

من هذا الموقع المتميز للرؤية، بدا وادي وايوارد باينز غارقاً في الظل.  
- ها هي تأتي.

صعدت الشمس فوق الجدار الصخري الشرقي.

مالت أشعة الشمس هابطة إلى مركز البلدة في شعلة من النور المبكر.

همس بيلتشر: "بلدي. أحاول أن ألحق أول ضوء يصلها كل يوم."

أشار إلى إيثنان وبام كي يجلسا.

- ماذا لديك من أجلي يا إيثنان؟

- رأيت كيت ليلة أمس.

- حسناً، وماذا كانت لعبتك؟

- الصدق الكامل.

- عذراً؟

- أخبرتها بكل شيء.

- ماذا يفوتني؟

- كيت ليست بلهاء.

- أخبرتها بأنك تتحرى عنها؟

بدا الغضب مشتعلًا في كلمات بيلتشر.

- أتعتقد أنها لم تكن لتفترض هذا على الفور؟

- لن نعرف هذا أبدًا الآن، أليس كذلك؟

- ديفيد...

- أليس كذلك؟

- أنا أعرفها، وأنت لا.

- قالت بام: "إذن فقد أخبرتها أننا كشفناها، وقالت: عظيم، إليك ما يحدث."
- أخبرتها أنها مثار شك، وأن في إمكاني حمايتها.
  - لعبت على تلك المشاعر القديمة، هه؟
  - شيء من هذا القبيل.
  - طيب، قد لا تكون أسوأ طريقة. إذن ماذا عرفت؟
  - تقول إن آخر مرة رأتها فيها أليسا كانت في الشارع الرئيسي ليلة مقتلها. افترقا بعدها. وكانت أليسا ما زالت حية.
  - وماذا غير ذلك؟
  - لا فكرة لديها عما وراء السور. سألتني مرارًا.
  - إذن لماذا تعسُّ في منتصف الليل؟
  - لا أعرف. لم تكن لتخبرني. لكن لديَّ فرصة لاكتشاف الأمر.
  - متى؟
  - الليلة. لكنني في حاجة إلى انتزاع رقاقتي.
  - نظر بيلتشر إلى بام، ثم إلى إيثنان من جديد.
  - غير ممكن.
  - قالت رسالتها بوضوح: بلا رقاقة وإلا لا تكلف نفسك عناء القدوم.
  - إذن قل لها فقط إنك انتزعتها.
  - أتعتقد أنهم لن يتفحصوني؟
  - يمكننا أن نضع شقًّا في مؤخرة ساقك. لن يعرفوا الفرق أبدًا.

- ماذا لو لديهم طريقة أخرى للاكتشاف؟

- مثل ماذا؟

- اللعنة لو كنت أعرف، لكن لو كانت هناك رقاقة في ساقى الليلة، سأبقى في البيت.

- لقد ارتكبت هذا الخطأ مع أليسا. حجبته عن المراقبة. لو ظلت رقاقته بداخلها، لعرفنا بالفعل أين ذهبت. أين قُتلت. لن أرتكب هذا الخطأ مجددًا.

قال إيثنان: "يمكنني التعامل مع المسألة بنفسى. لقد رأيتما ذلك بشكل مباشر."

قالت بام: "ربما لسنا قلقين بشأن أمنك بقدر ما نحن قلقان من ولائك." التفت إيثنان في مقعده.

كان قد قاتل هذه المرأة ذات مرة في قبو المستشفى. جاءت إليه بحقنة، واندفع نحوها بأقصى سرعة، دافعًا وجهها إلى حائط خرساني. استعاد تلك اللحظة الآن كأنها ذكرى وجبة طيبة، متمنيًا لو أمكنه أن يتذوقها مرة أخرى.

قال بيلتشر: "إنها تثير نقطة وجيهة يا إيثنان."

- وما هي هذه النقطة؟ أنك لا تثق بي؟

- أنت تقوم بعمل عظيم، لكن ما زال الوقت مبكرًا. هناك الكثير لإثباته.

- أريد انتزاع الرقاقة وإلا لن أذهب. الأمر بهذه البساطة.

اكتسى صوت بيلتشر بنغمة خشنة:

- ستكون في مكثبي مع أول ضوء للصباح غدًا ومعك تقرير كامل. مفهوم؟



- مفهوم.
- والآن عليّ أن أحذرك.
- مما سيحدث لأسرتي لو قررت أن أهرب أو أسأت التصرف بشيء غير ذلك؟ ألا يمكنني تخيل الأسوأ وافترض أنك ستفعله؟ ما أحتاج إليه حقًا هو كلمة معك على انفراد.
- وألقى إيثنان نظرة نحو بام: "لا مانع لديك، أليس كذلك؟"
- بالطبع لا مانع لديّ.
- عندما انغلق الباب خلفها قال إيثنان: "أود أن أتعرف على صورة أفضل لمن كانت ابنتك."
- لماذا؟
- كلما عرفتُها أكثر، تحسّنت فرصتي في اكتشاف ما حدث لها.
- أعتقد أننا نعرف ما حدث لها يا إيثنان.
- ذهبْتُ إلى مقرها أمس. كانت هناك زهور وبطاقات في كل مكان حول بابها. فيضٌ حقيقي. لكنني كنت أتساءل - هل كان لديها أي أعداء في الجبل؟ أقصد أنها كانت ابنة الزعيم.
- اعتقد إيثنان أن بيلتشر قد ينفجر غضبًا إزاء هذا التطفل على خصوصيته وحزنه.
- لكن عوضًا عن ذلك، تراجع بيلتشر إلى الخلف في مقعده وقال في حزن تقريبًا: "كانت أليسا آخر شخص يستغل وضعه. كان يمكنها أن تعيش في هذا الجناح معي في رفاهية، وتفعل ما تشاء. لكنها أصرت على الاستمرار في العيش المتقشف بالمقرات وتلقي التكاليفات مثلها مثل الجميع. لم تسعَ قط إلى معاملة تفضيلية بسبب من كانت. والكل يعلم. وهذا جعل الجميع يحبونها حتى أكثر وأكثر."

- هل كنتما على وفاق؟
- نعم.
- ماذا كان رأي أليسا في كل هذا؟
- كل ماذا؟
- البلدة. المراقبة. كل شيء.
- في البداية، بعد أن خرجنا من حالة الإرجاء، كانت لديها لحظاتها المثالية.
- تقصد أنها لم توافق على الطريقة التي تدير بها وايوارد باينز؟
- صحيح. لكن قبل أن تبلغ العشرين، بدأت تنضج بالفعل.
- فهمت الأسباب وراء الكاميرات والمهرجانات. السور والأسرار.
- كيف أصبحت جاسوسة؟
- بناءً على طلبها. ظهر التكليف. وكان هناك كثير من المتطوعين.
- كانت لدينا منافسة كبيرة حوله. لم أرغب في أن تقوم به.
- كانت في الرابعة والعشرين فقط من عمرها. شديدة الحيوية.
- كان يمكنها الإسهام بأشياء كثيرة جدًا لم تكن لتعرضها للخطر.
- لكنها وقفت هنا وقال لي منذ عدة شهور: أنا أفضل مرشحة لهذه المهمة يا بابا. وأنت تعلم هذا. يعلم الجميع هذا.
- هكذا سمحت لها بالذهاب.
- كما ستكتشف مع ابنك بعد قليل، السماح بالذهاب هو أصعب وأعظم شيء يمكننا فعله من أجلهم.
- أشكرك. أشعر كأني أعرفها أفضل قليلاً الآن.
- أتمنى لو نلتَ الفرصة حقًا. كانت شيئًا مختلفًا.

في منتصف المسافة إلى الأبواب، توقف إيثان وألقى نظرة وراءه إلى بيلتشر :

- هل تمانع لو سألتك سؤالاً آخر أكثر تطفلاً؟

ابتسم بيلتشر بحزن وقال: "طبعًا، ماذا يمنعك؟"

- والدة أليسا. أين هي؟

كأن شيئًا انكسر في وجه الرجل. بدا عجوزًا فجأة، كما لو أن دعامات وجهه انهارت.

أحس إيثان على الفور بالندم لسؤاله.

انشطت الهواة من الغرفة.

قال بيلتشر: "من بين جميع من دخلوا حالة الإرجاء، لم يستيقظ تسعة أشخاص على الجانب الآخر. كانت إيزابيث واحدة من هؤلاء التسعة. والآن فقدت ابنتي أيضًا. احتضن أسرتك الليلة يا إيثان. ضمهم بقوة."

\*\*\*

كانت غرفة العمليات في المستوى الثاني، وكان الجراح في انتظارهما.

كان رجلًا مستديرًا له ظهر محني وحركته صعبة، كما لو أن عظامه ضمرت بعد سنوات من العيش في هذا الجبل، والتعرض النادر لضوء الشمس. تدلَّى معطفه الأبيض حتى حذائه المدبب وكان يرتدي بالفعل قناعًا طبيًا.

عندما دخل إيثان وبام، تطلع الطبيب إليهما من فوق حوض تتدفق من صنوره مياه يتصاعد منها البخار.

غسل يديه بقوة.

لم يقدم نفسه.

قال فقط: "اخلع بنطالك وارقد على بطنك فوق الطاولة."

نظر إيثان إلى بام: "هل ستبقيين من أجل هذا؟"

- هل تعتقد بأمانة أنني سأفوّت فرصة مشاهدتك تتعرض للفتح والتقطيع؟

جلس إيثان على مقعد مستدير وبدأ يخلع حذاءه.

لقد أعد كل شيء.

رُصّ على قماش جراحي أزرق وعلى صينية بجوار طاولة الجراحة: مشرط، ملاقيط، كلاب، خيوط جراحة، إبرة، مقص، حامل إبرة، شاش، يود، وزجاجة صغيرة بلا بطاقة.

خلع إيثان حذاءه العالي، وفك حزامه، وأسقط بنطاله الكاكي.

أحسّ بالأرضية باردة تحت جوربه.

أغلق الجراح الصنبور بكوعه.

صعد إيثان على الطاولة وركد على بطنه فوق القماش.

كانت هناك مرآة على الحائط في الجهة المقابلة من الحجرة وراء شاشات متابعة القلب وحوامل الخراطيم الوريدية. راقب الطبيب وهو ينتهي من ارتداء قفازه الجراحي ويسير نحوه.

سأله إيثان: "كم عمق الرقاقة؟"

قال الطبيب: "ليس عمقًا كبيرًا."

فتح زجاجة اليود.

صبّ بعضًا منها على قماشة.

دعك مؤخرة ساق إيثان اليسرى.

قال: "نلصقها بالعضلة الفخذية ذات الرأسين"، وأدخل الطبيب رأس الحقنة في أصغر زجاجة. "قليل من الوخزات البسيطة في الطريق."

- ماذا يوجد في هذه؟

- مجرد مخدر موضعي.

ما إن سرى الخدر في مؤخرة ساقه، حتى مضى الأمر بسرعة.

لم يشعر إيثان بشيء، لكن في انعكاس المرآة، راقب الطبيب يرفع المشروط.

شعر ببعض الضغط.

وسرعان ما ظهرت لطخات دم على قفاز الطبيب المطاطي.

بعد دقيقة، استبدل المشروط بالملاقيط.

وبعد عشرين ثانية، رنَّت الرقاقة في الصينية المعدنية إلى جوار رأس إيثان.

بدت أشبه بقشرة من معدن المايكا البلوري.

قال إيثان عندما دفع الطبيب قطعة من الشاش في الجرح: "أسدٍ إلىَّ معروفًا."

- ما هو؟

- اجعل الخياطة سيئة الغرز قدر الإمكان.

قالت بام: "فكرة ذكية.. ستنال بها بعض المصداقية لدى كيت لو اعتقدت أنك انتزعتها بنفسك.. يبدو أنك ستصير محتالاً حقيقياً."

- هذا ما أفكر فيه.

رفع الطبيب حامل الإبرة، وتدلَّى منها خيط طويل أسود.

\*\*\*

كان ألم القطع قد بدأ يسري في مؤخرة ساق إيثان وهو يقطع مع بام ممرّ الطابق الأول نحو المغارة.

توقف إيثان عند الباب المؤدي إلى زنزانة مارجريت، ومال على النافذة الزجاجية، وأحاط عينيه بيديه.

تساءلت بام: "ماذا تفعل؟"

- أريد أن أراها مرة أخرى.

- لا يمكنك.

ضيق عينيه عبر الزجاج في الظلام.

لم يستطع أن يرى شيئاً.

سألها إيثان: "هل عملت معها؟"

- نعم.

- ما رأيك فيها؟

- ينبغي أن توضع في المحرقة مع كل عيناتنا منهم. هيا.

نظر إيثان إلى بام: "ألا ترين فائدة في التعلم من المنحرفين؟ هم يفوقونا عددًا ببضع مئات من الملايين."

- أوه، أتقصد بهذا أنه يمكننا التعايش معًا؟ أي نوع من هراء الهيبيز التعايشي تقترحه؟

- البقاء على قيد الحياة.. ماذا لو لم يكونوا جميعًا عنيفين بلا عقل؟ إذا كانوا يمتلكون فعليًا ذكاء حقيقيًا، فالتواصل ممكن.

- لدينا كل ما نحتاج إليه في وايوارد باينز.

- لا يمكننا العيش في هذا الوادي إلى الأبد.

- وكيف لك أن تعرف هذا؟

- لأنني لا أعتبر الظروف في البلدة "عيشًا".

- وماذا تسميها؟

- سجنًا.

التفت إلى الزنزانة من جديد.

ملأ رأس مارجريت النافذة الدائرية، على مبعده بوصات.

كانت تحديق في عيني إيثان.

نظرة واضحة.

هادئة تمامًا.

قال: "ماذا يدور في عقلك.."

بدأت مخالبتها السوداء تنقر على الزجاج.

## 16

كان منزلًا فيكتورياً له غرفتا نوم في الناحية الشمالية الشرقية من البلدة، حديث الدهان، به شجرتا صنوبر في الفناء الأمامي واسم واين جونسون الأخير مخطوط بالفعل على صندوق البريد الأسود.

صعد إيثنان إلى الشرفة الأمامية ودق الباب بالمطرقة النحاسية.

بعد لحظة انفتح الباب.

تطلع رجل مستدير أصلع رمادي البشرة إلى إيثنان مضيئاً عينيه أمام الضوء.

كان يرتدي روب الحمّام، وما تبقى لديه من شعر بدا هائشاً وغير ممشط .

قال إيثنان: "مستر جونسون؟"



- نعم؟
- أهلاً، أردت فقط أن أمرّ عليك وأقدم نفسي. أنا إيثنان بيرك، مأمور وايبوارد باينز.
- بدا الإعلان عن ذلك المنصب بديئاً بشكل غريب.
- حدّق الرجل فيه مرتباً.
- هل من الممكن أن أدخل دقيقة واحدة؟
- إمم، طبعاً.
- ما زال المنزل يحمل رائحة البيوت الخاوية التي لم يسكنها أحد.
- جلسا إلى طاولة مطبخ صغيرة.
- خلع إيثنان قبعته وفك أزرار سترته الفرائية المقلنسة.
- اصطفت أطباق وصحون خزفية مغلّفة بورق الألمونيوم على النضد.
- لا شك أنه جرى الاتصال بالجيران وحثهم على إحضار الغداء والعشاء لمستر جونسون خلال أسبوعه الأول الصعب.
- بدت الأطباق الثلاثة في مرمى البصر سليمة لم تُمس.
- سأله إيثنان: "هل كنت تأكل؟"
- لم أجد فيّ شهية كبيرة حقاً.. الناس يأتون بكثير من الطعام.
- حسناً، إذن أنت تقابل جيرانك.
- تجاهل جونسون هذه الجملة.

رقد (دليل ترحيب وايبوارد باينز) المقدم لكل مواطن عند وصوله مفتوحاً على قشرة الطاولة المصنوعة من الخشب الصناعي. خمس وسبعون صفحة من التهديدات الرهيبة المتكررة في لطف باسم

"اقتراحات" لعيش حياة سعيدة في باينز. انقضى الأسبوع الأول لإيثان كمأمور في استظهار الدليل من الغلاف إلى الغلاف. كان الكتاب مفتوحًا حاليًا على الصفحة التي تشرح كيف يوزع الطعام خلال شهور الشتاء عندما تكون الحقائق في حالة تجمّد شديد.

قال واين: "يقولون لي إني سأعمل قريبًا."

- هذا صحيح.

وضع الرجل كفيه في حجره وحدّق إليهما.

- ماذا سأعمل؟

- لست واثقًا بعد.

- هل أنت واحد من الناس الذين يمكنني التحدث إليهم فعليًا؟

- نعم. يمكنك أن تسألني فورًا أي سؤال تريده يا مستر

جونسون؟

- لماذا يحدث لي هذا؟

- لا أعرف.

- لا تعرف؟ أم لن تخبرني؟

كان هناك قسم قرب بداية دليل الترحيب بعنوان: "كيف تتعامل مع الأسئلة والمخاوف والشكوك حول أين تكون".

جذب إيثان الدليل وفرّ الصفحات إلى ذلك القسم.

قال إيثان: "قد يقدم لك هذا الفصل بعض الإرشاد."

أحس كأنه يقرأ من سيناريو سيئ جدًّا، لا يصدقه.

- إرشاد إلى ماذا؟ لا أعرف أين أنا. لا أعرف ما حدث لي. ولا أحد

يخبرني بأي شيء. لا أحتاج إلى إرشاد، أحتاج إلى إجابات لعينة.

# مكتبة

t.me/soramnqraa

- أفهم إحباطك..

- لماذا لا يعمل الهاتف؟ حاولت أن أتصل بأمي خمس مرات. لكنه يرن ويرن فقط. هذا ليس معقولاً. هي دائماً في البيت، دائماً قرب الهاتف.

كان إيثنان في نفس موقف واين جونسون منذ وقت ليس بالبعيد.  
حانقاً.

مرعوباً.

يقترّب من الجنون وهو يجري في أرجاء البلدة محاولاً أن يتصل بالعالم الخارجي.

خطّط بيلتشر وبام كي يجعل إيثنان يعتقد أنه يفقد عقله. كانت تلك خطتهما لإدماجه منذ البداية. أما واين جونسون فكان مختلفاً. سيحصل على ما يناله أغلب الناس: عدة أسابيع لاستكشاف البلدة، لاستكشاف الحدود، للتعبير عن الغضب عدة مرات قبل أن تتدخل القسوة المحبّة لتهديه سواء السبيل.

قال واين: "سرتُ في الطريق الخارج من البلدة هذا الصباح، وتخيل ماذا وجدت؟ أنه فقط يلتف عائداً إلى البلدة.. هذا ليس معقولاً. هناك شيء خاطئ. لقد جئت إلى هنا بالسيارة منذ بضعة أيام. كيف يمكن أن يختفي الطريق الذي جئت منه؟"

- اسمع، أتفهم أن لديك بعض الأسئلة و...

- أين أنا؟

ملاً صوته المنزل.

- ما هذا المكان بحق الجحيم؟

احمرّ وجهه وارتج جسده.

سمع إيثان نفسه يقول: "إنها مجرد بلدة يا مستر جونسون." والمرعب في الأمر أنه لم يفكر حتى في إجابته. خرجت منه هكذا كأنها برمجة. كره نفسه على ذلك. لقد قيل له ذات الشيء مرارًا وتكرارًا خلال عملية إدماجه.

قال الرجل: "مجرد بلدة؟ نعم. مجرد بلدة غير مسموح لك بمغادرتها أو الاتصال بالعالم الخارجي."

قال إيثان: "أريدك أن تفهم شيئًا: كل شخص في وايوارد باينز جلس مجلسك، ومن ضمنهم أنا. ثم تحسن الأمور."

مبروك. أنت الآن تكذب بامتياز على الرجل.

- أقول لك إني أريد الرحيل أيها المأمور. إني لا أريد أن أكون هنا أكثر من ذلك. إني أريد العودة إلى الديار. أعود إلى حياتي كما كانت من قبل. ما قولك بالضبط ردًا على هذا؟

- ليس ممكنًا.

- ليس ممكنًا لي أن أغادر؟

- هذا صحيح.

- وأي سلطة تعتقد أنك تملكها كي تحتجزني هنا ضد إرادتي؟

وقف إيثان.

كان قد بدأ يشعر بالغثيان.

تساءل الرجل: "أي سلطة؟"

- كلما تصالحت أكثر مع حياتك الجديدة هنا، كلما تحسنت الأمور بالنسبة إليك.

ارتدى إيثان قبعته.

بدأت مؤخرة ساقه تؤلمه.

قال مستر جونسون: "أتمنى لو أنك قلت ما تعنيه.."

- معذرة؟

- لو حاولتُ الرحيل، ستقتلني. هذا فحوى كلامك، صحيح؟

نواة الحقيقة الصلبة التي كنت تتراقص حولها؟

رَبَّتْ إيثان على دليل الترحيب وقال: "كل شيء هنا. كل ما تحتاج إلى معرفته. داخل البلدة حياة. خارجها موت. الأمر بهذه البساطة حقًا."

عندما سار إيثان خارجًا من المطبخ وعاد نحو الباب الأمامي، هتف واين جونسون من خلفه: "هل أنا ميت؟"

كانت يد إيثان على مقبض الباب.

- من فضلك أيها المأمور، قل لي فقط. يمكنني أن أتعامل مع الأمر. هل متُّ في ذلك الحادث؟

لم يكن في حاجة إلى النظر إلى الخلف كي يعرف أن الرجل يبكي.

- هل هذا هو الجحيم؟

- إنها مجرد بلدة يا مستر جونسون.

عندما سار إيثان خارجًا، كانت فكرة واحدة تدور في رأسه.

ستشعر بام بالفخر.

وشعر -لأول مرة في حياته- أنه شرير حقيقي.

\*\*\*

ضبط إيثان وقت سيره إلى البيت من العمل كي يتوقف عند محل  
المجوهرات وبعد ذلك يمر على مكتب تيريزا للعقارات في موعد  
خروجها من العمل. دار حول الناصية إلى الشارع الرئيسي، ومؤخرة  
ساقه تنبض في موقع الشق.

تلبدت السماء بالغيوم وأضيئت أعمدة النور في الشارع وصار  
البرد قارصًا.

ها هي ذا، على مبعده نصف مربع سكني، تغلق باب المكتب  
قبل دخول الليل.

كانت ترتدي معطفًا صوفيًا رماديًا وطاقيّة صوفية مربوطة تحت  
الذقن - وبضع خصلات من الشعر الأشقر تطل خارجًا. لم تره بعد،  
وبينما كانت تجاهد كي تسحب المفتاح من القفل، كسر الخواء في  
وجهها شيئًا بداخله.

بدت محطمة.

مهترئة.

نادى اسمها.

نظرت وراءها نحوه.

كانت في حالة سوداوية. أمكنه أن يتبين هذا على الفور. ويمكنه  
أن يراهن بأي مبلغ من المال على أنها كانت تقاوم الدموع طوال  
اليوم. بلغها وأحاطها بذراعه.

سارا معًا على الرصيف.

كانت هناك حفنة من الناس في الخارج، يوصدون المحلات، يسرون  
إلى البيت من العمل.

سألها كيف سار يومها وقالت: "بخير..". في صوت قَوَّض معنى الكلمة.

سارا في خط مائل عبر تقاطع الشارع السادس.

قالت تيريزا: "لا أستطيع أن أفعل هذا."

كانت هناك دموع في صوتها الآن، وتحشرج حلقها من الانفعال.

قال: "نحتاج إلى أن نتكلم.."

- أعرف.

- لكن ليس هنا. ليس بهذا الشكل.

- هل يمكنهم أن يسمعونا الآن؟

- إذا لم نكن حذرين. تكلمي بهدوء وحدقي إلى الأرض. هناك

شيء لم أخبرك به ليلة أمس.

- ماذا؟

طَوَّق إيثان خصرها بذراعه، وجذبها قربه وقال: "انتظري لحظة."

مرّاً بجوار عمود نور على الناصية كان إيثان يعلم أنه يضم كاميرا

وميكروفوناً. عندما تجاوزاه بخمسين قدمًا قال: "هل كنت تعرفين أن

هناك رقاقة مجهرية في مؤخرة ساقك؟"

- لا.

- هكذا يتبعونك.

- هل لديك واحدة أيضًا؟

- أزلتها للتو. مؤقتًا.

- لماذا؟

- سأشرح لاحقًا. أريد أن أنتزع رفاقتك. إنها الطريقة الوحيدة كي  
نتمكّن من الحديث حقًا.

نهض منزلهما على مقربة أسفل التل.

سألته: "هل ستؤلم؟"

- نعم. سيكون عليّ أن أفتح ساقك. سنفعل ذلك في المقعد في  
حجرة المكتب.

- لماذا هناك؟

- إنها نقطة عمياء في منزلنا. النقطة الوحيدة. لا تستطيع الكاميرا  
رؤيتنا هناك.

انفرجت شفتاها عن أوهى ابتسامة ممكنة وقالت: "لهذا تريدني  
دائمًا في حجرة المكتب؟"

- بالضبط.

- أوافق أنك تستطيع القيام بهذا؟

- أعتقد ذلك. هل أنت مستعدة للأمر؟

سحبت تيريزا نفسًا عميقًا، ثم زفرته.

- سأكون.

\*\*\*

وقف إيثنان تحت القنطرة بين المطبخ وغرفة الطعام، يحدق في  
بن الذي جلس إلى المائدة مبلوغًا في معطف كبير وقد أحاط كتفيه  
ببطانية. كان الصوت الوحيد في المنزل هو شخبطة القلم الرصاص في  
يد الصبي على قطعة من الورق.

قال إيثنان: "مرحى يا صاحبي، كيف يسير الحال؟"



- بخير.

لم يرفع بن عينيه عن رسمه.

- ماذا تعمل عليه هناك؟

أشار بن إلى القطعة الأساسية على المائدة: مزهرية من الكريستال تضم باقة زهور ذبلت منذ وقت طويل في برودة البيت من الداخل. ذوت بتلات ساقطة عديمة اللون على المائدة حول قاعدة المزهرية.

- كيف كانت المدرسة اليوم؟

- جيدة.

- ماذا تعلمت؟

أخرج هذا السؤال بن من تركيزه.

كانت زلة صادقة - أثرًا من حياة إيثنان السابقة.

تطلع الصبي مرتبًا إلى أبيه.

قال إيثنان: "لا تبال".

حتى داخل البيت، كان البرد كافيًا لأن يرى إيثنان أنفاس ابنه تتكثف على هيئة بخار.

فار الغضب بداخله من العدم.

استدار فجأة وقطع الردهة، فتح الباب الخلفي بعنف، وعبر الشرفة الخشبية إلى الفناء.

كان العشب يحتضر متحولًا إلى اللون الأصفر.

وكانت مجموعة أشجار الحور التي تفصل بيتهم عن بيت جارهم قد أسقطت أوراقها فعليًا بين عشية وضحاها.

ما زالت متناثرة على أرضية السقيفة الخشبية كسرات لحاء وقشور صنوبر من حمولة العام الماضي. عندما رفع إيثان البلطة من كتلة التقطيع مسطحة الرأس، تصوّر تيريزا هنا في الخارج، تقطع الحطب وحدها في البرد، وهو ما زال في حالة الإرجاء.

اندفع عائداً إلى الداخل، وهو ينوء تحت ثقل الطاقة المظلمة<sup>(1)</sup> على كتفيه.

كانت تيريزا في غرفة الطعام مع بن، تراقبه وهو يرسم.

- إيثان؟ أكل شيء بخير؟

- بخير.

شقت أول ضربة طاولة القهوة من المنتصف، وانفغر جانباها إلى الداخل.

- إيثان! ماذا بك بحق الجحيم؟

تيريزا في المطبخ الآن.

رفع إيثان البلطة وقال: "يمكنني أن أرى... أنفاس ابني داخل منزلنا اللعين."

حطمت الضربة التالية النصف الأيسر من الطاولة، مهشمة البلوط إلى ثلاث قطع.

- إيثان، هذا أثنائنا...

نظر إلى زوجته: "كان أثنائنا. لكنه الآن حطب للتدفئة. هل توجد نسخة من الجريدة في مكان قريب؟"

- في غرفة نومنا.

---

(1) تُعرف الطاقة المظلمة في علم الكون وفيزياء الجسيمات بأنها أحد الأشكال الافتراضية للطاقة التي تملأ الفضاء والتي تملك ضغطاً سالباً. (المترجم)

- هل تمنعين في إحضارها؟

قبل أن تعود تيريزا بجريدة وايوارد لايت، كان إيثنان قد كسر طاولة القهوة إلى قطع صغيرة بما يكفي لوضعها داخل الموقد.

كوّرا قصاصات من الجريدة ووضعاها حشواً تحت الحطب.

فتح إيثنان الصمام وأشعل الورق.

عندما استعرت النار، نادى بن.

ظهر الصبي وتحت ذراعه لوحة الرسم: "نعم؟"

- تعال اقترّب من النار.

نظر بن إلى طاولة القهوة المهشّمة.

- تعال يا بُنيّ.

اتخذ الصبي مجلسه على مقعدٍ هزّاز بجوار الموقد.

قال إيثنان: "سأترك لك الباب مفتوحًا. عندما تبدأ هذه النار في الوهن، ضع قطعة أخرى."

- حاضر.

نظر إيثنان إلى تيريزا، وحوّل عينيه إلى الصالة.

جلب طبقًا من المطبخ، وتبعها عائداً إلى غرفة المكتب.

أوصد عليهما الباب.

كان الضوء القادم عبر النافذة رماديًا، واهيًّا، كابيًّا.

قالت تيريزا: "هل أنت واثق بأنهم لا يستطيعون رؤيتنا هنا؟"

مال نحوها وهمس: "نعم لكنهم سيتمكّنون من سماعنا."

أجلسها في المقعد، ووضع إصبعه على شفثيه.

مدّ يده في جيبه، وأخرج قصاصة ورق كان قد طواها منذ ثلاثين دقيقة في القسم.

فتحتها تيريزا.

أحتاج إلى الوصول إلى مؤخرة ساقك اليسرى. اخلي بنطالك واستديري. أنا آسف لكن هذا سيؤلمك كثيراً. يجب أن نظلي هادئة. من فضلك ثقي بي. أحبك كثيراً.

تطلعت إليه من خلف الرسالة القصيرة. مرعوبة.

أنزلت يدها وبدأت تفك أزرار بنطالها الجينز.

ساعدتها في إنزاله من فوق فخذيها، وثمة شيء إبروتيكي لا مفر منه وهو يشد البنطال ليخلعه - رغبة في الاستمرار، في متابعة تجريدها من ثيابها. لقد كان في نهاية الأمر مقعد مضاجعتهما.

استدارت تيريزا بالعرض ومدت ساقها في الهواء كأنها تقوم بتمرين فرد عضلات.

دار إيثنان إلى جانب المقعد.

كان متأكدًا بنسبة تسعين في المئة أنه خارج منظور الكاميرا الموجهة نحو رفوف الكتب في الناحية الأخرى من الحجرة وفقًا لما رآه في مكتب بيلتشر.

وضع الطبق على البلاط وخلع معطفه.

جثا على ركبتيه وفتح أحد جيوب المعطف الكبيرة وأخرج كل ما سلبه من مكتبه تلك الظهيرة.

زجاجة كحول مطهر.

حفنة من كرات القطن.

شاش.

أنبوب صمغ ممتاز.

قلم إضاءة.

ملقط نشله من حجرة العمليات في الجبل.

سكين متعدد الاستخدامات.

حدَّق في مؤخرة ساق تيريزا اليسرى بينما رائحة دخان الخشب تزحف قادمة من غرفة المعيشة عبر عقب الباب. استغرق لحظة كي يميز ندبة الشق القديم البيضاء، والتي تشبه أثر يرقعة صغيرة. فتح زجاجة الكحول المطهر ووضع قطعة قطن على فمها وقلبها رأساً على عقب.

امتلات الحجرة برائحة الإيزوبروبانول الحادة النفاذة.

مسح بقطعة القطن المبتلة نديتها ثم مسح بها الطبق. فتح السكين. نصله له هيئة شريرة بالنسبة إلى أي سكين: مسنن بالكامل ومعقوف مثل مخلب طائر جارح. بلل قطعة قطن أخرى وعقم بها النصل والملقاط.

راقبته تيريزا، وفي عينيها نظرة أقرب إلى الرعب.

همس: "لا تنظري.."

أومات برأسها، وقد زمت شفتيها، وتصلب فكها من التوتر.

عندما لمس بطرف السكين قمة الندبة، تصلب جسدها. لم يكن قد استجمع شجاعته كلها كي يبدأ في شقها، لكنه غاص بالنصل على أي حال.

أخذت تيريزا نفساً عنيقاً من بين أسنانها عندما دخل النصل.

ثبتت عينا إيثنان لحظة على يديها اللتين تكورتا في قبضتين متشنجتين.

فصل ذهنه عن الموقف.

كان النصل حاداً بشدة، لكن هذا كان بمنزلة هدية صغيرة. دون مقاومة -مثلما يشق زبدًا دافئًا- سحبها بسهولة بامتداد ندبة زوجته. لم يبدو أنه يؤلمها، لكن وجهها كان منقبضًا ومحمراً بينما ابيضت عقلت أصابعها وسال خيط مستقيم من الدماء على مؤخرة ساقها.

تذكر هذه النظرة على وجهها.

ذلك العزم الجميل الشرس.

ليلة مولد ابنهما.

غاص طرف السكين ربع-وربما نصف- بوصة، وتساءل إن كان قد بلغ عمقًا كافيًا لكشف العضلة.

سحب السكين بحرص ووضعها في الطبق. كسا الدم طرف السكين بدرجة كثافة زيت المحرك. برزت النقاط والبقع على الخزف الأبيض. تلتخ سروال تيريزا الداخلي باللون الأحمر وتجمعت الدماء في ثنايا المقعد.

التقط إيثان الملقاط.

أضاء مصباح القلم ووضع بين أسنانه.

مال مقتربًا ليفحص الشق الجديد.

بيده اليسرى وسَّع فتحة الجرح.

وباليمنى أعمل الملقاط داخل الشق.

سالت الدموع على وجه تيريزا، وقبضت على شعرها بيدها الاثنتين. تشكك في قدرتها على تحمُّل المزيد من القطع لو احتاج إلى أن يصل إلى عمقٍ أكبر.

فتح الملقاط ببطء.

أخرجت تيريزا أعلى صوت لها حتى الآن: صوت عميق ومكتوم في نهاية حلقها.

أنشبت أصابعها في تنجيد ذراعي المقعد.

كان أصعب ما في الأمر أنه لا يستطيع أن يقدم لها كلمة تشجيع أو راحة واحدة.

سلط مصباح القلم داخل الجرح.

رأى العضلة.

عكست الرقاقة وميضاً لؤلؤياً من سطح عضلة باطن الركبة.

رفع السكين من الطبق.

بيد ثابتة.

لسع العرق عينيه.

كدنا نصل يا حبيبتي.

دفع النصل من جديد في الجرح بينما يسيل الدم على ساقها. جفلت تيريزا عندما لمس طرف السكين العضلة، لكنه لم يتردد.

أعمل إيثنان طرف السكين بين العضلة والرقاقة وفصلهما.

سحب النصل، والرقاقة متشبثة في طرفه بكاد.

كان قد حبس أنفاسه طوال هذا الوقت.

سحب جرعة كبيرة من الهواء وهو يضع السكين في الطبق.

رمقته تيريزا، متلهفة على أن تعرف.

أوماً برأسه وابتسم والتقط قطعة من شاش. أمسكتها وثبتتها على مؤخرة ساقها. نشع الدم منها على الفور تقريباً وناولها إيثنان قطعة جديدة.

بدا أن المرحلة الأسوأ من الألم تنسحب، وغادرت الحمرة وجهها مثل انكسار الحمى.

بعد خمس دقائق أصبح التدفق محكوماً.

وبعد عشرين دقيقة توقف تمامًا.

بلل إيثان قطعة قطن أخيرة بالكحول ونظف موقع الشق بينما انكشيت تيريزا من وخز الوجع. ثم ضغط فتحة الجرح الفاغرة ليغلقها، وفتح غطاء أنبوب الصمغ بأسنانه، وضغط الأنبوب لتخرج منه كرة صمغ وفيرة، فردها بطول جرحها.

حلّ الظلام تقريبًا في الخارج، وازداد البرد مع كل لحظة في داخل غرفة المكتبة.

ظل ممسكًا بالشقّ مقفولاً لمدة خمس دقائق، ثم أفلته.

ظل الشق منغلقًا بفعل الصمغ.

دار إيثان إلى مقدمة المقعد ووضع شفتيه على أذني تيريزا:

- أخرجتها. كنتِ رائعة.

- كان من الصعب للغاية أن أمتنع عن الصراخ.

- الصمغ يبلي بلاء حسنًا، ويبقي الشق مغلقًا، لكن ينبغي لك أن تبقي في مكانك لبعض الوقت. امنحيه الوقت كي يستقر فعلاً.

- أنا أتجمد من البرد.

- سأحضر لك أغطية.

أومات برأسها.

ابتسم لها.



كانت الدموع ما زالت عالقة في زوايا عينيها.

همست: "دعني أراها."

رفع السكين من الطبق وأمسك بطرف النصل أمام وجه تيريزا.  
استقرت الرقاقة المجهرية وسط دم مُبترّد يزداد لزوجة مع الوقت.  
انشدت عضلات فكها برفة من الغضب. الانتهاك.  
نظرت إلى إيثنان.

لم تخرج من فمها الكلمات، لكن لا يهم. استطاع أن يراها مكتوبة  
بوضوح على وجهها: هؤلاء الملاحين!

التقط الرقاقة من السكين، ونظفها من الدماء والأنسجة بقطعة  
من الشاش، وقدمها إلى تيريزا. ثم مد يده في جيب معطفه وأخرج  
العقد الذهبي الذي اشتراه تلك الظهيرة. كان عبارة عن سلسلة رفيعة  
مجدولة بها قلادة على شكل قلب.

قالت: "لم يكن ينبغي لك أن ترهق نفسك."

فتح إيثنان القلادة وهمس: "احتفظي بالرقاقة داخل القلب. يجب  
أن ترتدي هذا العقد طوال الوقت، إلا إذا أخبرتك بغير ذلك."

\*\*\*

كان الجو دافئًا بالفعل في غرفة المعيشة. توهَّجت وجنتا بن في  
نور النار. كان يرسم الموقد المفتوح، ألسنة اللهب، الخشب المتفحم  
بالداخل، قطع طاولة القهوة المهشمة المتناثرة حول القاعدة.

- أين ماما؟

- تقرأ في غرفة المكتب.. هل تحتاج إلى شيء؟

- لا.

- دعنا لا نزعجها بعض الوقت، اتفقنا؟ لقد مرت بيوم صعب.

جمع إيثان ملء ذراعيه من البطانيات من المخبأ تحت الأريكة، وتوجّه عائداً إلى غرفة المكتب.

كانت تيريزا ترتجف.

دَثَّرها بالأغطية.

قال: "سأصنع لك شيئاً دافئاً على العشاء."

ابتسمت من خلال الأم، وقالت: "سيكون هذا عظيمًا."

مال إليها إيثان وهمس: "اخرجي بعد ساعة، لكن مهما كان الأم كبيراً، سيري منتصبه. لو لمحوك تعرجين في الكاميرات، سيعرفون."

\*\*\*

وقف إيثان عند حوض المطبخ، محدقاً في العتمة خارج النافذة. منذ ثلاثة أيام، كانت نهاية الصيف. كانت أوراق الشجر بادئة للتو في تغيير ألوانها. يا إلهي! مرّ الخريف في غمضة عين، من أغسطس إلى ديسمبر في اثنتين وسبعين ساعة.

كانت الفاكهة والخضراوات في الثلاجة آخر الأشياء الطازجة بالتأكيد التي سيأكلونها لشهورٍ قادمة.

ملأ إناءً بالماء ووضع على النار ليغلي.

وضع وعاء طهي كبيراً بجواره، ورفع نار العين إلى المستوى الأوسط، وصبّ قليلاً من زيت الزيتون.

كان قد بقي لديهم خمس حبات طماطم ناضجات؛ وهو ما يكفي تمامًا.

خطة عشاء قيد التنفيذ.

طَحَنَ فص ثوم، خَرَطَ بصله، ألقى كل هذا في الزيت.

وبينما يتعالى طشيش هذه الأشياء، قطع الطماطم.

كانه واقف في مطبخهم في سياتل. في مساءات السبت، كان يُشغل أسطوانة لعازف البيانو ثيلونيوس مونك، يفتح زجاجة نبيذ أحمر، وينغمس في طهو عشاء فاخر لأسرته. لا توجد طريقة أفضل من تلك للاسترخاء بعد أسبوع طويل. اكتست هذه اللحظة بطابع تلك الأمسيات الهادئة، بكل تفاصيلها العادية. باستثناء أنه قبل نصف ساعة استأصل رقاقة تتبّع مجهرية من مؤخرة ساق زوجته في البقعة الوحيدة في منزلهم التي لا تخضع للمراقبة الدائمة.

باستثناء ذلك.

أضاف الطماطم ومزجها مع البصل وصبّ المزيد من الزيت ومال على الموقد وسط هبات البخار ذات الرائحة العذبة، محاولاً -للحظة واحدة- معانقة الخيال.

\*\*\*

خرجت تيريزا وهو يشطف المكرونة. كانت مبتسمة وظن أنه شعر بالألم في بسمتها -توتراً خفيفاً- لكن لم يكن هناك أي تعثُر في مشيتها. أكلوا العشاء كأسرة على بطانية في غرفة المعيشة، متجمعين حول الموقد ومنصتين إلى الراديو.

كان هيكتِر جايرز يعزف شوبان.

وكان الطعام جيداً.

والدفء محيط.

ومرّ كل شيء أسرع مما يجب.

\*\*\*

بعد منتصف الليل.

نام بن.

كانوا قد أحرقوا طاولة القهوة في ساعتين، وغاص المنزل الفيكتوري من جديد في الصقيع الشديد.

رقد إيثنان وتيريزا متواجهين في الفراش.

همس: "هل أنت مستعدة؟"

أومات برأسها.

- أين عقدك؟

- أرتديه.

- اخلعيه، واتركيه على طاولة الفراش الجانبية.

عندما انتهت من ذلك قالت: "وبعد ذلك؟"

- ننتظر دقيقة واحدة.

\*\*\*

ارتديا ثيابهما في الظلام.

ذهب إيثنان ليلقي نظرة على ابنهما، ووجد الصبي غارقاً في النوم.

نزل إلى الطابق الأرضي مع تيريزا.

لم ينطق أحدهما بكلمة.

عندما فتح الباب الأمامي، رفع إيثنان قلنسوة كنزته السوداء وأشار إلى تيريزا كي تفعل المثل.

خرجا.

اخترقت أعمدة الإنارة وأضواء الشرفات الأمامية عتمة الليل.

ليل قارص البرد وبلا نجوم.

سارا إلى منتصف الشارع.

قال إيثان: "يمكننا أن نتكلم الآن، كيف حال ساقك؟"

- عذاب.

- أنتِ رائعة يا حبيبتي.

- ظننت أني سأفقد الوعي.. ليتني فقدته.

تحركا غربًا نحو المنزل.

سرعان ما صار بمقدورهما سماع صوت النهر.

تساءلت تيريزا: "هل نحن آمان حقًا هنا؟"

- لسنا آمنين في أي مكان. لكن على الأقل دون رقاقتينا، لن

تلتقطنا الكاميرات.

- أشعر كأني في الخامسة عشرة من عمري مرة أخرى، أتسلل

من بيت والدي.. الهدوء شديد.

- أحب الخروج في وقتٍ متأخر. ألم تتسلي من قبل؟ حتى ولا

مرة واحدة؟

- بالطبع لا.

تركا الشارع وسارا في أرض الملعب.

على مبعدة خمسين ياردة، سقط نور مصباح عمود إضاءة وحيد

على مجموعة الأراجيح.

سارا حتى بلغا نهاية المنزل، وحافة النهر.

جلسا وسط العشب المحتضر.

كان بمقدور إيثان أن يشم رائحة الماء لكنه لم يستطع أن يراه. لم يستطع أن يرى يديه لو رفعهما أمام وجهه. لم يبدُ انعدام القدرة على الرؤية مريحًا هكذا من قبل.

قال: "لم يكن ينبغي لي أن أخبرك.. كانت لحظة ضعف.. فقط لم أستطع تحمُّل أن تكون بيننا هذه الكذبة.. ألا نكون في نفس القارب."

- بالطبع كان يجب أن تخبرني.

- لماذا؟

- لأن هذه المدينة كتلة من الخراء.

- لكن لا يبدو أن هناك شيئًا أفضل خارجها. لو كان لديك حلم بمغادرة وايوارد باينز قبل ذلك، فقد دمرت لك تلك الفسيلة من الأمل.

- سأتقبَّل الحقيقة ذات يوم.. ورغم ذلك ما زلت أريد الرحيل.

- ليس ممكنًا.

- أي شيء ممكن.

- سنُذبح أسرتنا في الساعة الأولى.

- لا يمكنني العيش هكذا يا إيثان.. فكرت في الأمر طوال اليوم. لا يمكنني التوقف عن التفكير فيه. لن أعيش في منزل يتجسَّسون عليّ فيه. حيث يجب أن أهدم ما أهدمته في محادثة حقيقية مع زوجي. سئمت من العيش في بلدة يذهب فيها ابني إلى مدرسة لا يمكنني معرفة ما يتعلَّمه بها.. هل تعرف ماذا يُدرسون له؟

- لا.

- وأنت راضٍ عن ذلك؟

- بالطبع لا.
- إذن افعل شيئاً بحق اللعنة حيال ذلك.
- لدى بيلتشر مئة وستون شخصاً يعيشون داخل الجبل.
- هناك أربعمئة أو خمسمئة منا.
- هم مسلحون. ونحن لا. اسمعي، لم أخبرك بما يجري كي تطلبي مني أن أفجر كل شيء.
- لن أعيش هكذا.
- ماذا تريد مني يا تيريزا؟
- أصلح الأمر.
- أنت لا تعرفين ما الذي تطلبين.
- تريد أن يكبر ابنك...
- لو كان إحراق هذه البلدة حتى تتساوى بالأرض هو ما يجعل الأشياء أفضل قليلاً لك ولين، لأحرقها منذ أول يوم لي في العمل.
- نحن نفقده.
- عم تتحدثين؟
- بدأ الأمر في السنة الماضية. ولا يزداد إلا سوءاً.
- كيف؟
- إنه ينجرف بعيداً يا إيثان.. لا أعرف ماذا يُعلمونه، لكنه شيء يسرقه منا. هناك جدار يرتفع.
- سأكتشف الأمر.
- أتعدني؟

- نعم، لكن عليك أن تعديني بشيء.

- ماذا؟

- لن تنطقي بكلمة مما أخبرتك إياه. ولا تفصيلة واحدة لأي شخص.

- سأبذل قصارى جهدي.

- شيء أخير.

- ماذا؟

- هذه أول مرة نكون معًا في وايوارد باينز دون مراقبة الكاميرات.

- إذن؟

مال نحوها وقبّلها في الظلام.

\*\*\*

سارا عبر البلدة.

أحس إيثان بردًا إذ متجمدٍ يضرب وجهه.

قال: "أهذا ما أفكر فيه؟"

من بعيد، أصبح ضوء عمود نور وحيد مسرّحًا لرقاقات الثلج.

لم تكن هناك ريح. سقط الجليد عموديًا.

قالت تيريزا: "أتى الشتاء.."

- لكننا كنا في الصيف منذ بضعة أيام.

- الصيف طويل، والشتاء طويل. أما الربيع والخريف فينقضيان

في لمح البصر. استمر الشتاء الماضي تسعة أشهر. كان الجليد

بعمق عشرة أقدام في الكريسماس.



مدّ يده وأمسك بيدها المحاطة بقفاز سميك.

لا صوت في الوادي بأكمله.

سكون تام.

قال إيثنان: "كأننا في أي مكان.. قرية في جبال الألب السويسرية.. فقط عاشقان خرجا للتمشية في منتصف الليل."

حدّرته تيريزا: "لا تفعل هذا.."

- أفعّل ماذا؟

- تتظاهر بأننا في مكان وزمان آخرين.. من يتظاهرون في هذه البلدة يصابون بالجنون.

ظلاً بعيدين عن الشارع الرئيسي، التزما بالشوارع الجانبية.

كانت المنازل مظلمة. في غياب دخان الحطب في الوادي، حمل الهواء المخطط بالجليد سمّاً نظيفاً مغسولاً.

قالت تيريزا: "أحياناً، أسمع صرخات وصيحات، تكون بعيدة، لكنني أسمعها. لا يأتي بن على ذكرها أبداً، لكنني أعرف أنه يسمعها أيضاً."

قال إيثنان: "إنهم المنحرفون.."

- غريبة أنه لم يسألني قط عن ماهية هذا الصوت. كأنه يعرف بالفعل.

سارا جنوباً متجاوزين المستشفى على الطريق الذي من المفترض أن يؤدي إلى خارج البلدة.

تجاوزا أعمدة الإنارة.

أحاط بهما الظلام.

اكتسى الأسفلت بطبقة هشة من نثار الثلج بارتفاع ربع بوصة.

قال إيثان: "قمت بزيارة لوين جونسون هذه الظهيرة."

- من المفترض أن أخذ له العشاء ليلة الغد.

- كذبت عليه يا تيريزا، أخبرته أن الأمور ستتحسّن، أخبرته أنها مجرد بلدة.

- وأنا أيضًا.. لكن هذا ما يجعلونك تقوله، أليس كذلك؟

- لا يستطيع أحد أن يجعلني أفعل أي شيء. الأمر دائمًا اختيار في النهاية.

- كيف حاله؟

- ماذا تعتقدين؟ مرعوب، مرتبك، يعتقد أنه ميت وهذا هو الجحيم.

- هل سيهرب؟

- ربما.

عند حافة الغابة، توقف إيثان.

قال: "السور على مبعده ميل أمامنا مباشرةً."

سألته: "كيف يبدو؟ المنحرفون."

- مثل كل الأشياء السيئة التي رأيته في كوابيس طفولتك. إنهم الوحوش في الخزانة، أو تحت السرير. هناك ملايين منهم.

- وتقول لي إن هناك سورًا بيننا وبينهم؟

- إنه سور كبير. مكهرب.

- أوه، حسنًا، في هذه الحالة.

- وهناك بضعة قناصة على الذرى.

- بينما يعيش بيلتشر وناسه في أمان وسط الجبل.

سارت تيريزا بضع خطوات في الطريق، والثلج يتراكم على كتفيها، وعلى قلنسوتها.

- قل لي شيئاً. ما المغزى من كل هذه المنازل الصغيرة الجميلة ذات السياجات الخشبية البيضاء؟

- أعتقد أنه يحاول الحفاظ على طريقتنا في الحياة.

- من أجل من؟ نحن أم هو؟ ربما يجب أن يخبره أحدهم أن طريقتنا في الحياة انتهت.

- لقد حاولت.

- يجب أن نكون جميعاً في هذا الجبل، نفكر في شيء ما. لن أعيش بقية حياتي في نموذج بلدة في لعبة قطار يملكها مريض نفسي.

- حسناً، الرجل المسؤول لا يشاركك رأيك. اسمعي، لن نصلح هذا الليلة.

- أعرف.

- لكننا سنصلحه.

- أتقسم؟

- أقسم.

- حتى لو كان هذا يعني خسارة كل شيء؟

- حتى لو كان يعني أن نخسر حياتنا.

تقدم إيثان إلى الأمام، وفتح ذراعيه، وجذبها إليه. "أطلب منك أن تثقي بي.. يجب أن تستمري كأن شيئاً لم يتغير."

- هذا سيجعل مواعيد علاجي النفسي شيقة.

- أية مواعيد؟

- أذهب إلى موعد مرة في الشهر، وأتحدث إلى متخصص في العلاج النفسي. أعتقد أن الجميع يفعلون ذلك. إنه الوقت الوحيد المسموح لنا فيه بالبوح إلى إنسان آخر. علينا أن نشاركه مخاوفنا، أفكارنا، أسرارنا.

- يمكنك الحديث عن أي شيء؟

- نعم.. ظننت أنك تعرف بأمر هذه اللقاءات.

- أحسّ إيثان بفوران من الغضب.

- قمع غضبه - لن يفيدنا الآن.

- سألها: "من ترين؟ رجلاً؟ امرأة؟"

- امرأة. إنها جميلة جداً.

- ما اسمها؟

- بام؟

- أغلق عينيه، وسحب دفعة عميقة باردة من الهواء المحمل بأريج الصنوبر.

- سألته تيريزا: "أتعرفها؟"

- نعم.

- وهي واحدة من أتباع بيلتشر؟

- إنها إلى حدّ كبير التالية له في القيادة. لا يمكنك أن تخبرها بأي شيء عن الليلة.. أو عن رفاقك.. أتفهمين؟ لا شيء. ستقتل أسرتنا.

- طيب.

- هل تفحصت من قبل مؤخرة سائقك؟
- لا.
- وهل فعل ذلك أي أحد؟
- لا.
- نظر إلى ساعته، الثالثة إلا الربع صباحًا. حان الوقت تقريبًا.
- قال: "اسمعي، يجب أن أكون في مكان ما الآن.. سأوصلك إلى البيت."
- تساءلت: "ترى كيت مرة أخرى؟"
- ومجموعتها.. بيلتشر يتحرق إلى معرفة ما هم مقبلون عليه.
- دعني آتي.
- لا أستطيع.. إنها تنتظرنني وحدي.. لو ظهرت فجأة أيضًا، قد تصبح الأمور...
- محرجة؟
- يمكن أن يقلقها هذا. بالإضافة إلى أنها وجماعتها ربما قتلوا أحدهم.
- من؟
- ابنة بيلتشر.. كانت جاسوسة؛ القصد أنني لا أعرف إن كانوا خطرين أم لا.
- من فضلك احترس.
- أمسك إيثان بيد زوجته والتفتا عائدين إلى البيت.
- بدت أضواء وايوارد باينز غائمة عبر الثلج.
- قال: "دائمًا يا حبيبتي."

## 17

في وقفها في الغابة بين أشجار الصنوبر، اعتقدت أنه لا يوجد ما هو أجمل من رقائق الثلج وهي تسقط في ضوء الليل الكابي.

منذ عشر سنوات، كان هناك حريق غابة على مبعده ثلاثة أميال من وسط البلدة. وقفت هي وسط الأشجار المشتعلة تراقب الجمرات وهي تنهمر من السماء. ذكّرها موقفها الآن بذلك اليوم، باستثناء أن الثلج كان يتوهج بلون أخضر.. أخضر مشتعل. وكل رقاقة تترك خطأ مضيئاً في أثرها. وأرضية الغابة والطريق وأسقف المنازل المغطاة بالثلج في البلدة، كلها توهجت كأنها شاشات مبكسلة.

الثلج الذي تجمّع على أكتاف إيثنان وتيريزا توهج أيضاً.

كأن غباراً سحرياً نُثر عليهما.

لم تكن بام مضطرة حتى إلى الاختباء خلف شجرة.

على قدر ما يمكنها أن تتبين، لم يحضر إيثان كشافاً يدوياً، وكان الظلام شديداً هنا في الغابة، لا تطاله أعمدة الإنارة وأضواء الشرفات، لذا لم يكن لديها أي خوف من اكتشاف وجودها. لم يكن عليها إلا أن تقف في صمت تام، على مبعدة خمسة عشر قدماً، وتنصت.

لم يكن من المفترض وجودها هنا.

في الحقيقة، كانت قد أرسلت لمراقبة الوافد الجديد: واين جونسون. كانت ليلته الثانية في وايبورد باينز، والليلة الثانية تاريخياً ليلة الهاربين. لكنها كانت قد بدأت تعتقد أن واين ربما يتواءم مع الوضع بشكل أسرع من التوقعات. أنه لن يثير أي مشكلات كبيرة. في النهاية كان مجرد بائع موسوعات. شيء ما يتعلق بطبيعة مهنته، على الأقل بالنسبة إليها، يوحى بالإذعان.

لذا وبدلاً من ذلك، تسلّلت إلى المنزل الفارغ في مواجهة منزل إيثان واختبأت وراء الستائر في غرفة المعيشة لتطل مباشرة على بابه الأمامي.

سينزعج بيلتشر من تخليها عن مهمتها. سيكون عليها أن تتحمّل توبيخاً كبيراً على ظاهر هذا القرار، لكن على المستوى الباطني -عندما يهدأ رئيسها أخيراً ويسمعها- سيطرب لنتائج اختيارها.

فعلت ذلك من قبل مع كيت بالينجر.. راقبت منزل هذه المرأة ليلاً لمدة أسبوعين قبل أن تضبطها أخيراً وهي تغادره. لكن تتبّعها هي وزوجها كان قصة أخرى. سرعان ما فقدت بام أثرها بعد أن اختفت كيت حرفياً تحت الأرض. حاولت أن تقنع بيلتشر بالسماح لها بتخصيص بعض الموارد الحقيقية، لكنه أوقفها لأن أليسًا كانت تتولى القضية بالفعل.

كيف سيبدو ذلك لك بحق اللعنة؟

رأيها أن الرجل العجوز تحمّل هراء أكثر من اللازم من جانب هذا المأمور.

لم تستوعب ذلك. لم تفهم ماذا كان هذا الذي رآه بيلتشر بالضبط في بيرك. نعم، يستطيع إثبات التعامل مع المشكلات ببراعة.. نعم، لديه مجموعة المهارات اللازمة لإدارة البلدة، لكن يا إلهي! لا أحد يستحق العناء الذي وضعهم فيه.

لو كان القرار قرارها -وسيكون كذلك يومًا ما- لتعاملت مع إيثان وأسرته منذ أسبوعين.

لربطت بن وتيريزا في عمود خارج السور.

وتركت المنحرفين يأتون من أجلهما.

أحيانًا، كانت تسقط نائمة وهي تتخيل صرخات ابن إيثان، وتتصور وجه إيثان وهو يشاهد ابنه -ثم زوجته- منزوعي الأحشاء يؤكلان أمام عينيه. لكنها لم تكن لتطعم إيثان للمنحرفين. كانت لتضعه في زنزانة لمدة شهر، وربما شهرين.. اللعنة! ربما سنة. أي فترة يتطلبها الأمر. وتجعله يشاهد ويعيد مشاهدة المنحرفين وهم يلتهمون أسرته. تُبقي اللقطات دائرة في حلقة لا نهائية داخل زنزانتة. وصوت الصرخات مرتفع. و فقط عندما ينكسر الرجل بكل طريقة يمكن تخيلها، عندما يُبلى جسده ليغدو مجرد قشرة تضم عقلًا محطمًا، ساعتها، وساعتها فقط، ستطلق سراحه وتعيده إلى البلدة. تمنحه وظيفة لطيفة صغيرة -ربما نادل، ربما سكرتير- شيء خانع مملّ ساحق للروح.

وبالطبع ستقوم بفحصه للاطمئنان كل أسبوع.

على أمل أنها لو قامت بالأمر على نحو صحيح، سيبقى من عقله ما يكفي فقط لتذكّر من تكون وكل ما استلبته منه.

وسيعيش ما تبقى له من أيامه كإنسان أجرب مثير للشفقة.



هكذا تتعامل مع رجال مثل إيثان بيرك. مع رجال حاولوا الهرب. تبيدهم.. تجعلهم عبرة مخيفة للجميع.

وبالطبع لا تجعل أحدهم مأمورًا.

ابتسمت.

لقد أمسكت به.

أخيرًا.

ذلك الخيال الذي حلمت به وهي راقدة في حجرتها داخل الجبل خطر لها الآن، لأول مرة، على أنه قابل للتحقق.

لم تكن واثقة تمامًا مما ينبغي لها أن تفعله بعد ذلك، من الطريقة التي تستخدم بها هذه الذخيرة لتحقيق ذلك الخيال الأسود الجميل، لكنها ستفكر في طريقة.

جعلها هذا سعيدة للغاية.

في وقفها في الظلام بين أشجار الصنوبر ونقاط الخضرة المشتعلة تتساقط في كل مكان حولها، لم تستطع التوقف عن الابتسام.

## 18

وقف إيثان عند ناصية الشارع الرئيسي والثامن أمام الأبواب المزدوجة التي تفتح على دار الأوبرا ذات الأربعمئة مقعد. كان المبنى موصدًا في الليل، وعبر الزجاج بدا البهو مظلمًا، لا يظهر شيء من صور الأفلام المؤطرة أو ملصقات مسرح برودواي. كانت العروض تُقام على أساس شبه منتظم: حفلات موسيقية، مسرح مجتمعي، اجتماعات مجلس البلدة. تُعرض الأفلام الكلاسيكية في ليالي الجمعة، وكل عامين تقام انتخابات مجلس المدينة ومنصب العمدة هنا.

راجع إيثان ساعته: الثالثة وثمانية دقائق صباحًا.

لم تكن العادة أن تتأخر كيت عن مواعدها ثماني دقائق لأي سبب من الأسباب.

دسّ يديه عميقًا في جيوبه.

كان الثلج قد توقف، لكن البرد بلا رحمة.

تململ في وقفته منقلًا ثقله من قدم إلى أخرى، لكن الحركة لم تدفئه إلا قليلاً.

ظهر ظلٌ عند زاوية المبنى وتحرك نحوه مباشرةً، بخطوات يتعالى صريرها في الجليد.

اعتدل إيثان في وقفته - ليست كيت.

إنها لا تتحرك هكذا، وليست بهذا الحجم الضخم تقريبًا.

قبض إيثان على السكين متعدد الاستخدامات في جيبه، مفكرًا: كان يجب أن أرحل عندما تأخرت خمس دقائق، كانت هذه علامة على خطبٍ ما.

خطأ أمامه رجلٌ يرتدي كنزة مقلنسة سوداء.

كان أطول من إيثان وعريض المنكبين. نمت شعيرات قصيرة في وجهه وفاح برائحة معمل الألبان.

أخرج إيثان السكين المطوي ببطء من جيبه، وأعمل طرف إبهامه في الثقب الموجود في النصل.

بنقرة إصبع واحدة، سيفتح السكين.

وبضربة واحدة، سيفتح بطن الرجل.

قال الرجل: "هذه فكرة سيئة جدًا.."

- أين كيت؟

- إليك ما سيحدث. أولًا: ستعود السكين إلى جيبك.

أعاد إيثان يده في جيبه، لكنه لم يفلت السكين.

تعرف على الرجل من صورة ملفه، لكنه لم يره قط في البلدة، وفي هذه اللحظة، خارجًا في البرد وقد بدأت أعصابه تثور، لم يستطع أن يتذكر اسمه.

- ثانيًا: هل ترى هذه الأجمة؟

أشار الرجل عبر تقاطع الشارعين الرئيسي والثامن نحو شجيرة عرعر كبيرة. لاحت خلف دكة خشبية.. محطة حافلات لم تر حافلة قط. مجرد تفصيلة مصطنعة أخرى في هذا المكان. مرة في الأسبوع، تأتي امرأة عجوز بدأت تفقد عقلها لتجلس طوال النهار على تلك الدكة، في انتظار حافلة لن تأتي أبدًا.

قال الرجل: "سأعبر الشارع الآن. قابلني وراء تلك الشجيرة بعد ثلاث دقائق."

قبل أن يتمكن إيثان من الرد، كان الرجل قد التفت مبتعدًا.

راقبه إيثان وهو يكد في سيره عبر التقاطع الفارغ بينما تتغير إشارة المرور فوق رأسه من الأصفر إلى الأحمر. انتظر.

جزء منه يصرخ بأن شيئًا ما خرج عن مساره؛ كان يجب أن تكون كيت هنا للقاءه.

أنه يجب أن يعود إلى البيت حالًا.

وصل الرجل إلى الجانب الآخر من الشارع واختفى خلف الشجيرة.

انتظر إيثان حتى تجاوزت إشارة المرور ثلاث دورات، ثم خطا خارجًا من تحت السقيفة ومضى إلى الشارع.

في أثناء عبوره، تذكر أخيرًا اسم الرجل: برادلي إيمينج.

كان كل شيء هادئًا في اتجاهي الشارع الرئيسي كليهما.

أثار كل شيء توتره: الخواء التام للشارع، المباني المظلمة، إشارة المرور الوحيدة التي تطن فوق رأسه وهي تلقي مسحات متغيرة من الأخضر والأصفر والأحمر على الجليد.

وصل إلى الدكة، ودار حول الشجيرة.

سيحدث أمر سيئ.

كان بمقدوره أن يشعر بهذا.

ثمة رفة محذرة خلف عينيه كأنها جرس إنذار.

لم يسمع الخطوات قط، أحس فقط بدفقة دافئة من الأنفاس خلف مؤخرة عنقه قبل نصف ثانية من إظلام العالم.

كان رد فعله الغريزي الأول أن يقاتل، وغاصت يده في جيبه من جديد تتحسس طريقها نحو السكن.

صدمته الأرض بقوة، وغاص جانب من وجهه في الجليد، وهبط ثقل ما لا بد أنه كان عدة رجال على عموده الفقري.

شم رائحة معمل الألبان الحلوة الغنية الحادة من جديد.

همس برادلي في أذنه اليسرى: "فقط ابق هادئًا مكانك".

- ماذا تفعل بحق اللعنة؟

- لن تهاجمني وأنت تضع على رأسك غطاء وعلى عينيك عصابة، هل أنا على حق؟

- نعم.

جاهد إيثان في محاولة أخيرة يائسة لانتزاع ذراعه من تحت صدره، لكن لا فائدة، كان مشلولاً تمامًا.

قال إيمينج: "سنقوم بجولة صغيرة حول البلدة، إلى أن تصبح بحالة جيدة وأيضًا كي لا نتذكر الطريق."

- لم تقل كيت أي شيء عن هذا.
- أتريد أن تراها الليلة أم لا؟
- نعم.
- إذن هكذا يجب أن يسير الأمر؛ هذه ما تسمونها الشروط غير القابلة للتفاوض، أو يمكننا فض المسألة كلها حاليًا.
- لا، يجب أن أراها.
- سننهض الآن، ثم سنساعدك على النهوض، لن تقوم بلكمي أو شيء من هذا القبيل، أليس كذلك؟
- سأحاول أن أمنع نفسي.
- ارتفع الثقيل.

التقط إيثان نفسًا كان في أشد الاحتياج إليه.

أمسكته أيادٍ من تحت ذراعيه، ورفعته على قدميه، لكنها لم تفلته.

قادوه إلى تقاطع الشارعين الرئيسي والثامن، وتعلق إيثان بإحساس أنه يواجه الشمال.

قال إيمينج: "هل تذكر لعبة ثبت الذيل في الحمار؟"<sup>(1)</sup> سنقوم بتدويرك حول نفسك يا زميلي، لكن لا تقلق.. لن نتركك تقع."

---

(1) لعبة أطفال يتبادل فيها اللاعبون محاولة لصق ذيل حمار ورقي على مؤخرة حمار في صورة، لكن قبل محاولة اللاعب تُعصب عيناه ويقوم اللاعبون بتدويره حول نفسه عدة مرات حتى تتشوش قدرته على ضبط توازنه واتجاهه، اللاعب الفائز هو من يضع الذيل أقرب ما يكون لموضعه الصحيح. (المترجم)

أداروه لمدة نحو عشرين ثانية، بسرعة كافية لأن يستمر العالم في الدوران حتى بعد أن توقفوا.

قال إيمينج للرجال: "فلنأخذه من ذلك الطريق."

شعر إيثان بالدوار، وترنَّح مثل سكير عائد إلى البيت بعد كأسه الأخيرة، لكنهم أبقوه مستقيمًا.

ساروا وقتًا طويلًا، بما يتجاوز بكثير النقطة التي يمكن لإيثان أن يمتلك أوهى فكرة فيها عن مكانه.

لم يتحدث أحد.

لم يكن هناك إلا صوت أنفاسهم وخطوهم في الجليد.

\*\*\*

أخيرًا توقفوا.

سمع إيثان صوت صرير، كأنه شيء يفتح على مفصلات صدئة.

قال إيمينج: "مجرد تنبيه، هذا الجزء شائك بعض الشيء، أديروه يا شباب. سأنزل أولًا، وتأكدوا من عقدة العصابة في مؤخرة قطنسوته مرة أخرى."

عندما أداروه مئة وثمانين درجة، قال إيمينج: "سنجعلك تجثو على ركبتيك. كان موقع صوته قد تغير، كأنه تقريبًا أسفل قدمي إيثان الآن.

ارتطمت ركبتي إيثان بالثلج.

أحسَّ بالبرد يتسلل من قماش بنطاله.

قال إيمينج: "سأمسك بحذائك، وأنت تضعه على درجة، أتحمس بها؟" لمس نعل حذاء إيثان الأيمن الجانب الضيق من درجة صغيرة.

"والآن ضع قدمك الأخرى بجانبها. أحسنت. يا شباب، أمسكوا ذراعيه. أيها المأمور، استمر وانزل درجة أخرى."

رغم أنه لم يكن باستطاعته أن يرى شيئاً، أحس إيثان كأنه يجثم على ارتفاع كبير.

نزل إلى الدرجة التالية.

- يا شباب، ضعوا يديه على الدرجة العلوية.

تساءل إيثان: "كم عمق هذا النزول؟ أم تراه ليس مسموحاً لي بأن أعرف؟"

- لديك نحو عشرين درجة أخرى تنزلها.

بدا صوت إيمينج بعيداً، أسفله بكثير الآن، وتردد له صدى.

مرّر إيثان يديه على الدرجة ليقبس اتساعها.

كان السلم متهاكاً.

تقلقل وأنّ وارتجف مع كل خطوة في نزوله.

عندما لمس حذاؤه أخيراً السطح الصلب المتكسر في الأسفل، أمسك إيمينج بذراعه وسحبه بعيداً عدة خطوات.

سمع إيثان قعقعة السلم، مع نزول الرجال الآخرين، ومرة أخرى صرير تلك المفصلات الصدئة.

في مكان ما بالأعلى، انغلق باب في ضجة مكتومة.

دار إيمينج حوله وفك العقدة.

رفع عنه غطاء الرأس.



وقف إيثان على خرسانة لها هيئة هي الأكثر تعفناً فيما وقعت عليه عيناه. نظر إلى إيمينج. أمسك الرجل بفانوس كيروسين لطح وجهه بكولاج من الظل والنور.

قال إيثان: "ما هذا المكان يا برادلي؟"

- تعرف اسمي، أليس كذلك؟ يا له من شيء لطيف! قبل أن نصل إلى ماهية هذا المكان، دعنا نتحدث قليلاً عما إذا كنت ستتنفس ما يكفي من الوقت لكي تعرف. عما إذا كنت ستأتي معنا، أم سنقتلك حيث تقف.

التفت إيثان نحو صوت الأقدام المتحركة.

حدّق إلى أعين الشابين اللذين يرتديان كنزتين مُقلنستين، وكل واحد منهما يحمل ساطوراً ويحملق فيه بحدة توحى بأنهما قد يرغبان فعلياً في استخدام ما في يديهما.

قال براد: "بلغك تحذير من قبل.."

- بلا رقاقة وإلا لا تكلف نفسك عناء القدوم.

- هذا صحيح. والآن علينا أن نرى إلى أي حد تتبع التعليمات. اخلع ملابسك.

- معذرة؟

- تعرّ.

- لا أعتقد ذلك.

- هكذا يسير الأمر. سيفحصون كل بوصة مربعة من ثيابك بينما أفحص كل بوصة مربعة من جسدك. أفهم أنك كنت تحمل الرقاقة عندما قابلت كيت ليلة أمس. وهذا يعني أنه من الأفضل لك أن نجد جرحاً لطيفاً جديداً دميماً كخطيئة

ومخيطاً في مؤخرة ساقك. إذا لم نجده، إذا توصلت إلى استنتاج أنك تحاول خداعنا، خمّن ماذا؟

- براد، فعلت بالضبط...

- خمّن. ماذا.

- ماذا؟

- سنقطعك إرباً بالسواطير حتى الموت في هذا المكان. وأعرف فيما تفكر. "سيشعل هذا حرباً يا براد". هذا ما تفكر فيه، صحيح؟ حسناً، خمّن ماذا مرة أخرى؟ نحن لا نبالي. نحن مستعدون.

فك إيثان حزامه، وأنزل بنطاله وسرواله الداخلي من فوق ساقيه، وقال: "تفضّلوا".

خلع إيثان كنزته المقلنسة وناولها إلى أحد الرجلين حاملي الساطور. عندما خلع فانلته الداخلية، جثا براد خلفه ومرّ بإصبعه في القفاز على الشق.

قال: إنه جديد، هل فعلت هذا بنفسك؟"

- نعم.

- متى؟

- هذا الصباح.

- من الأفضل أن تبقّيه نظيفاً حتى يندمل. اخلع حذاءك.

- ألن تشتري لي العشاء أولاً؟

زُمرّة جادة - ولا حتى ضحكة.

لم يلقِ فانوس الكيروسين كثيراً من الضوء بينما جثم الرجال الثلاثة حول الوهج، يفتشون ثياب إيثان ويقلبون فيها - في كل كُـم، وكل جيب.

كانت المسافة بين جدران البربخ القديم ستة أقدام وارتفاعها ستة أقدام كذلك. أينما نظر، بدت الخرسانة متفتتة إلى درجة أنها بالكاد كانت تشبه الخرسانة. كان المكان أشبه بسراديب الموتى تحت مدينة أوروبية ما، رغم أنه من جميع الاحتمالات كان ببساطة واحداً من آخر أجزاء البنية التحتية الباقية من واوارد باينز الأصلية في القرن الواحد والعشرين.

امتد النفق في انحدار خفيف نحو ما تصوره إيثان الجانب الشرقي للبلدة. كان هذا منطقيًا. لعل هذا الجدار الكبير من الجبال كان يصرف كميات وافرة من المياه خلال العواصف الرعدية. مقدار كبير من الجليد الذائب عندما يدخل الصيف. حتى الآن، تلوَّى خيط من الماء عبر الخرسانة المتفككة تحت قدمي إيثان.

رفع براد عينيه، وألقى فانلته الداخلية إليه، وقال: "يمكنك أن ترتدي ثيابك."

\*\*\*

بينما كانوا يسرون في النفق، وخطواتهم تطرطش في المياه الجارية، علق إحباط ملموس في الهواء البارد الرطب - أراد هؤلاء الصبية الريفيون أن يقتلوه، كانوا متلهفين على تمزيق أوصاله. لكنه فقط لم يعطهم المبرر.

كان السقف واطئًا إلى حد أجبر إيثان على السير محنيًا.

امتد النفق وسط الخراب.

زحفت النباتات المتعرشة على الجدران.  
ظهر حديد التسليح الملتوي من بين الخرسانة.  
جذور نباتات.

تفرعت خطوط من الثلج الذائب في الجدران وتساقطت قطراتها  
من السقف.

لم يكشف الفانوس إلا مسافة عشرين قدمًا أمامهم، وبدا صوت  
الخطوات الضئيلة المتسارعة متجاوزًا على الدوام مدى ما يصله  
الضوء. مكتبة سر من قرأ

مروا بتقاطعات مع أنفاق أخرى.  
قرب مزيد من السلام التي تهبط في الظلام.  
دهس حذاء إيثنان كل أنواع الأشياء.  
صخور.  
تراب.

أنقاض حملتها العواصف المطيرة الثقيلة من الجبال.  
جمجمة جرد.

\*\*\*

لم يعرف كم ساروا عبر تلك العتمة المضاءة بالنار.  
بدا كأنها استغرقت دهرًا وفي نفس الوقت لم تستغرق وقتًا على  
الإطلاق.

تغيرت طبيعة الهواء.  
كان راكدًا وأدفاً قليلاً من الهواء في البلدة.

والآن كانوا يسرون وسط نسيم ثابت جلب البرودة القارصة  
الطازجة للعالم في الأعلى.

اتسع خيط الماء الجاري في أرضية النفق إلى جدول سريع الحركة،  
وبدلاً من ضجة خطواتهم في الماء فقط، بدأ يعلو صوت جديد وأكثر  
ثراءً.

خرجوا من النفق إلى مجرى مائي صخري.

تبع إيثان الرجال وهم يتسلقون الضفة.

عندما وصلوا إلى مستوى الأرض وتوقفوا ليلتقطوا أنفاسهم، تعرف  
أخيراً على مصدر الضجة التي صارت الآن شديدة القوة بحيث أصبح  
عليه أن يصيح كي يسمعه أحد.

لم يستطع أن يراه في الظلمة الثقيلة عديمة النجوم، لكن من  
مسافة قريبة كان شلال ماء يسقط متكسراً على الأرض. استطاع أن  
يسمع المسقط الأساسي يضرب الصخر برشاش ماء مستمر مدمدم،  
وابتل وجهه بالرداذ.

كان الرجال يتابعون التحرك بالفعل وتبع إيثان وهج الفانوس  
كأنه حبل نجاة وهم يصعدون الأرض إلى غابة صنوبر كثيفة.  
لم يكن هناك درب يمكنه رؤيته.

كانت الضجة المستمرة للشلال تبتعد ببطء إلى أن لم يعد يسمع  
شيئاً إلا صوت أنفاسه في الهواء الذي يشح على نحو متزايد.  
كان برداً في النفق. والآن هو يتعرق.  
وظلوا يصعدون.

تكتلت الأشجار وتقاربت حتى لم يجد إلا أوهى نثار للجليد  
طريقه إلى أرضية الغابة.

ظل إيثان ينظر وراءه أسفل التل، لاويًا عنقه ليرى أضواء وايوارد  
باينز، لكن كل شيء كان يكتفه السواد الدامس.  
فجأة لم يعد هناك مكان آخر تؤدي إليه الغابة.  
انتهت الأشجار ببساطة عند جدار من الصخر.  
لم يتوقف الرجال، لم يترثوا حتى، فقط استمروا في السير، نحو  
الجدار مباشرة.

صاح إيمينج: "الطريق منحدر لكن على الأقل هناك طريق. اخط  
فقط حيث نخطو، واحمد الرب على الظلام."

تساءل إيثان: "لماذا؟"

اكتفى الرجال بالضحك.

انحدرت الغابة.

كان هذا غير معقول.

علق إيمينج الفانوس في حزام جلدي وألقاه على كتفه بحيث  
يمكنه استخدام أطرافه الأربعة كلها.

لأنك في حاجة إليها.

ارتفع الجبل بما يتجاوز على أقل تقدير خمسين درجة وبشكل  
يبعث الرعب في النفس. انغرس كابل فولاذي في الصخر وكان هناك ما  
يشبه دربًا يمتد بمحاذاته - مواطئ قدم صغيرة ومسافات فارغة في  
الصخر توحى بممرًا ما. أغلبها طبيعية. وبعضها بدا من صنع الإنسان.  
وكلها انتحارية الهيئة.

تشبَّث إيثان بالكابل الصديء - فقد كان هو الحياة.

صعدوا.

لا شيء يُرى إلا بقعة هزيلة من الصخر يضيئها الفانوس في نطاقهم  
المباشر.

عند أول منعطف، زاد انحدار المسار.

لم تكن لدى إيثان أي فكرة عن مقدار ارتفاع ما تسلقوه، لكن  
انتابه إحساس مريع بأنهم أعلى من الغابة بالفعل.  
اشتدت الريح.

ودون حماية الأشجار في الأسفل، كان الصخر قد جمع طبقة من  
الجليد بسُمك ربع بوصة.  
صار الطريق الآن منحدرًا وزلقًا.

حتى إيمينج ورجاله أبطؤوا وتيرة حركتهم الجنوبية، وصار كل  
واحد منهم يخطو خطوات حذرة، متيقنًا من سلامة كل موطئ قدم.  
تصلبت يدا إيثان من البرد.

عند هذا الارتفاع، اكتسى الكابل بطبقة من الجليد، وتطلبت كل  
خطوة جديدة من إيثان أن ينفذ الجليد عنه قبل أن يتابع الصعود.  
بعد المنعطف السادس، تخلى الجرف الصخري عن كل منطق  
ومضى بشكل عمودي.

كان إيثان يرتجف الآن.

وتحوّلت ساقاه إلى عمودين من الهلام.

لم يكن واثقًا، لكن بدا أن جهد التسلُّق فتح غرز الخياطة في  
موضع الشق، وجرى خيط من الدماء على مؤخرة ساقه وإلى داخل  
حذائه.

توقف ليلتقط أنفاسه ويشحذ أعصابه.

عندما تطلّع إلى أعلى من جديد، كان الفانوس قد اختفى.

لم يكن هناك شيء أعلاه، ولا أدناه.

فقط عتمة محيطة لا نهائية.

- أيها المأمور!

صوت إيمينج.

نظر إيثان إلى أعلى وإلى أسفل؛ ما زال لا شيء هناك.

- بيرك! هنا!

ها هو الضوء، على مبعدة عشرين قدمًا، لكنهم ما عادوا

يتسلقون. كانوا بطريقة ما قد تحركوا بعرض الجرف شديد الانحدار.

- هل ستأتي أم لا؟

ألقي إيثان نظرة إلى أسفل ورآه: على مبعدة خطوة واحدة، لوح

خشبي - بعرض ست بوصات - مغروس في الصخر وثمة كابل أصغر

يمتد موازيًا له أعلاه.

صاح إيمينج: "هيا بنا!"

خطا إيثان من موطن قدمه، عبر قدمين من الفراغ، إلى اللوح

الخشبي ذي الست بوصات الذي اكتسى بطبقة من الثلج الذائب.

برز النصف الخلفي من حذائه العالي من فوق الحافة.

تشبّث بالكابل، ومضى ليحرك قدمه اليمنى، لكن نعلها الأملس

فقد ثباته على اللوح المكسو بالجليد الذائب.

انزلقت قدماه من تحته.

كانت الصرخة التي سمعها صرخته.



ارتطم صدره بالصخر، ويد واحدة متعلقة في الكابل بالكاد بينما يسحبه ثقله إلى أسفل، والمعدن المجدول يحز في أصابعه.

كان إيمينج يصرخ فيه، لكن إيثنان لم يستوعب الكلمات.

كان كل تركيزه على الفولاذ البارد القاطع بينما يشعر بقبضته تنحل ببطء وحذائه وقد بدأ ينزلق من قدميه.

رأى نفسه ينزلق، وتخيل الشعور المذهل بالهوة الفاغرة في بطنه، وخفق ذراعيه وساقيه في الهواء. أيمن أن يكون هناك شيء أسوأ من السقوط في عتمة تامة؟ على الأقل في ضوء النهار، سترى الأرض وهي تندفع نحوك لتقضي عليك، ستكون لديك فرصة -ولو عابرة- للتأهب.

رفع نفسه معتمدًا على الكابل حتى لمس حذاؤه اللوح من جديد.

استند إلى الصخر.

يلهث.

يده تنزف.

ساقاه ترتعشان.

- مرحى يا أحمرق! حاول ألا تموت، اتفقنا؟

ضحك الرجال، وابتعد صوت خطواتهم.

لا وقت للوقوف ولم الشمل.

بخطوات جانبية موسوسة، سار بمحاذاة الجدار الصخري.

بعد خمس دقائق من الرعب، اختفى الفانوس وراء زاوية.

تبعه إيثنان، وشعر بارتياحٍ لا نهائي عندما وجد الطريق يتسع.

لا مزيد من الكابلات أو الألواح الخشبية.

كانوا الآن يسرون على حافة هيئنة الانحدار.

ربما بسبب الإرهاق وخفوت شحنة الأدرينالين الزائدة، فات إيثنان ملاحظة الانتقال بأكمله.

من الخارج إلى الداخل.

كان ضوء الفانوس الآن يسطع على جدران صخرية تحيط به من كل جانب، حتى فوق رأسه، وارتفعت درجة حرارة الهواء بمقدار عشر درجات.

تردد صدى لخطواتهم.

تحركوا عبر مغارة.

أعلاهم ضجة أصوات.

موسيقى.

تبع إيثنان الرجال إلى نهاية الممر.

ألهمت هجمة الضوء المفاجئة عينيه.

استمر مرشدوه في السير، لكن إيثنان توقف عند الباب العريض المفتوح.

لم يستطع أن يفهم تمامًا ما يراه.

لم يستطع أن يُدرجه في أي مرجعية سابقة.

كانت مساحة القاعة عدة آلاف من الأقدام المربعة - أثر قديم لمنزل مريح. انخفض السقف في الأركان، وصار مقببًا بعد عشرين قدمًا في الوسط. توهجت الجدران الصخرية بلون الطين اللين الغارق في نور النار. كانت هناك شموع في كل مكان. مشاعل. مصابيح كيروسين تتدلى من أسلاك في السقف. سرى الدفء في المكان، وشعّت الحرارة من مدفأة كبيرة في ركن بعيد - تجويف في القاعة من الواضح أنه ينفث الدخان في الخارج. وكان هنالك أناس في كل مكان، متجمعين

في مجموعات صغيرة. يرقصون. يجلسون على مقاعد حول النار. وبالقرب منهم، ثلاثي موسيقي يعزف على منصة مؤقتة - ترومبيت، كونتراباص، بيانو له خزانة أوتار مستطيلة تصور إيثان أنه لا بد جرى تفكيكه ورفعته إلى هنا قطعًا. على الدكة كان هيكتر جايتز، يقود الفرقة الموسيقية في مقطوعة جاز شجية تليق أكثر بملهى في مدينة نيويورك. ارتدى الجميع ثيابًا شديدة الأناقة لا يمكن أن تكون قد قطعت الرحلة التي مرَّ بها إيثان للتو.

كان الناس يدخلون.

يتحدثون بصوت أعلى من الموسيقى.

يبتسمون.

يضحكون.

رائحة الخمر مثل عطر في الهواء.

ثم وجد كيت واقفة أمامه.

كانت قد صبغت شعرها باللون البني المحروق من جديد، وارتدت فستانًا أسود من دون أكمام.

قالت وهي تبتسم وبريق الخمر يلتمع في عينيها مثل الدموع: "من بين كل حانات الخمر في كل المدن في العالم كله."<sup>(1)</sup> مررت يدها على كم كنزته المقلنة الأيسر: "يبدو أنك مررت برحلة صعبة كي تصل. دعنا نجد لك شيئًا جافًا."

---

(1) جملة مقتبسة من فيلم كازابلانكا على لسان بطل الفيلم ريك بلاين، الذي لعب دوره الممثل الكبير همفري بوجارت، عندما دخلت إلزا، التي لعبت دورها الممثلة الكبيرة إنجريد بيرجمان، إلى حانته في كازابلانكا. (المترجم)

قادته عبر الزحام إلى الجانب البعيد من القاعة. انعطفا إلى داخل كوة عُلمت فيها ثياب الناس التي كانوا يرتدونها على مشاجب خشبية والماء يقطر منها.

سألته: "مقاس اثنين وأربعين، صحيح؟"

- نعم.

عرضت عليه بدلة سوداء معلقة على طرف مشجب مليء بملابس رسمية جافة لم يلبسها أحد من قبل.

- تبدو مثل ثيابك الرسمية القديمة، صحيح؟ الأحذية والجوارب هناك. ارتد ثيابك وتعال.

- كيت...

- سنتكلم هناك.

وتركته.

خلع كنزته وفانلته الداخلية وبنطاله الجينز الرطب. كانت هناك دكة مسنودة إلى الحائط جلس عليها وخلع حذاءه وتفحص الشق. كانت بعض الغرز قد انفتقت، لكنه أحضر معه مزيداً من الشاش والشريط اللاصق.

لفّ ساقه بإحكام ليوقف النزيف واستخدم فانلته الداخلية الرطبة لتنظيف خط الدم الجاف الذي امتد نازلاً من الجرح إلى قدمه.

\*\*\*

عندما عاد إيثان إلى الحفل، لم يكن بمقدوره أن ينكر أنه شعر كأنه رجل جديد تمامًا. كانت هناك مرآة في غرفة تغيير الثياب، وقد مشط

شعره المبتل على جانب رأسه بالطريقة التي كان يمشطه بها في أيام عمله كعميل فيدرالي.

كان أحدهم قد أقام بارًا بامتداد أحد جوانب المغارة.

شق إيثنان طريقه نحوه عبر الزحام وجلس على مقعد مستدير.

أتى الساقى نحوه.

قميص أبيض، ربطة عنق سوداء، صديري أسود.

إعادة إحياء للمدرسة القديمة.

وضع منديلًا صغيرًا على خشب البار الداكن البالي.

تعرف عليه إيثنان من بين سكان البلدة، لم يتحدثا قط، لكنه يعمل على ماكينة النقود عدة أيام كل أسبوع في متجر البقالة.

سأله الرجل دون أي مؤشر على أنه يعرف إيثنان أو يبالي بمن يكون: "ماذا سيكون شرابك؟"

سأله إيثنان وهو يلقي نظرة نحو الزجاجات المصفوفة على الجدار أمام المرأة: "ماذا لديك؟" رأى بوربون وسكوتش وفودكا. أسماء ماركات ميزها، لكنها كانت كلها فارغة تقريبًا. وبدا أن زجاجات شراب شفاف بلا بطاقات هي الموجودة بوفرة.

أحاطت عشرات الصور الفورية بالمرأة. لفتت انتباهه واحدة قرب المنتصف. كانت صورة مقرّبة لكيت وأليسا، كلتا المرأتين ترتديان ثيابًا أشبه بالفلابرز<sup>(1)</sup> - على رأس كل واحدة منهما بيريه أشبه بقبعات باعة الصحف في بدايات القرن العشرين، شعر قصير متعرج، ماكياج

---

(1) ظاهرة برزت في أوروبا وأمريكا بعد الحرب العالمية الأولى وهن فتيات تمردن على التقاليد والعادات كردة فعل لما تعرضت له المرأة خلال الحرب من ممارسات، واستمرت هذه الظاهرة من عام 1920 وحتى 1930. (المترجم)

صارخ، حلي من اللؤلؤ. خداهما ملتصقان. بدا عليهما السُّكْر، لحظتها، والسعادة غير القابلة للاستعادة.

قال الساقى: "سيدي؟"

- جوني ووكر بلو. صافٍ من دون إضافات.

- هذه الزجاجات في الحقيقة لخلق الجو وفي المناسبات الخاصة المميزة.

- لا بأس، إذن بم تنصحيني؟

- أصنع مارتيني ممتازاً.

- ممتاز بالتأكيد.

راقب الساقى وهو يصب من عدة زجاجات غير مميزة في كأس مارتيني كبير، وضعه على منديل إيثان وزيننه بقطعة من تفاحة خضراء.

قال الرجل: "في صحتك. الكأس الأول على حسابي."

عندما رفع إيثان الكأس إلى شفثيه، سمع صوت كيت: "الآن جرّب وأبقِ عقلك مفتوحاً."

اتخذت مجلسها على مقعد البار المجاور له بينما يرشف من كأسه.

قال: "واو! طيب على الأقل لديهم الكؤوس الصحيحة. حتى الآن، لم أرغب حقاً قط في عدم تذوق شيء."

كان الشراب بلا رائحة، لكن على اللسان كانت النغمة المهيمنة هي الحرقان، متبوعة بلذعة حمضية قوية، ونهاية قصيرة على نحو رحيم، كأن النكهة سقطت من فوق جرف.

أعاد كأس المارتيني بحرص إلى المنديل.

- لن تخبريني بأن هذا الخمر المنقوع في حوض الاستحمام يروقك.

ضحكت كيت وقالت: "تبدو بخير يا عميل بريك. يجب أن أقول إن أناقة البدلة وربطة العنق السوداء تناسبك أكثر ألف مرة من زي مأمور الغابات ذاك."

في انعكاس المرأة، كان الناس يرقصون على لحن جاز بطيء. ملح إيمينج وتابعيه الحمقى يرتدون بدلات سهرة، يمررون جرّة زجاجية ويراقبون الفرقة الموسيقية.

مدّ إيثان يده نحو ساق كأس المارتيني، وقد تحسّن رأيه فيه.

قال: "مكان لطيف. كيف أحضرتِ كل هذا إلى هنا؟"

- قمنا بإحضار الأشياء طوال سنوات. سعيدة لأنك تمكنت من الحضور إلى هنا.

- حسنًا، تمكنت بالكاد، وما زلت لا أفهم ماذا تمكنت من فعله. هل هذه حفلة تنكرية؟

- نوعًا ما.

- إذن ماذا يتظاهر الجميع بأنهم يكونون؟

- انظر، تلك هي المسألة. لا أحد هنا يتظاهر يا إيثان. هذا مكان تأتي إليه وتكون أنت على حقيقتك.

التفتت في مقعدها المستدير، ومسحت بعينيها الحشد وقالت: "تحدث عن ماضيها هنا، عن حياتنا من قبل، من كنا، أين عشنا. نتذكر الناس الذين أحببناهم، الذين افترقنا عنهم. نتحدث عن وايوارد باينز، نتحدث عما نشاء، ولا نحمل خوفًا من أي شيء داخل هذه القاعة. غير مسموح بالخوف."

- هل تتحدثون عن الرحيل؟

- لا.

- إذن لم تذهبي إلى السور قط؟

رشف من الاختراع الرديء المقدم على أنه مارتيني.

- مرة واحدة.

- لكنك لم تذهبي إلى الجانب الآخر.

- لا، أردت فقط أن أراه. منذ بدأنا القدوم إلى هذه المغارة، عبر

منًا ثلاثة أشخاص إلى الجانب الآخر.

- كيف؟

ترددت ثم قالت: "يوجد نفق سري."

- ودعيني أؤمن.

- ماذا؟

- لم يعد أحد منهم أبدًا.

- هذا صحيح.

هبطت من فوق مقعدها وقالت: "ارقص معي."

تناول إيثنان يدها.

سارا عبر الصخر غير المستوي إلى داخل حشد الراقصين على اللحن

الهادئ.

وضع يده على ظهرها لكنه أبقى مسافة محترمة.

قالت كيت: "هارولد لن يمانع؛ هو ليس من النوع الغيور."



جذبها إيثان أقرب إليه، وكاد جسداهما يتلامسان: "ما رأيك هكذا؟"

- عندما قلت إنه ليس من النوع الغيور، لم يكن هذا دعوة إلى التهور.

لكنها لم تتراجع.

رقصا.

كم بدا إحساسه جميلاً بلمسها مرة أخرى! وهو ما كرهه.

- ماذا يعتقد كل هؤلاء الناس في وجودي هنا؟ إنهم يتصرفون كأنهم لا يدركون حتى إن المأمور في المنزل.

- أوه، هم مدركون، تناقشنا في هذا. أقنعتهم أنه يمكن الوثوق بك، أننا في حاجة إليك؛ وضعت عنقي على المحك.

- أنتم في حاجة إليّ، هذا صحيح.

- السؤال هو، هل أنت معنا؟

- لو قلت لا، هل سينتهي بي الحال عاريًا ومطعونًا حتى الموت في منتصف الطريق؟

أحسّ بأظافر كيت تنغرس في كتفه.

اشتعلت النار في عينيها.

- لا أنا ولا أحد من جماعتي وضع إصبعًا على أليسا. لسنا ثوارًا يا إيثان. لم نأت إلى هذه المغارة لنكدس السلاح ونخطط

لانقلاب. نلتقي هنا لنكون في مكان لا يراقبنا فيه أحد. لنشعر

أننا بشر ولسنا مساجين.

قادها بعيدًا عن الموسيقى.

قال: كنت أتساءل حول شيء ما..

- ماذا؟

- حول شيئين في الحقيقة. أولاً، كيف عرفتِ أن هناك رقاقة مجهرية في ساقك؟ ثانيًا، كيف عرفتِ أنكِ لو أزلتِ الرقاقة لن تراكِ الكاميرات؟ لا أعرف كيف أمكنك أن تحدسي بهذا. أشاحت بناظرها بعيدًا عنه.

جذبها إيثنان من المغارة الرئيسية إلى داخل الممر الأبرد.

كان هناك طوال الوقت - لكنه رآه الآن. ارتياب كامن. لكن حتى هذه اللحظة، حتى نطق فعليًا بالسؤال، كانت بساطة الحقيقة تراوغه.

قال: "كيت، انظري إليّ. قولي لي الحقيقة عن أليسا."

- قلتها.

يا إلهي! لقد نسي كم كان يعرف هذه المرأة جيدًا، كم كان يستطيع بسهولة أن يرى ما بداخلها. تذكر صورة كيت وأليسا خلف البار عندما لمح شيئًا آخر في عينيها لم يعد بمقدورها أن تخفيه: الألم، الفقد.

- لم تكن جاسوستهم فقط، أليس كذلك؟

امتلات عيناها بالدموع.

- كانت جاسوستكم أيضًا.

سالت على وجنتيها وتركتها تسيل.

قالت: "اتصلت أليسا بي."

- متى؟

- منذ سنين.
- سنين؟ إذن أنت تعرفين كل شيء. كنت تعرفين طوال هذا الوقت.
- لا، لم نخبرنا قط بما يوجد وراء السور. قالت إن هذا من أجل أماننا. في الواقع أوضحت أن مغادرة هذه البلدة تعني الموت، وأنا جميعًا بالتالي عالقون هنا. صدقتها. صدقتها أغلبنا. لم أعرف قط من أين جاءت أليسا. أين عاشت عندما لم تكن في البلدة. كيف عرفت كل هذه الأشياء التي لم نعرفها. لكنها كرهت الطريقة التي نعامل بها. هذه الظروف. قالت إن هناك آخرين مثلها يشعرون بنفس الإحساس، وقدمت حياتها للمساعدة.
- كانت صديقتك؟
- إحدى أفضلهن.
- إذن الفلفل الرومي، والرسائل السرية، وتحريات أليسا...
- كلها تمثيل.. جعلوها تتحرى عننا، ربما شكوا فيها، ارتابوا فيما تفعل.
- هل تعرفين من هم؟ هل أخبرتك من قبل؟
- لا.
- في المغارة، كانت الفرقة تعزف أغنية جديدة، شيئًا سريعًا. كان الناس يرقصون رقصة الجاز السريعة.
- قال إيثنان: "هل كانت أليسا هنا أصلًا منذ ثلاث ليال؟"
- لا، لم يكن هناك اجتماع. مجازفة أكثر من اللازم. لكنها أتت إلى هنا مرات كثيرة من قبل. ليلة موتها قابلتها في الضريح.

تحدثنا عما ستفعل. كانوا ينتظرون منها تقريرًا كاملًا، أرادوا منها أن تحدد أسماء، أن تسلمنا جميعًا. لنكون عبءًا لمن يعتبر.

- وماذا قررت أنت وأليسًا أنه يجب فعله؟

- تخلق عذرًا لعدم تمكنها من رؤية جماعتنا. كان هذا هو الخيار الوحيد.

- متى افترقتما أنت وأليسًا بالتحديد؟ هذا مهم جدًا.

- عندما كنت أسير عائدة إلى البيت، أذكر سماع الساعة تدق الثانية.

- وأين كان هذا بالضبط؟

- ناصية الشارعين الثامن والرئيسي.

- أين كانت ستذهب بعد أن تركتها؟

- لا فكرة لدي.

- لا، أقصد أي اتجاه؟

- أوه. أعتقد أنها سارت في اتجاه الجنوب على الرصيف.

- نحو المستشفى؟

- صحيح.

- وليس هناك أي احتمال بأن واحدًا من جماعتك قتلها؟ ربما

شخص عرف أنها تعرف الحقيقة؟ شخص كان مستعدًا لفعل

أي شيء للحصول عليها؟

- مستحيل.

- هل أنت واثقة بشكلٍ مطلق؟ هؤلاء الصبية الذين أحضروني هنا الليلة لديهم ما هو أكبر من مجرد سلوكيات خشنة. وسواطير.
- حسنًا، هم لا يثقون بك، لكنهم أحبوا أليسا، أحبها الجميع. إلى جانب أنه ليس سرًا بين جماعتي أنه يوجد نفق تحت السور؛ لم تمنع أليسا أحدًا من الرحيل.
- إذن ما الذي يمنعهم؟
- الناس الذين رحلوا ولم يعودوا قط.

\*\*\*

حصل على ذلك الكأس من الجوني ووكر بلو في النهاية.

ذهبت كيت وراء البار، واستولت على الزجاجات وكوبين مضلعين، وحملتهم إلى طاولة صغيرة بعيدًا عن التيار الرئيسي من الضجة والحركة.

شربا وراقبا الجمع وأنصتا إلى الموسيقى، فيما يتفحص إيثان الوجوه، ولا يني يزداد دهشة؛ لأنه لا أحد في هذه القاعة كان شخصًا من المتوقع أن يكون فيها.

كان أفراد هذا الجمع يتبعون النظام بالتزام تام في وايوارد باينز كما يليق ببناء بلدة صغيرة مثالية.

يتبعون القواعد، ولا يثيرون أي قلق مهما صغرت.

كان ليصنف أغلب الحاضرين هنا كمؤمنين كاملين بكل ما تستلزمه الحياة في وايوارد باينز، ورغم ذلك ها هم هنا، متحررون من رقافتهم المجهرية، لبضع ساعات على الأقل، يسكرون ويرقصون سعداء في مغارة.

بعد الأغنية التالية، كَفَّت الفرقة عن العزف.

تغيَّر الجو في القاعة على الفور تقريبًا.

اتخذ الناس مجالسهم إلى الطاولات، أو جلسوا على الأرض مستندين إلى الحائط الصخري.

مال إيثنان على كيت وهمس: "ماذا يحدث؟"

- ستري.

اتجه زوج كيت إلى طاولتهما.

نهض إيثنان.

قال الرجل: "هارولد بالينجر. لا أعتقد أننا تقابلنا بالفعل."

- إيثنان بيرك.

تصافحا.

- عملت مع زوجتي منذ سنين عديدة.

- هذا صحيح.

- سأحب أن أسمع عن ذلك في وقت ما.

عندما جلسا، تساءل إيثنان في عقله إن كانت كيت قد أخبرت زوجها عن فترتهما معًا. لم يشعر بأن هذا حدث.

كان ثمة رجل يرتب مشاعل في نصف دائرة حول مقدمة المنصة.

تنحى، وحلَّت محله امرأة ترتدي فستانًا من دون حمّالات ووقفت في نور النار.

لم يعرفها إلا من خصلاتها الشقراء: كانت النادلة في المقهى.

وكانت تبتسم، ممسكة بكأس مارتيني في يد، وفي الأخرى سيجارة ملفوفة يدويًا.

لم يكن هناك أي ميكروفون.

قالت: "تأخر الوقت. أعتقد أننا لا نملك من الوقت إلا ما يكفي لمشاركة واحدة الليلة."

نهض رجل وسألها: "هل يمكنني أن أقوم بها؟"

- بالتأكيد. اصعد.

اتخذ طريقه إلى المنصة مرتدياً بدلة سوداء لم تناسبه تمامًا -أساورها قصيرة بعض الشيء، وضيقة قليلاً عند الصدر. عندما خطا في بقعة الضوء وأنارت الشموع وجهه، أدرك إيثان أنه براد فيشر، كان هو وتيريزا قد تناولا العشاء في منزل هذا الرجل قبل ليلتين فقط.

مسح إيثان الجمع بناظريه، لكنه لم يرَ مسز فيشر.

جلا فيشر حلقه.

ابتسم بعصبية.

قال: "هذه هي المرة الثالثة لي هنا. بعضكم يعرفونني. أغلبكم لا يعرفونني. لكن. أنا براد فيشر."

ردت القاعة كما لو في اجتماع لمدمني الكحول المجهولين<sup>(1)</sup>: "أهلاً براد."

قال: "أولاً، أين هارولد؟"

زعق هارولد: "هنا في الخلف!"

استدار براد قليلاً كي يواجه طاولة إيثان.

---

(1) مدمنو الكحول المجهولون منظمة عالمية تساعد في علاج إدمان الكحول، تأسست في مدينة شيكاغو الأمريكية عام 1935، يجتمع الأفراد المنتسبون لها دورياً لدعم بعضهم البعض. تضم أكثر من مئة ألف مجموعة في أكثر من 100 دولة. (المترجم)

- جاء هارولد إلى مكتبي منذ شهرين، ودون الدخول في تفاصيل أكثر من اللازم، أتاح لي إمكانية أن آتي إلى هنا. لا أعرف كيف أشكرك يا هارولد. ولست واثقًا إن كنت سأتمكن من شكرك أبدًا.

لَوْح له هارولد وزعق: "سُدِّد ما عليك لاحقًا!"

ضجت القاعة بالضحك.

تابع براد حديثه: "وُلدت في ساكرامنتو، كاليفورنيا، عام 1966. شيء مضحك - قبل أسبوع من استيقاظي في واينورد باينز، ظننت أنني وصلت أخيرًا إلى مقبل عمري. ما زلت أذكر بالفعل التفكير في هذه العبارة بالتحديد. حصلت على هذه الوظيفة الجديدة العظيمة في وادي السيليكون، وتزوجت للتو أفضل صديقاتي. كان اسمها نانسي. التقينا في حديقة جولدن جيت. لا أعرف إن كان أحد منكم يعرف سان فرانسيسكو. بها حديقة الشاي اليابانية تلك. التقينا على جسر القمر<sup>(1)</sup>. كان... "رَقَّت ملامحه للذكرى. "شيئًا مبتدلاً جدًّا، واحدًا من تلك الجسور المقوسة العالية، أقصد شيئًا يليق بالأفلام، دائمًا ما ضحكنا على هذا.

اخترنا لقضاء شهر العسل رحلة بالسيارة بدلًا من إحدى الجزر الاستوائية. كنا قد تعرَّفنا منذ ستة شهور فقط، وبدأ من المنطقي بعض الشيء أن نقضي الوقت على الطريق معًا. نقود سيارة عبر الغرب الأمريكي. رحلة حرة. لم نقم بأي خطط. وكانت أفضل وقت في حياتي."

---

(1) جسر مشاة مقوس دائري للغاية مرتبط بحدائق في الصين واليابان. نشأ جسر القمر في الصين وانتقل إلى اليابان لاحقًا. صُمم هذا النوع من الجسور للسماح للمشاة بعبور القنوات مع السماح بمرور المراكب من تحته. (المترجم)



حتى من مكانه في مؤخرة القاعة، كان بمقدور إيثان أن يرى كيف يستجمع براد مشاعره كي يستمر: "بعد أسبوع أو نحو ذلك من رحلتنا، وصلنا أنا ونانسي إلى أيداهو. قضينا الليلة الأولى في بويسي، وما زلت أذكر ذلك الصباح على الإفطار عندما وجدت نانسي على الخريطة وايوارد باينز. كانت في الجبال. وراق لنانسي ذلك.

حجزنا غرفة في فندق وايوارد باينز. تناولنا العشاء في آسبن هاوس. أكلنا في الباحة المكشوفة، وكل هذه الأضواء البيضاء المعلقة في أشجار الحور تتلألأ فوقنا. كانت ليلة من تلك الليالي.. تعرفون ما أقصد، صحيح؟ حين تتكلمون عن المستقبل حول زجاجة نبيذ وكل شيء يبدو ممكنًا وسهل المنال.

عدنا إلى غرفتنا ومارسنا الحب وسقطنا نائمين وعندما استيقظنا، كنا هنا ولم يعد أي شيء كما كان قط. صمدت نانسي شهرين وبعد ذلك أنهت حياتها.

والآن أعيش مع امرأة غريبة عني لم أشاركها قط لحظة حقيقية واحدة. مرت بضع سنوات موحشة منذ استيقظت في باينز، ولذلك فإن مقابلة هارولد والآن جميعكم -أناس أستطيع مشاركتهم لحظات حقيقية- هي أفضل شيء حدث لي منذ زمن طويل جدًا" ورشف من كأس المارتيني في يده، ثم جفل وقال: "يروقكم، أليس كذلك؟".

صاح أحدهم: "نهائياً!"

مزيدٌ من الضحك.

قال براد: "أعرف أننا جميعًا مضطرون إلى بدء رحلة عودتنا الباردة إلى البيوت بعد قليل، لكنني أمل أن آتي إلى هنا وأتكلّم أكثر عن زوجتي، زوجتي الحقيقية." والآن رفع كأسه. "كان اسمها نانسي، وأنا أحبها، أفقدها..." وهنا فاضت المشاعر، "وأفكر فيها كل يوم."

نهض كل من في القاعة.

ارتفعت الكؤوس ولمعت في نور النار.

قال كل من في القاعة: "نخب نانسي."

شربوا ثم نزل براد من فوق المنصة.

راقبه إيثان وهو يسير إلى الممر حيث سقط الرجل أرضًا وانخرط في البكاء.

نظر إيثان إلى كيت، متسائلًا ماذا يعتقد أفراد جماعتها حول التناقض المذهل في الزمن. قال براد فيشر إنه وُلد في عام 1966، لكن الرجل لا يمكن أن يكون أكبر من تسعة وعشرين أو ثلاثين عامًا، وهو ما يعني أنه أتى إلى وايوارد باينز، آيداهو، في منتصف التسعينيات، عندما كان بيل كلينتون رئيسًا وما زالت هناك خمسة أو ستة أعوام قبل أحداث 11/9. لا شك أن آخرين في هذه القاعة أتوا إلى البلدة قبله وبعده. ماذا يرون في ذلك؟ هل قارنوا وقابلوا بين رؤاهم الخاصة للعالم من قبل، باحثين عن المعنى في وجودهم الحالي؟ هل يبحث هؤلاء الذين وصلوا في نفس الوقت تقريبًا عن بعضهم البعض من منطلق الارتياح للمعرفة المشتركة بالتاريخ؟

قالت: "تخيل.. أول مرة منذ عامين يتمكن فيها من الحديث بصراحة عن حياته الحقيقية."

كان الناس يشكّلون طابورًا نحو حجرة تغيير الثياب.

تساءل إيثان: "وماذا عن زوجته في وايوارد باينز، ميجان؟ ألا يستطيع إحضارها؟"

مكتبة

t.me/soramnqraa

- إنها معلمة.

- إذن؟

- إنهم مؤمنون حقيقيون. جلب له أحدهم جرعة من شيء ربما وضعه في كوب ماء زوجته عند العشاء. شيء يجعلها تذهب في سبات عميق طوال الليل حتى يتمكن من التسلسل خارجًا.
- إذن هي لا تعرف أنه يأتي إلى هذه الاجتماعات.
- مستحيل، ولا يمكنها أن تعرف.

\*\*\*

غادر الجميع.

غيرَ إيثان بدلته السوداء وعاد إلى بنطاله الجينز الرطب وكنزته المقلنسة.

في المغارة الرئيسية، كانت كيت تطفئ الشموع وهارولد يجمع كؤوس المارتيني الفارغة ويرصها على البار.

بآخر شمعة، أضاءت كيت مصباح كيروسين من أجل رحلة العودة.  
تبعها هارولد عبر الممر.

في الخارج، كانت السماء قد صفت.

سطعت النجوم في الظلام وأشرق القمر.

تناول هارولد مصباح كيت وألقاه على كتفه وتحركوا جميعًا عبر الحافة إلى حيث يدور الدرب عبر سطح الجرف الصخري. كانت حركة الأقدام المتجهة إلى البيوت قد مسحت الألواح الخشبية والكابلات من الثلج.

صار بمقدور إيثان أن يرى وايوارد باينز الآن.

صامته ومنتسربة بالثلج في الوادي بالأسفل.

سقوف بيضاء.

أضواء متلاثلة.

فكر في كل الناس هناك.

هؤلاء الذين يحلمون بحيواتهم السابقة.

هؤلاء الذين ما زالوا مستيقظين في الساعات الأولى من الصباح في سجونهم الخاصة، يتساءلون ماذا أصبحت عليه حياتهم، غير عالمين إن كانوا موتى أم أحياء.

الرجال والنساء العائدون إلى بيوتهم من المغارة بخطى متثاقلة وملابس مبتلة إلى عالم يعرفون أنه زائف.

زوجته.

ابنه.

قالت كيت: "إيثان، يجب أن أعرف."

- تعرفين ماذا؟

- إلى أي حد كان الأمر سيئًا؟ ماذا فعلوا باليسا؟ هل تألمت؟

مدَّ إيثان يده نحو الكابل وقام بتلك الخطوة الأولى التي تقلب المعدة على اللوح الخشبي. قال لنفسه إنه لن ينظر إلى أسفل، لكنه لم يستطع أن يقاوم رغبته. كانت الغابة أسفل نعلي حذائه بثلاثمائة قدم، واكتست رؤوس أشجار الصنوبر بالثلج.

قال كاذبًا: "ماتت سريعًا.."

قالت كيت: "من فضلك لا تفعل ذلك. أريد الحقيقة. إلى أي حد أذوها؟"

كانت الأجواء في المغارة مسكرة، لكن الأسئلة الآن أتت في دفقة من الحرارة المتصاعدة...

هل عُذبت أليسا على أيدي أتباع بيلتشر لتذكر أسماء جماعة كيت؟

أم قتلتها جماعة كيت لتمنعها من ذكر أسمائهم؟

- إيثنان؟

أين حدث ذلك؟

- إيثنان؟

من ذبحها؟

بيلتشر لم يقتل ابنته.

أكانت كيت تخادعه؟

سألته كيت: "ماذا فعلوا بصديقتي؟ يجب أن أعرف."

ألقي نظرة وراءه إلى المرأة التي أحبها ذات يوم. كانت هي وزوجها واقفين على حافة الجرف.

ظن أنه سيخرج من هذه الليلة بفهم أفضل لما حدث لأليسا، لكنه لم يشعر إلا بمزيدٍ من انعدام اليقين.

ابتلي بمزيد من الأسئلة.

بدأت أصداء كلمات بيلتشر تتردد في رأسه.

لا فكرة لديك...

عما هي قادرة عليه.

قال إيثنان: "لقد مزقوها يا كيت. مزقوها بطريقة بشعة."

## 19

حلّ عليه الإرهاق عند تقاطع الشارعين الثامن والرئيسي.  
كان وحده الآن، افترق عن كيت وهارولد قبل عدة مربعات  
سكنية.

لم تعد السماء بذلك اللون الكحلي الداكن.

خبت النجوم.

شقشق الفجر.

شعر كأنه مستيقظ منذ الأزل، ولم يستطع أن يتذكر آخر ليلة نام  
فيها نومًا هنيئًا.

آلمته ساقاه. وانفتقت غرز جرحه من جديد. شعر بالبرد والعطش،  
وعلى مبعده أربعة مربعات سكنية فقط، لاح منزله. سيتجرّد من

هذه الثياب المبتلّة المتجمّدة ويزحف تحت أكبر عدد من البطانيات  
يمكنه أن يكوّمه فوقه، ويعيد شحن طاقته أخيراً. يصفى رأسه من  
أجل...

أدارت رأسه ضجة سيارة مقتربة.

حدّق جنوباً نحو المستشفى.

اندفعت الأضواء الأمامية في اتجاهه.

أوقفته رؤيتها في معبر المشاة تحت إشارة المرور.

كان شيئاً لا تراه تقريباً في وايوارد باينز: سيارة تندفع حقاً في شوارع  
البلدة. كانت هناك مركبات كثيرة مصفوفة في الشوارع على الجانبين،  
وأغلبها تدور. بل كانت هناك محطة وقود عند طرف البلدة  
وبجوارها ميكانيكي. لكن الناس نادراً ما يقودون مركباتهم. كانت  
بالأساس زينة ثابتة.

للحظة، تخيّل المستحيل: أنها شاحنة صغيرة تتوجّه نحوه رأساً.  
الأب خلف عجلة القيادة. الأم نائمة بجانبه في المقعد الأمامي، والأطفال  
في الخلف يُحلّقون في أرض الأحلام. ربما كانوا في رحلة بالسيارة طوال  
الليل من مدينة سبوكين أو ميزولا. ربما كانوا قادمين إلى هنا لقضاء  
أجازة. ربما فقط هم عابرون.

لم يكن هذا حقيقياً.

وكان يعرف ذلك.

لكن لجزء من الثانية، وهو واقف في هدأة السحر في منتصف  
البلدة، بدا هذا ممكناً.

تسارعت حركة السيارة المقتربة في منتصف الشارع الرئيسي،  
وإطاراتها تدور على جانبي الخط الأبيض بعدد دورات في الدقيقة  
تجاوز الخط الأحمر. لا بد أنها كانت تسير بسرعة ستين أو سبعين

ميلًا في الدقيقة، وضجة المحرك تجلجل بين البنايات المظلمة، وأشعة  
المصابيح الأمامية العالية تغشي عينيه.

خطر لإيثان أنه ينبغي له أن يتعد عن الطريق في اللحظة ذاتها  
التي سمع فيها صوت لقات الإطارات يهدأ.

انزلقت السيارة الجيب رانجلر التي أخذته إلى الجبال مرات كثيرة  
من قبل لتتوقف أمامه في معبر المشاة.

لا أبواب، ولا سقف لدن.

سمع إيثان تعشيقه فرامل الطوارئ.

حدّق ماركوس في إيثان من خلف عجلة القيادة، وفي عينيه اهتزاز  
يوحي بأنه استيقظ قبل وقتٍ قصير.

قال بصوتٍ أعلى من المحرك المتباطئ: "يجب أن تأتي معي يا  
مستر بيرك."

وضع إيثان يده على قائم الهيكل المبطن.

- هل أرسلك بيلتشر لتأتي بي في الخامسة صباحًا؟

- اتصل بمنزلك. لم يرد أحد.

- لأني خرجت طوال الليل أؤدي ما طلبه مني.

- حسنًا، هو يريد أن يراك الآن فورًا.

- ماركوس، أنا متعب وبردان ومبتل. قل له إني سأعود إلى

البيت وأخذ حمامًا وأنام قليلا. ثم...

- آسف، لكن هذا لن يجدي يا مستر بيرك.

- عذرًا؟

- مستر بيلتشر قال الآن.



- مستر بيلتشر يمكنه أن يضاجع نفسه.

ألقت إشارة المرور أعلاهما ألوانًا متحولة على السيارة، وعلى وجه ماركوس، وعلى المسدس الذي كان يوجهه الآن فجأة إلى صدر إيثان. بدا كأنه مسدس جلوك لكن إيثان لم يكن متأكدًا في ضوء الشفق.

تفحص ماركوس - غضب وخوف وتوتر.

كانت ارتجافة المسدس ظاهرة بالكاد.

- اركب السيارة يا مستر بيرك. آسف لاضطراري إلى فعل ذلك، لكنني تلقيت أوامري، وهي أن آخذك إلى مكتب مستر بيلتشر. كنت جنديًا، أليس كذلك؟ وتفهم أنك أحيانًا يجب أن تفعل ما تؤمر به، ولا يهم إن كان يروك هذا أم لا.

- كنت جنديًا. قدت مروحية بلاك هوك. حملت رجالًا إلى معارك كنت أعرف أنهم لن يعودوا منها. صببت الجحيم على المتمردين. وتلقيت الأوامر بالفعل.

صعد إيثان إلى المقعد الأمامي وحدَّق عبر ماسورة المسدس في عيني ماركوس الهائجتين: "لكنني تلقيتها من رجال كنت أوليهم ثقتي واحترامي الكاملين."

- مستر بيلتشر يحظى بهما بالنسبة إليّ.

- هذا من حظه.

- حزام مقعدك يا مستر بيرك.

ثبَّت إيثان حزام مقعده. وفكر أنه لن يحظى بإعادة الشحن المشتهاة بعد كل هذا.

وضع ماركوس مسدسه في غمده، وحرَّر فرامل الطوارئ، ونقل البديل إلى السرعة الأولى.

ضغط دواسة البنزين، ودار بالسيارة على الرصيف المكسو بالثلج، ثم هبط بها إلى الشارع الرئيسي، وظهر الجيب رانجلر يتأرجح بينما تبحث الإطارات عن مسار احتكاكها.

انطلقا بجوار المستشفى بسرعة خمسة وخمسين ميلاً في الساعة، وظلّت السرعة تتصاعد مع اقترابهما من العتمة وراء حافة البلدة. عندما تحوّل الطريق إلى الغابة، نقل ماركوس البدّال إلى السرعة الثالثة.

لم يكن إيثان مستريحاً وهو يسير إلى البيت، لكنه على الأقل تحرّك بما يكفي لإبقاء دورته الدموية نشطة. لكن الآن كان الوضع بائساً، والريح تصرخ داخل السيارة الجيب، وتصيبه بالقشعريرة حتى نخاعه. قلّل ماركوس السرعة مرة أخرى، وانحرف عن الطريق وسط الأشجار.

ربما لم يكن تفكيره واضحاً ساعتها، لكن آخر ما انتوى إيثان أن يفعله هو مقابلة بيلتشر.

عندما اقتربا من الجلاميد، مدّ ماركوس يده داخل سترته الفرائية المقلنسة وأخرج شيئاً يشبه جهاز فتح أبواب الجراجات.

من بعيد، بدأ مثلثٌ من الضوء ينتشر عبر الجليد.

أوقف ماركوس السيارة عند طرف الصخرة المموّهة.

كان الباب الواسع في الجرف ما زال مفتوحاً، ينزلق إلى أعلى وإلى الورا في الصخر.

سرى الخدر في أصابع إيثان حتى صار بمقدوره أن يشعر بها بالكاد وهي تقبض على السكين.

فتح النصل ومال في حركة واحدة.

انغرز الطرف المعقوف في قصبه ماركوس الهوائية قبل أن يفكر حتى في رد الفعل.

انزلقت يده اليمنى من فوق عجلة القيادة، ممتدة نحو المسدس.

قال إيثان: "سأشكك نصفين."

أعاد ماركوس يده على عجلة القيادة.

- تشبَّث بهذه العجلة كأن حياتك تتوقف عليها، وهي كذلك بالفعل.

كان الجبل مفتوحًا على اتساعه الآن، والضوء يخرج من النفق ساطعًا على الجليد والأشجار المحيطة.

تحدث إيثان في أذن ماركوس:

- ببطء شديد ارفع يدك اليمنى عن العجلة، مدّها إلى أسفل، وانقل إلى السرعة الأولى. أبقِ يدك على العصا وادخل بالسيارة النفق. ما إن ندخل، حتى تطفئ المحرك. هل تفهم ما أقوله لك؟

أوماً ماركوس برأسه.

- لا أريد أن أؤذيك يا ماركوس، لكنني سأفعل. لقد قتلْتُ من قبل؛ في الحرب؛ وحتى في هذه البلدة، وسأفعلها مجددًا. لا تعتقد أنني لن أفعلها فقط لأنني أعرفك.. لن يكون هذا عاملاً مساعدًا.

ارتجفت يد ماركوس وهو يقبض بها على ذراع نقل السرعات ويحولها إلى السرعة الأولى.

ضغط على بدّال البنزين قليلًا، وتدحرجت السيارة بهما في ببطء إلى داخل النفق.

أوقف ماركوس الجيب تمامًا بالداخل كما قيل له بالضبط.

عندما نزل الباب خلفهما، جذب إيثان المسدس من جراب ماركوس: مسدس طراز هيكلر آند كوتش يو إس بي، بخزانة رصاصات عيار 40.

تساءل في عقله إن كانت هناك كاميرات تراقب.

قال ماركوس: "انتهى أمرك.. وأنت تعرف ذلك، تمام؟"

أدار إيثان المسدس وأمسك به من الماسورة. رأى ماركوس الضربة قادمة، وبدأ يحاول أن يدرأها عن رأسه، لكن إيثان عاجله على جانب رأسه بمؤخرة المقبض المدكوكة.

تداعى ماركوس إلى الوراء وكان من الممكن أن يسقط من السيارة لولا أن أمسك به حزام مقعده. خطف إيثان بطاقة هويته من معطفه، وفك حزامه، وترك الجاذبية تتكفل بسحبه بقية الطريق إلى الأرض المرصوفة.

ثم فك حزامه هو نفسه وانتقل إلى مقعد القيادة.

هرس بقدمه دواسة القابض.

هدر المحرك.

وسرعان ما كان ينهب الطريق إلى الجبل.

\*\*\*

طُنت المصاييح العملاقة المعلقة أعلاه في المغارة الهائلة، لكن في غير ذلك كان مجمع البنية الفوقية هادئًا.

راجع إيثان الذخيرة في المسدس.

وكان لا بد أن يضحك.

بالطبع لم يكن هناك شيء في الخزانة.

فتح الخزانة الإضافية - فارغة كذلك.

ألقى المسدس في المقعد الخلفي، ونزل من السيارة.

عند الأبواب الزجاجية الجرارة، أخرج بطاقة هوية ماركوس من جيبه ودفع بها في جهاز القارئ.

كان ممر المستوى الأول فارغاً في هذه الساعة من الصباح.

صعد إيثنان الدرج إلى الطابق التالي.

لمع الامتداد الطويل من البلاط الشطرنجي تحت مصابيح الفلورسنت وترددت في الممر أصداء وقع خطواته. بدا السير في هذه الردهات وحده أمراً غير شرعي بشكل غريب.

دون إشراف.. دون توجيه.

قرب نهاية الممر، توقف عند الباب المؤدي إلى حجرة المراقبة، واسترق النظر عبر الزجاج.

جلس أحدهم عند منصة التحكُّم يتنقل بين اللقطات المبتوثة من الكاميرات، أغلبها لقطات لأشخاص يتقلبون ويتضاجعون في أسرّتهم، أجساد غير مميزة في وهج الرؤية الليلية.

أدخل بطاقة ماركوس.

انفتح الباب.

خطا إلى الداخل.

استدار الرجل الجالس إلى منصة التحكم في مقعده.

تيد.

رئيس فريق المراقبة.

آخر شخص كان إيثان يتمنى أن يجده عند أجهزة التحكم.

- المأمور!

كانت هناك نبرة ذعر في صوت تيد.

- لم أعرف أنك ستقوم بالزيارة.

- نعم، لم أضع هذه الزيارة في مخططي.

تحرك إيثان نحو جدار الشاشات بينما الباب ينغلق من خلفه.

قال: "أرني يديك."

- لا أفهم.

- لا تفهم ما تعنيه جملة "أرني يديك" يا تيد؟

أخرج إيثان السكين.

رفع تيد يديه ببطء.

فاحت الحجرة برائحة القهوة العطنة.

قال إيثان: "هل يوجد أي أحد وراء الباب التالي؟"

قال تيد: "شخصان.."

- هل يوجد أي سبب لتوقع قيام تقنيك بزيارة مفاجئة؟

- لا أعتقد هذا، عادةً يبقون منكبين على شاشاتهم يعملون.

- فلنأمل ذلك من أجل صحة الجميع وأمنهم.

استرخى إيثان في المقعد المجاور لتيد. ارتجفت يدا الرجل وهو

ما منح إيثان دفعة ارتياح صغيرة. إذا كان خائفًا، سيمنح التحكم

فيه. كانت العدستان في نظارة الرجل كبيرتين كأنهما نافذتان وبدت

الحدقتان الكبيرتان المتسعتان وراءهما غائمتين ومرهقتين.

- كنت سهراناً طوال الليل يا تيد؟
- نعم.
- كم بقي من الوقت قبل أن تنتهي وريدتك؟ ومن فضلك افهم أن الكذب عليّ هو آخر ما سترغب في أن تفعله.
- أدار تيد معصمه حتى يتمكن من رؤية ساعته.
- أربع وثلاثون دقيقة.
- هل أنت خائف يا تيد؟
- أوماً الرجل برأسه في بطة.
- هذا جيد؛ ينبغي لك أن تكون خائفاً.
- لماذا تفعل هذا أيها المأمور؟
- لأحصل على بعض الإجابات. يمكنك أن تضع يديك على حجرك يا تيد.
- مسح الرجل جبينه بكمي قميصه ووضع راحتيه مفرودتين على بنطاله القطني.
- قال إيثان: "أريد فقد أن أوضح شيئاً بشدة."
- نعم؟
- لا أعرف إن كان لديك جهاز إنذار هنا، طريقة ما خفية لإشعار الناس بأنك في مشكلة. لكن لو حدث هذا، لو ارتكبت هذا الخطأ، سأقتلك.
- مفهوم.

- لا أبالي إن ظهر ثلاثون حارسًا مسلحًا خارج الباب. لو انفتح، سأفترض أنك استدعيت أحدهم، وآخر ما سأفعله قبل أن يوقعوا بي أن أقطع رقبتك.

- حسنًا.

- لا أريد لهذا أن يحدث يا تيد.

- ولا أنا.

- الأمر إليك. والآن فلنبدأ العمل. امسح بث الفيديو الحالي من الشاشات.

استدار تيد ببطء في مقعده وواجه منصة التحكم.

نقر على لوحة وأظلمت الشاشات الخمس والعشرون.

قال إيثان: "بادئ ذي بدء، أظن أن هناك بثًا كاميرا حيًا لممر المستوى الثاني خارج الباب؟"

- يمكن ذلك.

- ائتي به، وضعه في تلك الشاشة في الزاوية العلوية على اليمين.

ظهرت لقطة بطول ممر المستوى الثاني - فارغًا.

- والآن أريد أن أرى أين يوجد بيلتشر.

- هو لا يحمل رقاقة.

- بالطبع.. هل توجد كاميرات في مسكنه أو مكتبه؟

- لا.

- أيببدو هذا سليمًا بالنسبة إليك؟

- لا أعرف.

- وماذا عن ساعده الأيمن؟ أين بام، أم هي خارج الرادار أيضًا؟



- لا، يمكننا تحديد موقعها.

ومضت شاشة في الزاوية العلوية على اليسار وعادت إلى الحياة.

قال تيد: "ها هي ذا.."

كانت لقطة لصالة التمارين الرياضية من كاميرا في الزاوية.

قاعة مليئة بدراجات التدريب والمشايات والأثقال الحرة.

كان المكان فارغًا إلا من امرأة في مركز الكادر، تقوم برفع أثقال على قائم دون جهد ظاهر.

- هل اقتفيت أثرها من خلال رقاقتها؟

- صحيح. ما سبب كل هذا يا إيثان؟

ألقي إيثان نظرة نحو البث القادم من ممر المستوى الثاني.

ما زال فارغًا.

قال: "هل لديك كاميرا عند مدخل النفق؟"

تحركت أصابع تيد بسرعة.

ظهر النفق.

كان ماركوس جالسًا على الأرضية الخرسانية، ورأسه عالقة بين ساقيه.

تساءل تيد: "من هذا؟"

- مرافقي.

- وماذا حدث له؟

- أشهر مسدسًا في وجهي.

كان ماركوس يحاول الوقوف. نجح في النهوض على قدميه، لكن ساقه التوتا فجأة، وجلس من جديد على الطريق.

- دعني أسألك عن شيء يا تيد.

- ما هو؟

- ماذا كنت تفعل قبل أن يضمك بيلتشر إلى طقم مركبه؟

- عندما قابلته، كانت زوجتي قد توفيت منذ عام. كنت متشردًا، أشرب حتى الموت. كان يعمل متطوعًا في الملجأ الذي كنت أقيم فيه أحيانًا.

- إذن قابلته عندما كان يقدم لك الحساء؟

- هذا صحيح. ساعدني كي أعود نظيفًا وأتخلى عن إدماني الشراب. كنت لأموت لو لم يظهر في حياتي. لاشك في ذلك.

- إذن أنت مؤمن بأنه فوق الشبهات؟ لا يمكن أن يرتكب خطأً؟

- هل سمعتني أقول هذا أيها المأمور؟

في الشاشة بالأعلى، كان ماركوس قد نهض الآن، محاولًا أن يخطو مترنحًا في النفق.

- تيد، آخر مرة كنت فيها هنا أريتني كيف يمكنك تتبّع أي رقاقة، ورؤية أين يمكن أن يكون أحدهم من قبل.

- نعم.

- أظن أن هذا غير ممكن مع بيلتشر؟

- تمام.

- وماذا عن بام؟

- استدار تيد في مقعده.

- لماذا؟

كان ماركوس يتعثر في طريقه الآن داخل النفق.

- افعل هذا فقط.

- ما هو النطاق الزمني؟

- أريد أن أرى أين ذهبت منذ ثلاث ليال.

أظلمت كل الشاشات.

اندمجت في منظور جوي واحد لوايوارد باينز، وظهرت نقطة ضوء حمراء أعلى الجبل جنوب البلدة.

تساءل إيثنان: " ما هذا الموقع؟"

- مجمع البنية الفوقية.

- هل يمكنك أن تقترب بالكاميرا؟

- نعم، لكنها ستعطيك صورة مكبرة للأشجار على جانب الجبل فقط. لدينا شبكة جوية عالية التطور فوق البلدة، لكن ليس فوق هذا المجمع.

كانت هناك أرقام - ما بدا أقرب إلى التوقيت العسكري- في الزاوية السفلى على اليمين من الشاشات.

تساءل إيثنان: "هذا موقعها في الساعة 21:00؟"

- نعم، أي التاسعة مساء.

- حسنًا، خذنا إلى الأمام في الوقت ببطء.

تسارع الوقت -الثواني، الدقائق، الساعات- لكن الومضة لم تتحرك خارج الجبل.

أوقف تيد كل شيء وقال: "نحن الآن في الواحدة صباحًا."

- وما زالت بام لم تغادر الجبل. اجرِ بالوقت.

قبل الواحدة والنصف تمامًا، خرجت الومضة من الجبل، عبر الغابة، ومنها إلى الطريق المؤدي إلى وايوارد باينز. اقترب تيد بالصورة.

نمت ومضة بام إلى حجم أكبر، وهي تتحرك الآن بسرعة عبر الطريق نحو البلدة.

قال إيثان: "افعل ذلك الشيء الذي يُظهر كل المساحات المغطاة بالمراقبة البصرية." ظهر الغشاء اللوني الحاسوبي. تساءل إيثان: "بما أن بام تحمل رقاقة في جسدها، ستحفز حركتها الكاميرات كي تقوم بالتصوير، صحيح؟"

- نعم.

اتخذت بام شارعًا خلفيًا يمتد موازيًا الشارع الرئيسي.

- والآن ما هو الوقت؟

- الواحدة وتسع وأربعون دقيقة صباحًا.

- هل يمكننا أن نراها فعليًا على الكاميرا؟

- غريبة!

- ماذا؟

- لا أجد خيار "تغذية الرؤية بالكاميرا".

اقترب تيد بالبؤرة أكثر. ملاً مربع سكاني كامل الخمس وعشرين شاشة. "أوه، هذا هو السبب، أترى؟ إنها واقفة في بقعة عمياء." من قريب بالأعلى، تناثرت مساحات سوداء في الغشاء اللوني، ومع دوران الثواني المتسارع، بدا أن بام ظلّت دائمًا داخل السواد.

قال تيد: "إنها ماهرة، تعرف كل مواضع الكاميرات وأين تذهب كي تبقى بعيدًا عن التصوير."

قال إيثان: "اجرِ بالوقت حتى الواحدة وخمس وخمسين دقيقة صباحًا."

ضغط تيد على زرٍّ جرى بالوقت عدة دقائق.

في الواحدة وخمس وخمسين دقيقة بالضبط، حلقت ومضة بام فوق الناحية الجنوبية من دار الأوبرا عند ناصية الشارعين الرئيسي والثامن.

كنتِ هناك. ليلة مقتل أليسا، كنتِ تراقبين عندما افترقت هي وكيت.

قال تيد: "ربما لو أخبرتني بما تبحث عنه، سأستطيع أن أساعدك."

في الواحدة وتسع وخمسين دقيقة صباحًا بدأت بام الحركة نحو الجنوب. وبعد ذلك تتبعت أليسا.

انتقلت بام إلى مساحة يغطيها الغشاء اللوني.

قال تيد: "لديّ خيار (تغذية الرؤية بالكاميرا)."

- فلنرها.

تغيّرت الشاشات إلى لقطة بالكاميرا للشارع الرئيسي.

كانت لقطة مغبّشة بالرؤية الليلية، لكن إيثان استطاع أن يميّز ظل بام وهي تسير بسرعة على الرصيف.

خرجت من مجال الرؤية.

أظلمت التغذية.

عادت الشاشات إلى الخريطة الجوية.

تساءل تيد: "ماذا كانت تفعل في البلدة؟"

- في الواحدة وتسع وخمسين دقيقة تفترق الطرق بأليسا وكيت بالينجر عند ناصية الشارعين الرئيسي والثامن. كلتا المرأتين لا تحملان رقاقة، لذا لا توجد أي لقطة لهما. قيل لي إن أليسا اتجهت جنوبًا، من المفترض نحو مجمع البنية الفوقية. بام تتبع أليسا. ضع في ذهنك أني بعد عدة ساعات، قرب المراعي جنوب البلدة، سأكتشف أليسا. عارية في منتصف الطريق. معدبة حتى الموت.

- قتل الجوالون أليسا.

- ربما، وربما لا. راجع كاميرات المراقبة الثلاث الخاصة بنا يا تيد.

عاد تيد ليضغط على أزرار الكاميرات الأولى.

كان ماركوس قد اختفى من كاميرا باب النفق.

وكانت بام قد غادرت صالة التمارين.

وظل ممر المستوى الثاني فارغًا.

قال إيثان: "عد إلى حيث كنا. فلنر أين تذهب."

انتقل تيد إلى المنظور الجوي لويوارد باينز.

استمرت بام جنوبًا خارج البلدة، وحيث ينثني الطريق عائداً،

تحركت ومضتها إلى داخل الغابة، ومضت حتى السور.

تساءل إيثان: "هل يمكنك أن تضيف رقاقتي إلى هذه الشاشات؟"

- هل تقصد لنفس اللحظة من الوقت؟

- بالضبط.

ظهرت ومضة إيثنان.

قال تيد: "إذن كنت هناك مع بام؟ لا أفهم."

- نعم. منذ ثلاث ليال عند السور. كان بيتر ماکول قد مات للتو.

- أوه، أذكر ذلك.

- والآن اجرِ بَمَسار بام مرة أخرى، من الواحدة وتسع وخمسين دقيقة إلى أن تصل إليَّ عند السور.

أعاد تيد تشغيل حركة بام.

قال تيد: "لا أستطيع تتبُّعها.."

- إذن شغّلها مرة أخرى.

شغّلها ثلاث مرات أخرى، وفي نهاية الثالثة قال: "ما هذا بحق الجحيم؟"

مال تيد إلى الأمام في مقعده.

كان مسلكه قد تغيَّر.

أقل خوفًا، أكثر حدة.

أكثر تركيزًا.

قال إيثنان: "هل أنا مخطئ أم أن هناك ساعتين ونصفًا مفقودتان

من خط مراقبة بام في ليلة مقتل أليسا؟"

أعاد تيد تشغيل اللقطات.

كبَّرها حتى شغلت الومضة ذاتها أربع شاشات.

ثم شغّلها مرة بعد مرة بعد مرة.

قال تيد: "قفزة الوقت سلسلة، لا يشي بها إلا ساعة العداد."

نقر بشراسة على ثلاث لوحات مفاتيح.

ومضت شفرة بوجود خطأ ما على الشاشات.

حدّق تيد فيها، برأسٍ مائل، كأنها غير منطقية.

تساءل إيثان: "ماذا يعني هذا؟"

- هناك حقل بيانات مفقود. من الساعة الثانية وأربع دقائق صباحًا إلى الرابعة وثلاث وثلاثين دقيقة صباحًا.

- وكيف يمكن هذا؟

- حذفه أحدهم، دعني أجرب شيئًا آخر.

أظهرت الشاشات الآن ما كان يكتبه تيد - سطر طويل من شفرة لا يمكن فهمها.

ولم ينتج عنها إلا رسالة أخرى بوجود خطأ.

قال تيد: "أجريت للتوّ عملية استعادة للنظام، عدت إلى ستين ثانية قبل عملية القفز بالوقت."

- و؟

- تعرّض جزء المراقبة الذي نبحث عنه للإتلاف.

- ماذا يعني هذا بالضبط؟

- جرى مسحه.

- هل يمكن أن يقوم بيلتشر أو بام بفعل هذا؟

- بالطبع لا. أقصد ليس بنفسيهما؛ الحذف نفسه مستحيل عمليًا، لكن ترقيع تاريخ مراقبة بام بعد حذف حقل بيانات وجعله يبدو بهذه السلسلة؟ لا سبيل إلى ذلك. يتطلب هذا مستوى عاليًا من الخبرة.



- إذن من يمكن أن يساعدهما؟ واحد من تقنيي المراقبة لديك؟
- فقط لو أمروا بذلك.
- لم يُطلب منك أن تفعل هذا؟
- لا، أقسم لك.
- كم عدد القادرين من فريقك على فعل شيء كهذا؟
- اثنان.

أشار إيثنان بسكينه نحو الباب الموجود عند نهاية لوحة التحكم الهائلة: "هل هما هناك الآن؟"

تردّد تيد.

- تيد.

- واحد منهما.

مضى إيثنان نحو الباب.

قال تيد: "مهلاً." وأشار إلى صف الشاشات، الذي تحول إلى كاميرات المراقبة الحية داخل مجمع البنية الفوقية.

كانت بام وبيلتشر قادمين عبر ممر المستوى الثاني، وفي أثرهما حارسان.

حملق إيثنان في تيد: "هل حذرتهما؟"

- بالطبع لا. اجلس.

- لماذا؟

انقض تيد على شاشات اللمس.

اختفت تغذيات كاميرات المراقبة.

قال إيثنان: "أعدها.."

- لو كان هذا يعني ما أعتقد أنه يعنيه، لسنا في حاجة إلى هذا على الشاشة عندما يدخلون.

استدعى تيد خريطة جوية لوايوارد باينز، وقرب الصورة على منزل كيت بالينجر، وضغط على المخطط التفاعلي.

انتقل إلى الكاميرا المعلقة فوق سريرها.

ملأت كيت وهارولد الشاشات - وضوء الفجر يدخل من نافذتهما فيما يرتديان ثيابهما.

اتخذ إيثان مجلسه: "هل تساعدني فعلاً؟"

- ربما.

تناهت إلى الأسماع أصوات خارج الباب.

ثم صوت لسان قفل يفتح.

- من الأفضل أن تفكر في شيء بسرعة أيها المأمور.

قال إيثان: "شيء أخير، لو احتجتُ إلى التحدث إلى شخص ما لأمر طارئ في منتصف النهار في منتصف البلدة..."

- الدكة الموجودة عند ناصية الشارعين الرئيسيين والتاسع. بقعة عمياء وصماء.

انفتح الباب.

دخل بيلتشر أولاً، وفي أعقابه بام.

نظر وراءه، ربما إلى الحارسين، وقال: "انتظرا لحظة. سأعطيكما خبراً."

غدً بيلتشر خطاه إلى منتصف الحجرة وحدق في إيثان بغضبٍ صارخٍ مركز.

- ماركوس في العيادة مصاب بارتجاج في المخ وجمجمة مشقوقة.

قال إيثان: "وغد صغير صوب نحوي مسدسًا، محظوظ لأنه ليس في المشرحة.. هل أعطيته تلك السلطة؟"

- أخبرته أن يذهب إلى البلدة ويعثر عليك ويعود بك إليّ بأي وسيلة لازمة.

- حسنًا، أظن أنه يجب أن يشرك على جمجمته المشقوقة.

- ماذا تفعل هنا؟

- كيف يبدو ما أفعله؟

نظر بيلتشر إلى تيد.

قال تيد متطوعًا: "أراد أن يرى لقطات حية من مسكن بالينجر."

على الشاشات، تحركت كيت إلى داخل المطبخ.

كانت تصب الماء على ماكينة صنع قهوة فرنسية، وتزيل بقايا القهوة القديمة.

ابتسم بيلتشر وقال: "ما الخطب يا إيثان؟ ألم تحظ بما يكفي من لقاء وجهًا لوجه ليلة أمس؟ أود أن أراك في مقري حالًا."

خطا إيثان نحو بيلتشر.

كان أطول من الرجل بست بوصات وهو يحدق إليه من طرف أنفه.

قال: "يسعدني مصاحبتك يا ديفيد، لكنني أشعر أولاً بالحاجة إلى إبلاغك بأنك لو قمت بأي هراء مثل هذا مرة أخرى؛ أن ترسل خادمك ليحضرني بمسدس..."

قاطعه بيلتشر: "احترس! قد تكون بقية هذه الجملة باهظة الثمن."

نظر وراء إيثان.

- هل أنت متأكد أن كل شيء بخير هنا يا تيد؟

- نعم يا سيدي.

عاد بيلتشر بناظره إلى إيثنان وقال: "تفضل أنت أولاً."

دس إيثنان يديه في جيبيه الأمامين وهو يمر بمام. كانت تبتسم مثل المعتوهة، وما زال جلدها يلمع بالعرق من أثر تدريباتها في الصالة.

في الممر بالخارج، وقف رجلان قويان ضخمان على جانبي الباب. كانا يرتديان ثياباً مدنية، لكن تدلى مدفعان رشاشان من حزامين معلقين في عنقيهما وراقبا إيثنان بنظرة عدوانية لا ترمش.

قاد بيلتشر الجميع عبر الممر ودفع بطاقته المفتاحية في البابين غير المميزين المؤديين إلى المصعد المؤدي إلى مقره.

ألقى نظرة وراءه نحو حارسه وقال: "سنتولى نحن الأمر من هنا أيها السيدان."

عندما ركبوا جميعاً في الكابينة قال بيلتشر: "أخبرني ماركوس أنك سرقتَ بطاقته المفتاحية؟"

ناولها له إيثنان.

قالت بام: "يبدو أنك مررت بليلة قاسية يا جميل."

ألقى إيثنان نظرة على كنزته المقلنسة - ما زالت رطبة، وبها خطوط من الطين، وممزقة في عدة مواضع.

قال: "كنت في طريقي إلى البيت كي أستحم وأغير ملابسني عندما اعترضني ماركوس."

قالت مبتسمة: "أنا سعيدة لأنه فعل ذلك؛ تروقني قذارتك."

عندما وصلوا مقر بيلتشر، جذبت بام ذراع إيثنان واستبقته قليلاً في الكابينة.

وضعت شفيتها على أذنه وهمست: "تصادف أن رأيتك أنت وتيريزا في تمشيتكما الليلية ليلة أمس. أوه، لا تلو وجهك هكذا. لم أخبر أحداً. حتى الآن. لكنني أردت فقط أن أجعلك تعلم أنني أملكك الآن."

\*\*\*

قاد بيلتشر الاثنين إلى طاولة زجاجية مستديرة على أطراف مطبخ شديد النظافة والترتيب. كان طباخه الشخصي يعد الإفطار بالفعل - ورائحة البيض ولحم الخنزير المقدد والمُدخَّن تهب من سطح الموقد (الفايكنج) الكبير.

قال بيلتشر: "صباح الخير يا تيم."

- صباح الخير سيدي.
- هل تسمح بتحضير القهوة؟ يمكنك أن تتلقى طلباتنا أيضًا.
- لديك ثلاثة أشخاص.
- بالطبع.

كان الضوء القادم من النافذة بجوار الطاولة رمادياً وكثيباً.

قال بيلتشر: "سمعت أنها أثلجت ليلة أمس."

قال إيثان: "مجرد نثار."

- يبدو أن أول سقوط للثلج يأتي أبكر كل عام. ما زلنا في أغسطس.
- أتى من المطبخ شاب حليق يرتدي معطف الطهارة حاملاً صينية بها ثلاثة فناجين خزفية وإناء قهوة فرنسية كبير.
- وضع كل شيء على الزجاج، وأنزل بحرصٍ إناء القهوة.
- ملأ الفناجين الثلاثة.

قال: "أعرف أن بام ومستر بيلتشر يشربان القهوة سادة. سيدي المأمور؟ هل آتي لك ببعض القشدة والسكر؟"

قال إيثنان: "لا شكرًا."

وشت رائحتها بأنها قهوة جيدة.

وكان مذاقها أفضل بالقطع مما يقدمونه في البلدة.

ذُكرت إيثنان بالقهوة في سياتل.

قالت بام: "كنت لتفخر بأمورنا كثيرًا بالأمس يا ديفيد."

- فعلاً؟ ماذا فعل؟

- زار واين جونسون. أول عملية إدماج لك يا إيثنان، صحيح؟

- نعم.

- كان مستر جونسون يمر بوقت صعب، ويطرح الأسئلة الصعبة التي يسألونها كلهم. تعامل إيثنان مع الأمر بطريقة مثالية.

قال بيلتشر: "سعيد بسماع هذا."

- كان الأمر أشبه بمشاهدة طفلنا الرضيع يخطو خطواته الأولى. شيء جميل فعلاً.

أخذ تيم طلباتهم وتوجه عائداً إلى داخل المطبخ.

قال بيلتشر: "إذن نحن نتحرق شوقاً إلى سماع كل ما حدث في سهرتك يا إيثنان."

حدَّق إيثنان في البخار المتصاعد من سطح قهوته. كان في موقف صعب. إذا كان هذا الرجل قادراً على قتل ابنته، ماذا سيفعل بإيثنان وأسرته لو رفض إيثنان أن يحدد أسماء؟

لكن لو باح إيثنان بما يعرف، فهو يوفِّع شهادة وفاة كيت.

خياران مستحيلان.

وإذا لم يكن هذا كافيًا، فإن بام تعلم أنه أزال رقاقة تيريزا.

- قل لنا كل ما رأيته يا إيثان.

عندما هددوها بالموت، ربما لم تذكر أليسا أسماء، لكنها بلا شك أخبرت أباهما -أو بام- بالحقيقة.

لعلها قالت إن جماعة كيت ليست خطيرة.

لا تخطط لثورة.

أنهم يلتقون فقط ليعيشوا لحظات من الحرية.

ورغم ذلك قُتلت.

لم تساعد الحقيقة كيت وجماعتها. لم تنقذ الحقيقة أليسا.

- إيثان؟

في لحظة وضوح مُغشٍ مريع، فهم ما يجب عليه أن يفعله.

شيء خطر. مجنون.

- إيثان، بحق اللعنة!

لكنها مناورته الوحيدة.

قال: "تمكنت من الدخول."

- ماذا يعني هذا؟

ابتسم إيثان وقال: "رأيت الدائرة الداخلية."

- أخذت إلى حيث يلتقون؟

- عصبوا عينيَّ وقادوني إلى الغابة. تسلقنا هذا الجرف إلى مغارة

في منتصف الجبل.

- هل يمكنك أن تعثر على هذا المكان وحدك؟

- أعتقد هذا. لم أكن معصوب العينين في رحلة العودة.

- سأرغب منك أن ترسم خريطة.

- بالطبع.

- إذن ماذا رأيت؟

- كان هناك خمسون أو ستون شخصًا.

- من ضمنهم شريكك السابقة وزوجها؟

- أوه نعم. كيت وهارولد؟ من الواضح أنهما يديران الأمر.

- هل ميزت الآخرين؟

- نعم.

- سنحتاج إلى قائمة كاملة بالأسماء.

- لن تكون مشكلة. لكن ينبغي لك أن تعرف شيئًا.

- ماذا؟

- ذهبت ليلة أمس متوقعًا تجمّعًا بريئًا. أينما كانت هناك

قواعد في مكان، تدفع الطبيعة البشرية الناس للتحايل عليها.

ولك في الحانات العمياء<sup>(1)</sup> في عشرينيات القرن العشرين مثال

نموذجي.

تبادل بيلتشر وبام نظرة، والدهشة في وجهيهما لا تحتاج إلى إثبات.

من الواضح أن أليسا أخبرتهما بالعكس.

---

(1) محلات تتاجر بالمشروبات الكحولية بشكل غير قانوني. نمت هذه الدكاكين وتزايدت

خلال فترة حظر الكحوليات في الولايات المتحدة. (المترجم)



قال إيثان: "بصراحة، اعتقدت في البداية أنكما مجرد مهووسين بالسيطرة، لكنكما على حق؛ إنهم يجنّدون بنشاط أعضاء جدًّا. ولديهم أسلحة."

- أسلحة؟ من أي نوع؟
- أغلبها مصنوع منزليًّا. سواطير. سكاكين. مضارب. رأيت مسدسًا أو اثنين. إنهم يراكمون ترسانتهم.
- ماذا يريدون؟
- اسمع، كان الجميع متوترين بشدة من وجودي هناك.
- يمكنني تخيل ذلك.

- لكن مما تبينته، هم يريدون الاستيلاء على السلطة. الاستيلاء على البلدة كلها. هذا واضح إلى حدِّ كبير. هم لا يخاطرون بحياتهم بالذهاب إلى هذه الاجتماعات لمجرد الجلوس والحديث عن الأيام الخوالي قبل واوارد باينز. هم يعرفون أنهم تحت المراقبة. يعرفون بوجود سور. وبعضهم حتى ذهب إلى الجانب الآخر.

- كيف؟
- لا أعرف بعد.

أحاط إيثان قدح القهوة بيديه ليدفئهما حول الخزف الساخن. قال: "سأكون صادقًا. كنت متشككًا قبل دخولي، لكن أنت... نحن... لدينا مشكلة خطيرة."

تساءلت بام: "وماذا عن أليسا؟"

- هل تسأليني إن كانوا قتلوها؟
- نعم.

- حسنًا، لم يتقدم أحد منهم ويعترف وأنا هناك، لكن ماذا تعتقدين؟ اسمعي، هؤلاء الناس لديهم خوف مرضي بالغ من اكتشافهم. لا يعرفون بالتحديد من تكون يا ديفيد، لكنهم يعرفون بوجود شخص مثلك. يعرفون أن شخصًا ما يتحكم في كل هذا. ويريدون أن يوقفوك بأي وسيلة لازمة. يريدون حربًا. الحرية أو الموت وكل هذا الهراء.

عاد تيم حاملاً صينية فضية.

وضع طبقًا من الفاكهة الطازجة -بالتأكيد آخرها- من الحدائق.

- بيضة مسلوقة على عجين مخمّر من أجلك مستر بيلتشر. بيض مع لحم الخنزير المقدم من أجلك يا بام. وبيض مخفوق من أجلك أيها المأمور.

أعاد ملء القهوة للجميع وغادر.

أخذ بيلتشر قزمة من بيضته، وتفحص إيثان لحظة.

قال أخيرًا: "أنت تفهم يا إيثان أن حربًا بين آخر عدة مئات من البشر على وجه الأرض شيء لا يمكن السماح بحدوثه."

- بالطبع.

- وماذا تقترح؟

- معذرة؟

- لو كنت مكاني، ماذا كنت لتفعل؟

- لا أعرف. لم أحظ فعلاً بفرصة للتفكير في الأمر.

- لماذا أجد ذلك عصيًا على التصديق؟ بام؟

- حسنًا الآن.. بادئ ذي بدء، كنت لأجعل مأمورنا الهمام يدوّن أسماء كل وأي شخص رآه ليلة أمس في ذلك الحفل الساهر

الصغير. ثم أطلب مني (وأشارت إلى نفسها) أن أشكّل فريقيًا صغيرًا. نجتاح البلدة، وفي ليلة واحدة نخفي كل ابن حرام زنيم في هذه القائمة. (وابتسمت) ثم مرة أخرى أنا أمرٌ بدورتي الشهرية، لذا ربما أشعر فقط أني دموية قليلًا - ولا أقصد أي تورية.

سألها بيلتشر: "كنتِ لتضعيهم جميعًا في حالة إرجاء من جديد؟"

- أو أقتلهم بطريقة شنيعة. أقصد أنهم عند هذا الحد يبدون لي حالات ميؤوسًا منها، ألا تعتقد ذلك؟

- كم قلت كان عددهم يا إيثنان؟

- خمسين أو ستين.

- لا يمكنني تصور التضحية بهذا العدد الكبير من الناس. سمّيني متفائلًا ميؤوسًا منه، لكن عليّ أن أفكر في وجود نسبة من جماعة كيت يمكن إقناعهم بطرق أقل تطرفًا من التعذيب والقتل.

رش بيلتشر قليلًا من الملح على بيضته.

تناول قظمة.

حدّق من النافذة إلى الصخر.

كان مشهدًا مذهلاً عبر سطح الجرف. أسفلهم بألف قدم، امتدت غابة هابطة على جانب الجبل إلى البلدة.

عندما عاد بيلتشر بناظريه إلى الطاولة، بدا عليه سمت جديد من العزم.

قال: "إيثنان، ستكون أمامك ليلة مثيرة."

- وكيف ذلك؟

- ستدعو إلى أول مهرجان لك.

- لمن؟

- ستكون كيت وهارولد بالينجر ضيفي الشرف.

اتسعت ابتسامة بام.

قالت: "يا لها من فكرة رائعة. اقطع رأس الحية، يموت باقي جسدها."

قال بيلتشر: "أعرف أن المهرجان الوحيد الذي مررت به يا إيثنان كان مهرجانك، لكنني أظن أنك درست الدليل. أنك تعرف ما هو منتظر منك."

تساءلت بام: "هل لديك أي مشكلات في الإشراف على إعدام عشيقتك السابقة؟"

قال إيثنان: "حساسيتك غامرة. ذكّرني يومًا ما أن أشرح لك ماهية التقمص الوجداني."

قال بيلتشر: "ربما كانت الصياغة ضعيفة، لكن السؤال وجيه. هل أنت مستعد لهذا يا إيثنان؟ ولا تسيء فهمي وتعتقد أنني أشير إلى وجود خيار لديك في الأمر."

قال إيثنان: "أخشى ذلك، إن كان هذا ما تسأل عنه. لقد أحببتها ذات مرة، لكن بعد ليلة الأمس، أفهم الحاجة إلى ما سيحدث."

بدا الاسترخاء على عضلات وجه بيلتشر.

- سماعك وأنت تقول هذا يا إيثنان... لا شيء يمكن أن يجعلني أكثر سعادة من أن تكون على متن مركبنا بكليتك. أن نعمل نحن الثلاثة معًا. أن نحصل على ولائك وثقتك الكاملين. هذا

مهم جدًّا، وهناك الكثير مما لم أخبرك به. الكثير مما أريد أن أشاركك إياه. لكن عليَّ أن أعرف أنك معي فعلاً.

قالت بام: "يجب إلقاء القبض على آل بالينجر أحياء. يجب أن توضَّح هذا من البداية للضباط وإلا سيقتل ضيوفنا في زقاق ما. في ضوء الرسالة التي نحاول إرسالها، يجب أن يموتا وسط الحلقة في الشارع الرئيسي. يجب أن يكون الأمر داميًّا وبشعًّا حتى يفهم كل الناس في جماعتهما ثمن عصيانهم."

قال بيلتشر: "سأتابع كيف تدير المهرجان. يمكن أن يقطع أداؤك الليلة شوطًا طويلًا نحو بناء ثقة حقيقية بيننا." أنهى بيلتشر قهوته ونهض. "اذهب إلى بيتك يا إيثان واحظ ببعض النوم. سأرسل د. مايتز إلى البلدة بعد الظهر ليعيد زرع رقاقتك."

ابتسمت بام وقالت: "يا إلهي، أحب المهرجانات. أكثر حتى من الكريسماس. ولديّ زمرة من أهل البلدة مثلي أيضًا. هل تعرف أن بعضهم يحتفظون بأزياء خاصة في خزاناتهم من أجل الليلة الكبيرة؟ يزخرفون سكاكينهم وحجارتهم. كلنا في حاجة إلى بعض الجنون من وقت إلى آخر."

تساءل إيثان: "هل تعتبرين قتل اثنين من ناسنا مجرد (بعض الجنون)؟"

- في نهاية الأمر، هو أفضل ما يمكننا فعله، أليس كذلك؟

- أمل أن هذا ليس صحيحًا.

قال بيلتشر: "بشكل شخصي، أكره المهرجانات. لكن مرة أخرى، هؤلاء أهلي وناسي هناك بالأسفل، وبقدر صعوبة الأمر إلا أنني أعرف ما يحتاجون. سيقودهم الكمال طوال الوقت إلى الجنون. في كل بلدة مثالية صغيرة، يوجد شيء قبيح متوارٍ. لا أحلام من دون كوابيس."

## 20

دخل إيثنان بيته المظلم.

فتح حنفية حوض الاستحمام في الطابق الأرضي، وصعد إلى غرفة نومه.

كانت تيريزا نائمة تحت جبل من البطانيات.

مال عليها وهمس في أذنها: "تعالى معي إلى الحمام."

كان الماء في الحوض هو الشيء الوحيد الساخن في المنزل، لكنه كان ساخنًا بسخاء.

امتلأت الحجرة بالبخار قبل أن تهبط تيريزا.

كسا البخار المرأة فوق حوض غسيل اليدين، والنافذة أعلى حوض الاستحمام. وجعل الطلاء يبدو كأنه يتعرق.

خلعت ثيابها.

خطت في الماء وجلست بين ساقيه.

بوجودهما هما الاثنان في الماء، لم تكن هناك إلا بوصة بين سطحه وحافة الحوض ذي القدمين المخلبتين. تكاثفت الشبورة الدافئة حتى لم يعد بمقدور إيثان أن يرى الحوض تقريبًا.

أدار إيثان بقدمه مقبض الصنبور بما يكفي فقط لملء الحمام بصوت الماء الجاري. جذب تيريزا إلى صدره من جديد. حتى في هذه السخونة، كان جلدها باردًا على جلده. شفتاه كانتا في أذنها تمامًا، وكان وضعًا مثاليًا للحديث معها حتى إنه لم يعرف لماذا لم يخطر له من قبل قط.

أحاط بهما البخار.

قال: "لم تقتل جماعة كيت المرأة التي أتحرى حول مقتلها."

- من فعلها إذن؟
- إما بام، أو شخص تحت إمرة بيلتشر، أو الرجل نفسه.
- يقتل ابنته؟
- لست متيقنًا من هذا، لكن بغض النظر، سيكون هناك مهرجان الليلة.
- من أجل من؟
- كيت وهارولد.
- يا إلهي! وباعتبارك المأمور، يجب أن تديره.
- هذا صحيح.
- ألا تستطيع منع ذلك؟

- لا أريد أن أمنعه.

أدارت رأسها وتطلعت إليه: "إيثان، ماذا يحدث؟"

- من الأفضل ألا تعرفي.

- تقصد في حالة عدم نجاحك فيما تنتويه؟

- نعم.

- كم نسبة واقعية ذلك الاحتمال؟

- كبيرة. لكننا تحدثنا عن الأمر ليلة أمس. وعدتك أنني سأصلح

الأمر، حتى لو كان معنى هذا المجازفة بفقدان كل شيء.

- أعرف. الأمر فقط...

- مختلف قليلاً عندما تصبح الأمور على المحك. بالمناسبة بام

تعلم بأمرنا، أننا خرجنا ليلة أمس.

- هل أخبرت أحداً؟

- لا، وأراهن أنها لن تفعل، ليس قبل المهرجان.

- لكن ماذا سيحدث لو تكلمت بعد المهرجان؟

- بعد الليلة، لن تعود لأي من هذا أهمية. لكن اسمعي، لست

مضطرباً إلى فعل هذا. يمكننا الانتظام في الطابور. يمكننا أن

نعيش بقية أيامنا كأهل بلدة صغيرة طيبين. سأكون المأمور.

ستكون هناك امتيازات لهذا. ليس لدينا رهن عقاري هنا.

ولا فواتير. كل شيء متوافر. كنت أعمل حتى وقت متأخر كل

ليلة. والآن أنا في البيت دائماً على العشاء. لدينا وقت أكبر

معاً كأسرة.

همست تيريزا: "ثمة جزء بداخلي يتساءل إن كان بمقدوري أن أقنع

بهذا، أتعرف؟ أن أستقر فقط. لكنها لن تكون حياة يا إيثان. ليس



بهذه الشروط. "قَبْلته، وقد رَقَّت شفتاها من البخار والحرارة. "لذا  
افعل كل ما يجب عليك أن تفعله أيًا كان، واعلم فقط أنه مهما كان  
ما سيحدث، فأنا أحبك، وأني شعرت بالقرب منك في الأربع وعشرين  
ساعة الماضية أكثر مما شعرت به في الخمس سنوات الأخيرة من  
زواجنا في سياتل."

\*\*\*

تلاشى الثلج قبل العصر.

وتحت سماء شتوية زرقاء، وقف إيثنان خارج السور الذي يطوق  
المدرسة.

تدفق الأطفال خارجين من المبنى المشيّد بالطوب الأحمر، وهبطوا  
السلام. لمح بن يسير مع صديقين، تتدلى حقائق الظهر من أكتافهم،  
وهم يتحدثون ويضحكون.

كم بدا كل هذا طبيعيًا.

أطفال يخرجون من المدرسة في النهار.

لا مزيد.

بلغ بن الرصيف، كان ما زال لم يلاحظ أباه.

قال إيثنان: "أهلاً يا بني."

توقف بن وكذلك فعل صديقه.

- بابا، ماذا تفعل هنا؟

- شعرت فقط بالرغبة في اصطحابك من المدرسة اليوم. هل

تمانع في السير معك إلى البيت؟

لم يبدُ الصبي راغبًا في أن يصطحبه أبوه إلى البيت، لكنه أخفى حرجه بلياقة.

التفت إلى صديقيه، وقال: "سأتصل بكم يا شباب في وقت لاحق هذا المساء."

وضع إيثان يده على كتف بن.

قال: "ماذا لو ذهبنا إلى مكانك المفضل في العالم؟"

سارا أربعة مربعات سكنية حتى الشارع الرئيسي وعبرا الطريق إلى محل حلويات اسمه (سويت توت). كان بعض أطفال المدرسة قد سبقوهما إلى هناك - تجمعات من الأولاد والبنات يلوكون من مئات الجرار الزجاجية المليئة بالعلكة والكرملة وعصي السكر واللبان والطوفي وكرات الحلوى وأزرار الشيكولاتة الملونة واللدائن الملونة بنكهات الفاكهة وعرائس الحلوى المكسوة بالسكر المقلوب والسكر الحامض والساكر وحلوى القرفة الحارقة - مجموعة لا يغيب عنها جانب واحد مما يمكن أن يسوس الأسنان. كان إيثان يعلم أنها -مثلها مثل كل شيء- حُزنت في حالة إرجاء. لكنه لم يستطع أن يتفادى التفكير في أنه لو أمكن لأي شيء أن يبقى دون تغيير لألفي سنة، فلا بد أن تكون كرات الحلوى الصلبة ماركة (جوبريكر) الموجودة في المحل.

انتهى الحال به وبن إلى نضد الشيكولاتة.

لاحت الحلوى المصنوعة منزليًا بكل أشكالها مغرية من تحت الزجاج.

قال إيثان: "اختر ما تشاء."

خرج إيثان وبن إلى الرصيف مسلحين بكوبين من الكاكاو وكيس ورقي مقل بتشكيلة من الحلوى.

كان هذا أرحم وقت في اليوم في وايوارد باينز، مع خروج التلاميذ من المدرسة وامتلاء الشوارع بالضجة الرائعة لضحك الأطفال.

لم تبدُ الحياة قط أكثر حقيقية من هذا.

قال إيثان: "فلنجد مكانًا لنجلس."

قاد ابنه عبر الشارع إلى الدكة القائمة على ناصية الشارعين الرئيسي والتاسع.

جلسا يشربان من كوبي الكاكاو الساخن ويتسليان بالحلوى ويراقبان الناس في مرورهم.

قال إيثان: "أذكر عندما كنت في مثل عمرك. أنت صبي أفضل بكثير مما كنت. أذكي أيضًا."

تطلع الصبي إليه وفتات الحلوى حول فمه.

- حَقًّا؟

بين نظارته وواقيتي أذنيه المتدليتين من قبعة الصيد التي يرتديها، اعتقد إيثان أن ابنه يحمل شبهًا قويًا من شخصية رالف في فيلم (قصة من قصص الكريسماس).<sup>(1)</sup>

- أوه بالطبع، كنت وغدًا صغيرًا، جعجاعًا، ميالًا إلى التمرد دائمًا.

بدا هذا مسليًا بالنسبة إلى بن.

رشف من كوب الكاكاو الساخن.

قال إيثان: "كانت المدرسة مجرد مدرسة، كنا نأخذ واجبات منزلية. اجتماعات الآباء والمعلمين، بطاقات تقريرية."

---

(1) A Christmas Story فيلم كوميدي أمريكي إنتاج عام 1983 ومن كلاسيكيات أفلام عيد الميلاد، يحكيه رالف الرجل عن طفولته عندما كان في التاسعة من عمره عام 1940. (المترجم)

- وما هي البطاقة التقريرية؟
- ورقة توضح درجاتك في الفصل الدراسي، ربما لا تذكر حقًا عندما كنت تذهب إلى المدرسة في سياتل. هذه المدرسة مختلفة قليلًا.
- صار بن يحرق الآن إلى الرصيف تحت قدميه.
- ما الخطب يا بني؟
- ليس من المفترض أن تتحدث عن ذلك.
- قالها بصوتٍ هادئٍ عميق.
- بن، انظر إليّ.
- تطلع إليه الصبي.
- أنا مأمور وايبورد باينز. يمكنني الحديث عن أي شيء أريده بحق الجحيم، هل تفهم؟ أنا أدير هذه البلدة.
- هزَّ الولد رأسه: "لا، أنت لست كذلك."
- عذرًا؟
- والآن كانت عينا بن مليثين بالدموع.
- قال: "لا يمكننا الحديث عن ذلك.."
- أنا أبوك، لا يوجد شيء لا يمكننا الحديث عنه أنا وأنت.
- لست أبي.
- لو اخترق سكين أحشاء إيثنان لكان أهون عليه.
- انحبست أنفاسه.
- رأى العالم فجأة عبر غلالة من الدموع.

بالكاد وجد صوته: "بن؟ عم تتحدث؟"

- لستَ أبي الحقيقي.

- لستُ أبك الحقيقي؟

- أنت لا تفهمني.. ولن تفهمني أبداً.. سأعود إلى البيت.

همَّ بن بالوقوف، لكن إيثار أحاطه بذراعه، وأبقاه على الدكة.

- اتركني!

- من تعتقد أنه أبوك الحقيقي؟

- ليس من المفترض أن أتحدث عن...

- قل لي!

- الشخص الذي يحمينا!

- ممّ يحمينا؟

حملك الصبي في إيثار، وعيناه ممتلئتان بالدموع والمرارة، وقال:  
"الشياطين التي وراء السور."

سأله إيثار: "هل ذهبَ وراء السور؟"

أوماً الصبي برأسه.

- من أخذك إلى هناك؟

لم يُحر جواباً.

- أكان رجلاً قصيراً عجوزاً له رأس حليق وعينان سوداوان؟

لم يرد بن، لكن صمته كان أبلغ رد.

- انظر إليّ يا بني. انظر إليّ. ماذا تعني عندما تقول إنه أبوك؟

- قلت لك. هو يحميننا. هو يوفر لنا احتياجاتنا. خلق كل هذا، كل ما لدينا في وايوارد باينز.
- هذا الرجل ليس الله، إن كان هذا ما...
- لا تقل هذا.

فكر إيثان: إذا لم يكن هناك أي سبب آخر لحرق هذا المكان حتى يتساوى بالأرض، فهذا هو السبب. إنهم يسرقون أطفالنا منا.

- بن، هناك أشياء في هذا العالم صادقة وأشياء هي أكاذيب. هل تنصت إليّ؟ حب أمك وحبني لك - لا يوجد شيء أكثر صدقًا من هذا. هل تحبني؟

- بالطبع أحبك.

- هل تثق بي؟

- نعم.

- هذا الرجل الذي أخذك خارج السور ليس هو الله. إنه أبعد ما يكون عن ذلك. اسمه ديفيد بيلتشر.

- هل تعرفه؟

- أنا أعمل لديه. أراه كل يوم تقريبًا.

فجأة، كانت ميجان فيشر واقفة أمامهما.

لم يسمع إيثان حتى خطواتها.

أتت من العدم.

جثت بحرصٍ على ركبتها في تنورتها الصوفية، ووضعت يدا على

ركبة بن وقالت: "هل كل شيء بخير يا بنجامين؟"

اغتصب إيثان ابتسامة وقال: "نحن بخير يا ميجان. يوم صعب في المدرسة. أنا واثق أنك تعرفين كيف تسير الأمور. لكن لا شيء يصعب على رحلة صغيرة إلى محل سويت تووث أن تصلحه."

- ماذا حدث يا بنجامين؟

كان الصبي يحدق إلى حجره، ويبيكي حرفيًا في كوبه من الكاكاو الساخن.

قال إيثان: "إنها مسألة خاصة."

تراجعت رأس ميجان بحدة لدى سماعها هذه الجملة.

اختفت المضيفة المرححة اللطيفة التي رحبت به هو وتيريزا في بيتها منذ عدة ليال.

قالت: "خاصة؟"

كأنها لم تفهم معنى الكلمة.

كأن بن ابنها هي وإيثان هو من يتجاوز حدوده.

تابعت حديثها: "في مدرسة باينز، نؤمن بالمقاربة المجتمعية للـ.."

- نعم، خاصة. مثل اهتمي بشؤونك الخاصة اللعينة يا مسز فيشر.

النظرة التي على وجهها -صدمة واستياء خالصان- جعلت إيثان واثقًا إلى حد كبير أن أحدًا لم يتحدث إليها بهذه الطريقة من قبل. بالتأكيد ليس منذ استيقظت في وايوارد باينز ونالت هذا المنصب السلطوي.

نهضت ميجان معتدلة وعبست في وجهه بتلك الطريقة التي لا يقدر عليها إلا المعلمون.

قالت: "إنهم أطفالنا يا مستر بيرك."

قال: "عشم إبليس."

عندما اندفعت مبتعدة على الرصيف، انطلق بن منفلتاً من قبضة أبيه وركض ليعبر الشارع.

\*\*\*

قال إيثنان وهو يدخل مكتب المأمور: "مساء الخير يا بليندا."

- مساء الخير أيها المأمور.

لم ترفع ناظريها عن أوراق لعبها.

- أي اتصالات؟

- لا يا سيدي.

- هل مرَّ أي شخص؟

- لا يا سيدي.

نقر بمفاصل أصابعه على مكتبها وهو يمر بها وقال: "آمل أن تكوني في مزاج يسمح ببعض المرح الكبير الليلة."

كان بمقدوره أن يشعر بعينيها عليه وهو يتابع سيره في الردهة نحو مكتبه، لكنه لم ينظر وراءه.

بالداخل، علق قبعته على مشجب المعاطف.

مضى نحو الخزانة، وفتح قفل الباب.

لم يكن قد فتحها إلا مرة واحدة من قبل، وكان تجنبه لها نفسياً محضاً. مثلت الأشياء داخلها أكثر ما كرهه في هذه الوظيفة، وهذه البلدة. ما كان يخشاه منذ يومه الأول.

تدلَّى زي سلفه من مشجب نحاسي.



خلال المهرجان الذي أقيم من أجله شخصياً، لم يلمح المأمور بوب إلا من بعيد، وضاعت تفاصيل زيه وسط خوف إيثنان وهلعه.

عن قرب بدا الزي أشبه بعباءة ملك من ملوك الشياطين.

صُنِعَ من فرو دب بُني، وكانت هناك بطانة فرائية إضافية تحت الكتفين مربوطة عبر الترقوة بسلسلة ثقيلة. تجعد الفراء ذاته في مواضع شك إيثنان أن الدم تناثر عليها والتصق وجفّ. لكن لم يُبدَل أي مجهود لتنظيف الثوب، الذي فاح برائحة نتنة مثل أنفاس نابش الزبالة - رائحة دم متعفن وتحلّل. لكن لا شيء من هذا يباري أوسمة الزينة المعلقة به. خيطة في الفراء قطعة من فروة رأس كل ضيف شرف سابق. سبع وثلاثون قطعة في مجموعها. شابته الأقدم قطعة لحم بقري مقددة، وأحدثها ما زالت شاحبة.

في رفٍّ أعلى العباءة استقرت الخوذة.

تكوّن الجزء الأساسي فيها من جمجمة منحرف. انفتح الفكّان على اتساعهما، وثُبَّتَا على وضعهما بقضبان معدنية، ورُكِّبَ صَفٌّ من القرون في الجزء العلوي من الجمجمة.

رقد سيف وبندقية على رفّين في الحائط، التمعت الماسات الزائفة التي تغطيهما تحت المصابيح المعلقة.

فزع إيثنان عندما رنَّ هاتفه.

واقعة نادرة للغاية.

دخل غرفته، ودار حول مكتبه، والتقط السماعة في الرنة الخامسة.

أجاب: "المأمور بيرك يتحدث".

- هل تعرف من معك؟

رغم أنه كان يتحدث همساً تقريباً، فإن إيثنان ميّز صوت تيد.

قال: "نعم. كيف عرفت أني هنا؟"

- كيف برأيك؟

طبعًا - كان تيد يراقبه من حجرة المراقبة داخل الجبل.

سأله إيثان: "هل نحن في مأمن بالحديث هكذا؟"

- ليس لوقتٍ طويل.

- هل سيكتشفون؟

- بعد وقتٍ طويل. السؤال هو: هل سيكون هذا مهمًا عندما يعرفون؟

- ماذا يعني هذا بالضبط؟

- وجدته.

- وجدت ماذا؟

- ذلك الشيء الذي كنا نبحث عنه. كان مدفونًا، مخفيًا في مكان عميق، لكن لا شيء يمكن محوه فعليًا.

- و؟

- ليس في الهاتف. هل يمكنك أن تقابلني في المشرفة بعد عشرين دقيقة؟

- طبعًا.

- دخل دكتور مايتز القسم عندك للتو. من الأفضل أن تبدأ في التحرك.

سمع إيثان أصواتًا في الخلفية، والحركة المفاجئة لإغلاق تيد هاتفه.

رَنَّ الهاتف مرة أخرى لحظة وضع إيثان السماعة مكانها.

قال: "أهلاً بليندا.."

- أيها المأمور، يوجد شخص اسمه دكتور مايتر هنا لمقابلتك.

ليعيد وضع رقاقتي المجهريّة.

- أنا مشغول بشيء ما. هل يمكنك أن تعدي له فنجاناً من

القهوة وترشديه إلى منطقة الانتظار؟

- نعم يا سيدي.

فتح إيثان درج مكتبه الأسفل على اليسار، وأخرج حزامه الجلدي

وجرابه، وربطهما حول خصره.

التفت إلى خزانات السلاح، وفتح قفل أبواب ودرج الخزانة الوسطى.

من الدرج أخرج مسدس طراز (ديزيرت إيجل)، ألقمه خزانته،

ووضعه في جرابه.

ثم تناول بندقية موديل 389 - مقبض مموّه وماسورة من الصلب

المزرق ومنظار بمقياس 32x4.

رنّ هاتفه مرة أخرى.

رفع السماعة.

- نعم يا بليندا؟

- إمم، دكتور مايتر لا يرغب حقاً في الانتظار أكثر من ذلك.

- طيب لا يرغب في الانتظار.. هل ترين المفارقة في المسألة يا

بليندا؟

- معذرة سيدي؟

- سأخرج حالاً.

أغلق إيثنان الهاتف، وتحرك إلى النافذة المجاورة لخزانة السلاح. كانت نافذة جرارة. أدار المقابض، وفتح النافذة كلها، وأخرج الحاجز السلبي بأكمله من الإطار.

صعد بصعوبة على حافة النافذة، وتدلى وراء صف من الشجيرات التي اصطفت أمام المبنى.

شق طريقه عبر الغصون المتشابكة وهرول نحو الشارع.

كان قد قاد سيارته البرونكو إلى العمل هذا الصباح. فتح مقعد السائق ودس البندقية في مشجب السلاح.

عندما أدار المحرك، سمع الهاتف في مكتبه يرن مرة أخرى عبر النافذة المفتوحة.

\*\*\*

أوقف إيثنان سيارته في مساحة انتظار فارغة بالشارع الرئيسي وسار إلى الواجهة الزجاجية لمحل (كنوز خشبية).

كانت كيت جالسة خلف ماكينة النقود، تحدد بنوع من التركيز الضجر الفارغ في اللاشيء. لا بد أن الانتقال من فسحة الحرية الرائعة ليلة أمس عودةً إلى العبودية اليومية التي تمثل الحياة في وايوارد باينز كان شيئاً قاتلاً؛ هكذا فكر إيثنان. تذكر الأيام التالية على حفلاتهما السرية التي كانت مليئة بدوار السكر وحافة الواقع الخسنة. تذكر ما كانت عليه حياتهما حقاً.

طرق إيثنان على الزجاج.

\*\*\*

جلسا على الدكة القائمة في ناصية الشارعين الرئيسي والتاسع.

كان وسط البلدة قد خلا تمامًا.

لم يعد يبدو حقيقياً على الإطلاق.

لعله يصلح أن يكون موقع فيلم بعد توقف الإنتاج.

كان الضوء قد بدأ يخبو بالفعل وانزلقت الشمس خلف جدار الصخور الغربي.

قال إيثان: "نحن في مأمن بالحديث هنا.."

قالت كيت: "تبدو في حالة فظيعة، هل نمت؟"

- لا.

- ما الخطب؟

- أحتاج إلى معرفة كيفية الوصول إلى النفق تحت السور.

- لماذا؟

- لا وقت للشرح. هل ذهبتِ إليه؟

- مرة. منذ سنوات.

- هل ذهبتِ عبره إلى الجانب الآخر؟

هزت رأسها.

- لماذا؟

- خفت.

- كيف أجده يا كيت؟

- ثمة جذع صنوبرة ميتة كبيرة. في طولك. أكبر من أي شيء

قربه. إذا كان ما زال قائماً، لا يمكنك أن تخطئه. الباب المؤدي

إلى النفق بجواره تماماً، في أرض الغابة. سيكون مغطى بنصال

السنوبر. لا أعتقد أن أحدًا ذهب إلى الجانب الآخر منذ زمن بعيد بعيد.

- هل هو موصل بقفل؟

- لا أعرف.. ماذا يحدث يا إيثان؟

حدّق فيها.

أراد أن يخبرها.

أراد أن يحذرها.

قال: "سيكون عليك فقط أن تثقي بي."

\*\*\*

صفّ إيثان سيارته بعيدًا عن الأنظار في زقاق خلف المستشفى.

تسلّل عبر أحد أبواب الخدمات الخلفية.

بدا الطابق الأرضي في صمت تام.

استخدم السلم للنزول إلى القبو وخرج إلى تقاطع أربعة ممرات خالية، وتوجه نحو الأبواب المزدوجة عديمة النوافذ عند نهاية الجناح الشرقي.

كانت ألواح إضاءة الفلورسنت القليلة الأخيرة قرب المشرحة مطفأة.

وصل الأبواب في شبه عتمة.

دفعها ودخل.

وقف تيد عند طاولة التشريح وقد وضع عليها حاسوبًا محمولًا مفتوحًا.

سار إيثان نحوه بينما الأبواب تنغلق خلفه.

قال بهدوء: "هل حديثنا هنا آمن؟"

- أغلقت كاميرات المراقبة الخاصة بالمستوى تحت الأرضي الخاص بالمستشفى.

ثم نظر إلى ساعته وقال: "لكنها ستبقى في وضع الخمود لمدة عشر دقائق أخرى فقط."

- أين بام؟

- بالطابق العلوي في جلسة علاج نفسي.

دار إيثان حول الطاولة المتوهجة، ووقف بجوار تيد.

ألقي نظرة على الخزانات الباردة، والحوض، وميزان الأعضاء. كان تيد قد أمال مصباح الفحص بعيدًا عن الطاولة، فأشعل ركنًا واحدًا بضوء ساطع وترك بقية المشرحة في الظلال.

أصبح الحاسوب المحمول جاهزًا للتشغيل.

نقر تيد اسم المستخدم وكلمة المرور الخاصين به.

تساءل إيثان: "لماذا هنا؟"

- معذرة؟

- لماذا أردت أن نتقابل هنا؟

أشار تيد إلى الشاشة.

دارت اللقطة.

جودة عالية الدقة.

من زاوية في السقف، صُوبت كاميرا إلى أليسًا بالأسفل.

قال إيثان: "اللعنة!"

مكتبة

t.me/soramnqraa

كانت مقيدة بأحزمة جلدية سميكة إلى طاولة تشریح.

إلى طاولة التشریح تلك.

تساءل إيثان: "لا صوت؟"

- لم أجد الوقت للعثور عليه. وثق بي، ستكون سعيدًا لهذا.

كانت أليسا تصرخ بشيء ما.

ورأسها مرفوع عن الطاولة.

كل عضلة فيها مشدودة.

ظهرت بام.

أمسكت بشعر أليسا وضربت رأسها في الطاولة المعدنية بشدة.

دخل ديفيد بيلتشر في الكادر.

وضع سكينًا صغيرًا على سطح الطاولة المعدنية وصعد فوق الطاولة.

جلس مفرشح الساقين على ساقى ابنته.

رفع السكين.

تحركت شفتاه.

ردت عليه أليسا بشيء ما صارخة بينما تمسك بام رأسها في موضعه.

زَمَّ بيلتشر شفتيه.

مال رأسه إلى جانب.

لم يبدُ غاضبًا.

لم يبدُ على وجهه أي تعبير وهو يطعن ابنته في بطنها.



تراجع إيثان مسمئراً.

سحب بيلتشر النصل بينما تلوت أليسا رغم القيود.

بدأ دم أسود يتجمع في بركة فوق طاولة التشريح.

تحركت شفتا بيلتشر مرة أخرى بينما يستحيل وجه أليسا إلى كتلة من العذاب، وعندما رفع السكين من أجل ضربة أخرى، التفت إيثان بعيداً.

شعر بالغيثان، وابتلع ريقه الذي اكتسب طعم الحديد في مؤخرة حلقه.

- أعتقد أنني أخذت فكرة.

مال تيد ونقر على الحاسوب.

أظلمت الشاشة على نحو رحيم.

قال تيد: "ويستمر الحال على هذا المنوال، مرة بعد مرة بعد مرة." مرة.

أحس إيثان بالرجفة مما رآه.

تذكر كل هذه الثقوب السوداء التي رآها في جسد أليسا ذلك اليوم في المشرحة.

قال: "إذن تلك الليلة، بعد أن افترقت أليسا وكيث، سارت بام وراء أليسا، وأنزلتها بطريقة ما هنا في القبو. ربما كان بيلتشر ينتظرهما بالفعل، وربما جاء بعدهما. عندما فحصت جثتها منذ عدة أيام في هذه المشرحة، تساءلت كيف ولماذا جرت تصفية دماها. أين قُتلت..."

- وكنت واقفاً في مسرح الجريمة.

حدّق إيثان في البالوعة تحت حذائه.

- هل لديك نسخة من هذه اللقطات يا تيد؟

- صنعت عدة نسخ.

مد تيد يده في جيبه وأخرج شريحة ذاكرة في حجم ظفر إصبع: "هذه من أجلك. لن تشتغل على أي جهاز في البلدة، لكن في حالة أن حدث شيء لي ولبقية النسخ من هذه اللقطات، احفظها في مكان آمن."

وضع إيثنان الشريحة في جيبه.

نظر تيد إلى ساعته: "أمامنا بضع دقائق أخرى ومن الأفضل أن نرحل. ماذا الآن؟ فكرت فقط في بث هذه اللقطات على كل شاشة في الجبل."

- لا، لا تفعل ذلك. عُد إلى العمل. استمر كأن شيئاً لم يحدث.

- سمعت أنه سيقام مهرجان الليلة لآل بالينجر. انتشر الكلام بالفعل في الجبل أنهما مسؤولان عن مقتل أليسا. ماذا ستفعل؟

- لديّ شيء في ذهني، لكنني لم أخبر أحداً.

- إذن هل أبقى مستعداً فقط.

- نعم.

- حسناً.

ألقي تيد نظرة أخيرة على ساعته وقال: "من الأفضل أن نتحرك. ستستيقظ الكاميرات بعد ستين ثانية."

\*\*\*

كانت الساعة الرابعة عصرًا عندما وصل إيثان إلى منحى الطريق عند نهاية البلدة. أبطأ سرعته، وقاد السيارة ذات الدفع الرباعي محاذة الضفة إلى داخل الغابة.

كانت الأرض ناعمة وبقيت بقع من الثلج في الظل بين أشجار الصنوبر.

كانت مسيرة بطيئة.

بدا أن نصف ميل سيستغرق أمدًا طويلًا.

لمح أول برج عبر الزجاج الأمامي، وعندما اقترب، تجسّدت الكابلات، ثم لفّات السلك الشائك على طول السور العلوي.

أوقف السيارة على مبعده ثلاثين ياردة.

كان الظلام يتطلب إشعال الأضواء الأمامية، لكنه لم يرد أن يجازف بإضاءتها.

في مجلسه خلف عجلة القيادة بينما يهدأ صوت المحرك، لم يستطع الفرار مما يثيره مرأى هذا الشيء من خوف.

مجرد بعض الفولاذ والتيار الكهربائي.

وبالنظر إلى كل ما هو متوقع منه أن يمنعه عن واوارد باينز، وما هو مقصود به أن يبقيه آمنًا، بدا شديد الهشاشة.

لا يمكن أن يتخيل المرء أنه كل ما يحول بين البشرية وبين الانقراض.

\*\*\*

كانت كيت على حق.

لم يكن من الممكن أن يخطئ الجذع.

من بعيد، بدا أشبه بدبّ فضي هائل، يقف على قائمته الخلفتين،  
والغصون الميئة الملتوية قرب القمة مرفوعة مثل مخالِب مشرعة.  
ذلك النوع من الأشكال الشريرة التي يمكنها في الغسق أن تفرع المرء  
حين يراها في البداية.

أوقف إيثن السيارة بجانبه.

جذب البندقية.

خطا على أرضية الغابة.

كان الظلام يحل بسرعة أكبر مما يجب.

تردد صدى انغلاق باب السيارة عبر الغابة.

ثم ساد الصمت.

دار حول الجذع.

لم يكن هناك أي جليد هنا، مجرد غطاء من نصال الصنوبر  
المضغوطة، ولا شيء يشير إلى وجود باب.

فتح النافذة الخلفية من السيارة وأنزل الباب الخلفي.

جذب الجاروف وحقيبة الظهر.

\*\*\*

بعد نصف ساعة من الحفر، اصطدمت رأس الجاروف بشيء صلب.  
ألقي الجاروف جانبًا، وخرَّ على ركبتيه، واستخدم يديه لإزاحة بقية  
نصال الصنوبر - ما يساوي عامين، وربما ثلاثة أعوام، من التراكم.

كان الباب مصنوعًا من الفولاذ.

عرضه ثلاثة أقدام، وطوله أربعة أقدام، منغرس في الأرض.

كان المقبض مربوطًا بقفل إلى حلقة مستديرة، وقد جعلته سنوات  
من المطر والجليد يصدأ حدًّا النسيان.  
ضربة شديدة من الجاروف كسرت القفل.  
وضع حقيبة الظهر على كتفه.  
عَمَّر البندقية.  
علَّقها على ذراعه اليمنى.  
جذب المسدس الكبير وحشا خزائنه بخرطوشة رصاص مجوف  
عيار 50.  
صرَّت مفاصل الباب مثل أظافر تهبط على سبورة سوداء.  
سواد دامس في الداخل.  
رائحة التراب الرطب المميزة للأقبية والسراديب.  
جذب إيثنان الكشاف اليدوي من حزامه، وأضاءه، وأمسكه مع  
المسدس.  
ثمة درجات منحوتة في الأرض.  
هبط إيثنان بحرص.  
بعد تسع درجات، وصل إلى القاع.  
أظهر شعاع الضوء معبرًا صنِّع له إطار ودعامات من الخشب  
عرضها أربع بوصات وسمكها أربع بوصات كذلك.  
بدا البناء مؤقتًا ومتسرِّعًا لا يوحى بالثقة.  
سار إيثنان تحت جذور الشجر والصخور المغروزة في التراب.  
بدا أن الجدران تضيق في المنتصف، وكتفاه تحتكان بها، واضطر إلى  
أن يسير مثل شخص أحذب حتى لا تحتك رأسه بالسقف.

في منتصف الطريق، ظن أنه سمع طنين السياج عبر الأرض،  
ظن أنه يحس بتنميل في جذور شعره بسبب قربه من ذلك التيار  
الكهربائي الهائل أعلى رأسه مباشرةً.

أحس بضيق في صدره، كأن رثيته تتقلصان، لكنه عرف أن هذه  
ردة فعل نفسية جسدية محضة للتحرك عبر هذا المكان تحت الأرض.

ثم وجد نفسه واقفًا عند آخر درجة في مجموعة أخرى من  
الدرجات الترايبية، وسقط نور كشافه عندما رفعه إلى أعلى فوق باب  
فولاذي آخر. كان بمقدوره أن يعود، يأتي بالجاروف، ويوجه إليه ضربة  
عنيفة خرقاء.

لكنه بدلًا من ذلك سحب مسدسه، وصوّب بتركيزٍ على القفل  
الصدئ.

أخذ نفسًا عميقًا.

أطلق النار.

\*\*\*

بعد ساعة، أغلق إيثان الباب الخلفى للسيارة.

أعاد البندقية إلى مشجب السلاح.

تمدّد قليلاً على غطاء المحرك، والعرق يحرق عينيه.

كان الضوء هنا في عتمة الغابة قد غاب تقريبًا.

ساد هدوء شديد حتى صار بمقدوره أن يسمع دقات قلبه على  
المعدن.

عندما استطاع أن يتنفس بشكل طبيعي مرة أخرى، نهض.

كان يشعر بالسخونة، لكن الآن شعر بالعرق نديًا ورطبًا يبعث القشعريرة في جلده.

- ماذا تفعل بحق الجحيم؟

التفت إيثنان.

وقفت بام تسترق النظر عبر الزجاج المظلل إلى داخل خلفية السيارة، كأنها تجسدت من العدم.

ارتدت بنطالًا جينز أزرق ضيقًا أظهر قوامها وفانلة حمراء تعلقو السرة، وقد شدت شعرها إلى الورا في ذيل حصان.

تفحص إيثنان خصرها المشدود.

لم تكن مسلحة بقدر ما استطاع أن يرى إلا إذا كانت تضع شيئًا مدمجًا في جيبها الصغير في مؤخرة الجينز.

- هل تتفحصني أيها المأمور؟

- هل معك سلاح؟

- أوه صحيح، هذا هو السبب الوحيد الذي يجعلك تحدق إلى مفاتيحي.

رفعت بام ذراعيها أعلى رأسها مثل راقصة باليه، ووقفت على أطراف حذائها الرياضي، وقامت بلفة صغيرة.

لم تكن تحمل سلاحًا.

قالت: "أترى؟ لا شيء في هذا الجينز إلا العبدة الفقيرة إلى الله."

جذب إيثنان المسدس من جرابه، وأبقاه إلى جانبه.

يا إلهي! إنه فارغ.

- هذا مسدس كبير أيها المأمور. وأنت تعرف ما يقولونه عن الأشخاص ذوي المسدسات الكبيرة.
- إنه مسدس ديزيرت إيجل.
- عيار خمسين؟
- صحيح.
- يمكنك أن تقتل دُبًّا أشيب بهذا الوحش.
- قال إيثان: "أعرف ما فعلته باليسا، أعرف أنك وبيلتشر الفاعلان. لماذا؟"

غامرت بام بخطوة نحوه.

بينهما ثمانية أقدام.

قالت: "هذا مثير للاهتمام."

- ماذا؟

- لقد ضيقت الآن المسافة بيننا. خطوتان -خطوتان كبيرتان- ويمكنني أن أكون تقريبًا في حيزك الشخصي، ومع ذلك أنت حتى لم تهددني.

- ربما أريدك في حيزي الشخصي.

- لقد قدمت نفسي لك وأنت تفضّل مضاجعة زوجتك. ما يزعجني، ما يمثّل لي مشكلة لو شئت القول، هو أنك براجماتي.

- لا أستطيع متابعتك..

لكنه كان يتابعها.

- رجل قليل الكلام وهراؤه أقل. أحد الأشياء فيك التي تجعلني أريدك. سوف أخمن وأقول إنه لو كانت هناك أي رصاصات



في ذلك المسدس، لصوبته إليّ أول ما رأيتني وأرديتني على الفور. أقصد أن هذه هي حركتك الوحيدة فعلاً عند هذه النقطة، صحيح؟ هل أنا على حق؟

أخذت خطوة أخرى في اتجاهه.

قال إيثان: "هناك شيء آخر لم تضعيه في اعتبارك".

- أوه؟

- ربما أريدك في حيزي الشخصي لسببٍ آخر.

- وماذا قد يكون؟

خطوة أخرى.

أصبح بمقدوره أن يشم رائحتها الآن. الشامبو الذي استخدمته هذا الصباح.

أنفاسها التي تفوح برائحة النعناع.

قال إيثان: "إطلاق النار شيء لا عاطفة فيه، ربما بدلاً من ذلك، أريد أن أثبتك أرضاً وأضربك حتى الموت بيدي العاريتين".

ابتسمت بام: "واتتك هذه الفرصة من قبل".

- أذكر.

- كان لديك امتياز البدء بالهجوم. لم يكن قتالاً عادلاً.

- بالنسبة إلى من؟ كنت مخدراً بحق اللعنة!

رفع إيثان المسدس وصوبه إلى وجهها.

قالت: "ذلك ثقب كبير في طرف ذلك المسدس".

رفع إيثان صمام الأمان.

للحظة بدا التردد في عينيها.

رمشت.

قال إيثان: "فكري طويلاً وبشدة. من بين كل اللحظات التي مررت بها، هل هذه هي اللحظة التي تريد أن تكون هي لحظتك الأخيرة؟ لأنها تتوجه بسرعة إلى هذا الاتجاه."

كانت مذبذبة.

ليس ما في عينيها هو الخوف بالضبط، بل انعدام اليقين.

ازدراء لموقفٍ لا تتحكم فيه.

ثم انقضى كل هذا.

عاد إليها ذلك العزم الفولاذي.

التوت شفتها في ابتسامة متكلفة.

لديها الشجاعة، لا سبيل للالتفاف حول تلك الحقيقة. وهي على وشك أن تكشف خداعه بتحديدها ذلك.

عندما انفتح فمها، ضغط إيثان الزناد.

اصطكت المطرقة بالقادح.

جفلت بام - دام لجزء من الثانية ذلك الشك في الذات المتسائل:  
هل أنا ميتة؟

أدار إيثان المسدس في يده، وقبض على ماسورته، وألقاه بكل قوته:  
4.5 رطلاً من الفولاذ الإسرائيلي الصنع في مسار تصادمي مع جمجمتها،  
وكان ليحطمها لولا أن انحنى بام في اللحظة الأخيرة.

وإذ مال إيثان جانباً بفعل قوة الدفع بعد رميته، عاجلته بلكمة  
خطافية في كليتته بقوة مذهلة ومباشرة حتى إنها أسقطته على ركبتيه،  
وانفجرت دفعة زاعقة من الألم الحارق عبر أسفل ظهره، وقبل أن  
يتمكّن حتى من تقييم ذلك الألم كاملاً، لكتمته في حلقه.

سقط على الأرض، وجهه في طين الغابة، والعالم معوّج، وهو يتساءل إن كانت قد حطمت قصبته الهوائية لأنه لا يستطيع أن يلتقط أنفاسه.

جلست بام القرفصاء أمامه.

قالت: "لا تقل لي إن الأمر بهذه السهولة. أتعرف؟ تصورت كل هذا في عقلي. لكنّ ضربتين فقط يجعلانك تختنق على الأرض مثل عاهرة صغيرة؟"

كان يشعر بزحف الإغماء عليه، ورؤيته تشتعل بالألعاب النارية مع حرمانه من الأكسجين.

هناك.

أخيراً.

تماماً على أعتاب الهلع الخارج عن السيطرة، لاح شيء ما.

انزلق خيط من الهواء الثمين في حلقة.

حاول ألا يكشف ذلك.

جعل عينيه تجحطان وهو يقترب رويداً بيده من جيبه الخلفي.

السكين.

- بينما ترقد هناك مختنقاً، أريدك أن تعلم شيئاً.

أعمل إيثنان إبهامه في ثقب النصل.

- أيّاً كان ما تحاول أن تصنعه، فقد فشلت، وتيريزا وبين...

أخرج صوتاً مغرغراً مختنقاً جعل بام تبتسم.

- ما سأفعله بهما سيجعل ما فعلته بأليسا يبدو أشبه بيوم في

منتجع صحي.

فتح النصل ودفعه مباشرةً في ساق بام.

كان حادًا للغاية، ولم يعرف أنه صوبه تصويبًا جيدًا إلا عندما شهقت.

أدار معصمه، وأدار النصل.

صرخت بام وانتفضت متراجعة بعيدًا عنه.

صبغ الدم بنطالها الجينز بلون داكن، وجرى سائلًا على حذائها،  
إلى نصال الصنوبر على الأرض.

جاهد إيثان كي يعتدل جالسًا.

وقف على قدميه متألمًا.

كانت كُليته تنبض لكنه على الأقل يستطيع التنفس من جديد.

كانت بام تجر جر جسدها بعيدًا عنه بساقها السليمة، وهي تفحُّ  
قائلة: "أنت ميت! أنت ميت لعين!"

التقط المسدس وتبعها.

وبينما هي مستمرة في الصراخ فيه، انحنى وهبط بالمسدس الثقيل  
على مؤخرة رأسها.

عاد الصمت إلى الغابة من جديد.

كان المساء قد كسا السماء بلون أزرق داكن.

وكان متعبًا.

متعبًا تمامًا.

كم المدة التي يمكن أن تبقى فيها بام (غائبة دون عذر) قبل أن  
يرسل بيلتشر فريق بحث؟ انس ذلك. لن يكون هناك بحث حتى.  
سيتتبع رقاقتها ويأتي إلى السور مباشرة.

إلا إذا...

بالسكين، قطع إيثان رقعة كبيرة من جينز بام، كاشفاً مؤخرة  
ساقها اليسرى.

من المخزي ألا تكون واعية بهذا.

# 21

مجمع البنية الفوقية  
وايوارد باينز، آيداهو  
ليلة رأس السنة، 2013

أغلق بيلتشر أبواب مكتبه خلفه.  
دائخ.

يفيض بالطاقة فعلياً.

مرّ بجوار الماكيت المعماري المصغر لوايوارد باينز المستقبلية، فتح  
الخزانة، حيث تدلت بدلة سهرة جديدة من المشجب.

- ديفيد؟

التفت، وابتسم.

- حبيبتي، لم أرك هنا.
- جلست زوجته على إحدى الأرائك التي تواجه حائط الشاشات.
- بدأ يفك أزارا قميصه وهو يسير نحوها.
- قال: "ظننتك انتهيت من ارتداء ملابسك قبل قليل."
- تعال اجلس معي يا ديف.
- جلس بيلتشر بجوارها على الجلد الوثير.
- وضعت يدها على ركبته.
- قالت: "ليلة كبيرة.."
- هل يوجد ما هو أكبر من ذلك؟
- أنا سعيدة حقًا من أجلك. لقد فعلتها.
- فعلناها. من دونك، أنا...
- اسمع فقط.
- ما الخطب؟
- فاضت الدموع في عينيها وهي تقول: "لقد قررت البقاء."
- البقاء؟
- أريد أن أرى نهاية قصتي في الحاضر.. في هذا العالم.
- عمّ تتحدثين؟
- من فضلك لا ترفع صوتك عليّ.
- لم أرفعه، أنا فقط... الليلة، من بين كل الليالي، تختارين أن تخبريني بهذا. منذ متى تشعرين بهذا الإحساس؟
- فترة. لم أريد أن أحبطك. في مرات كثيرة جدًا كدت أقول شيئًا.

- هل أنت خائفة؟ أهذا هو الأمر؟ اسمعي، هذا طبيعي تمامًا.

- ليس هذا هو الأمر.

تراجع بليتشر متكئًا على المسند وحدّق إلى الشاشات الخالية.

قال: "لقد كانت حياتنا بأكملها معًا تتوجه نحو الليلة. كانت كلها تتعلق بهذه الليلة. والآن تبتعدين عنها؟"

- أنا آسفة.

- هذا يعني أنك تبتعدين عن ابنتك.

- لا، لا يعني هذا.

حدّق فيها: "كيف لا يعني هذا؟ فسري لي هذا."

- أليسا في العاشرة من عمرها. اقتربت من دخول المدرسة الإعدادية. لا أريد أن تكون رقصتها الأولى في هذه البلدة التي لم تُبنَ حتى، بعد ألفي عام من الآن. قُبلتها الأولى. الجامعة. مشاهدة العالم. ماذا سيحدث لهذه اللحظات؟

- ما زال في إمكانها أن تحظى بها. حسنًا، ببعضها.

- لقد ضحت بالفعل كثيرًا جدًا منذ انتقلنا إلى مجمع البنية الفوقية. حياتها، وحياتي، هنا والآن، وأنت لا تعرف ما يحمله المستقبل. أنت لا تعرف كيف سيكون هذا العالم عندما تخرج من حالة الإرجاء.

- إليزابيث، لقد عرفتني طوال خمسة وعشرين عامًا. هل فعلتُ أو قلتُ شيئًا أبدًا يمكن أن يقودك إلى الاعتقاد بأني سأسمح لك بأخذ ابنتي مني؟

- ديفيد.

- من فضلك أجيبي فقط على هذا.



- ليس عدلاً بالنسبة إليها.
- ليس عدلاً؟ ستنال فرصة لم يحظ بها أي مخلوق بشري. أن ترى المستقبل.
- أريدها أن تحظى بحياة طبيعية يا ديفيد.
- أين هي؟
- ماذا؟
- حالاً. أين ابنتي؟
- في غرفتها، تحزم حقيبتها. سنبقى حتى ينقضي الحفل.
- أدهشه اليأس في صوته: "من فضلك، كيف تتوقعين مني أن أفترق عن ابنتي..."
- صرخت في ومضة من غضب مكبوت: "أوه، كفاك بحق اللعنة! إنها تعرفك بالكاد في الحقيقة."
- إليزابيث...
- أنا أعرفك بالكاد في الحقيقة. دعنا لا نتظاهر بأن هذا لم يكن هو هوسك. حبك الأول. ليس أنا. ولا أليسا.
- هذا ليس صحيحاً.
- لقد استهلكك هذا المشروع. شاهدتك طوال السنوات الخمس الماضية تتحوّل إلى شيء بغيض للغاية. لقد تجاوزت أكثر مما يمكن أن يوصف بخطوطٍ قليلة، وأتساءل إن كنت حتى تعرف تمام المعرفة ما أصبحت عليه.
- لقد فعلت ما كان يجب عليّ أن أفعله كي أصل إلى الليلة. لا أقدم أي اعتذارات. قلت من البداية أنه لا شيء سيوقفني.

- حسنًا، آمل أن يستحق الأمر هذا في النهاية.

- من فضلك لا تفعل هذا. يجب أن تكون هذه أعظم ليلة في حياتي، في حياتنا. أريدك هناك على الجانب الآخر عندما نستيقظ كلنا.

- لا يمكنني أن أفعل ذلك.. آسفة.

أخذ بيلتشر نفسًا طويلاً، وأخرجه في بطنه.

قال: "لا بد أن هذا كان صعبًا عليك."

- لا فكرة لديك.

- ستبقين على الأقل حتى ينقضي الحفل؟

- طبعًا.

مال وطبع قبلة على وجنتها.

لم يستطع أن يذكر آخر مرة فعل فيها هذا.

قال: "ينبغي لي أن أتحدث إلى أليسا.."

- بعد الحفل، سنتبادل الوداع.

نهضت.

فستان شانيل رمادي.

شعر فضي مموج.

راقبها وهي تسير برشاقة نحو الأبواب المصنوعة من خشب البلوط.

عندما خرجت، ذهب بيلتشر إلى مكتبه.

رفع الهاتف.

اتصل.

رد أرنولد بوب بعد أول رنة.

\*\*\*

كانت لتغدو أفضل شامبانيا تذوقها هاسلر في حياته لو استطاع أن يمنحها حقها من التقدير، لكن التوتر كان قد اعتراه.

هذا المكان ليس حقيقياً.

قيل إن استكمال حفر الأنفاق والنسف والتنقيب استغرق اثنين وثلاثين عاماً. لا بد أن التكلفة تجاوزت خمسين ملياراً. كان يمكن لذلك المستودع الكهفي أن يستوعب أسطولاً كاملاً من طائرات البوينج 747، لكن هاسلر حدس أن المبلغ الأكبر من المال أنفق داخل القاعة التي يقف فيها الآن.

كانت في حجم متجر بقالة.

قامت مئات من الوحدات في حجم ثلاثة المشروبات تفحُّ وتصفرُّ ممتدة إلى الورااء بقدر ما استطاع أن يرى. نفث بعضها غازاً أبيض، وحلق البخار أعلى الأرضية بعشرة أقدام. كان الأمر أشبه بالسير عبر ضباب بارد أزرق. السقف غير مرئي. الهواء البارد صافٍ ومُتأين.

- أتود أن تراها يا آدم؟

أفزعته الصوت.

التفت هاسلر ليوواجه بيلتشر.

بدا الرجل أنيقاً في حلة سهرة قشبية، وهو يمسك في يده بكأس شامبانيا.

قال هاسلر: "نعم.."

- من هذا الطريق.

قاده بيلتشر عبر ممرً طويل نحو نهاية القاعة، ثم بمحاذاة ممر آخر من الماكينات.

قال: "ها نحن ذا.."

كانت هناك لوحة مفاتيح وقياسات وقراءات ولوحة اسم رقمية:

تيريزا لايدن بيرك

تاريخ الإجراء: 19/12/2013

سياتل، واشنطن

في واجهة الماكينة ارتسم لوح سميك من الزجاج بعرض بوصتين.

من خلاله رأى رملاً أسود ورقعة من جلد - وجنة تيريزا.

لمس هاسلر الزجاج بشكل لا إرادي.

قال بيلتشر: "نحن على وشك الانطلاق.."

تساءل هاسلر: "أهي تحلم؟"

- لا تشير أي من اختباراتنا -وقد أجرينا الكثير منها- إلى وجود أي

مستوى من الوعي خلال الإجراء. لا يوجد أي نشاط لموجات

المخ. أطول فترة أخضعنا فيها أيًا من موضوعات اختباراتنا

للإجراء كانت تسعة عشر شهرًا. لم يذكر أحد أي إحساس

بالوقت بينما كانوا نائمين.

- إذن الأمر يشبه انطفاء زر إضاءة؟

- شيء من هذا القبيل. هل واتفك فرصة كي تقرأ المذكرة

الموجودة في غرفتك؟ حصل الجميع على واحدة.

- لا، أنهيت للتو الاختبار الطبي وجئت إلى هنا مباشرةً.

- آه، طيب، ستقابلك بعض المفاجآت.

- هل سيخضع كل أفراد فريقك للإجراء الليلة؟

- جرى اختيار مجموعة صغيرة كي تبقى خلفنا طوال العشرين عامًا القادمة. سيستمرون في تجميع المون. ويتأكدون من حصولنا على أحدث تكنولوجيا. يستكملون بعض الجوانب غير المنتهية.

- لكنك ستخضع للإجراء.

ضحك بيلتشر وقال: "طبعًا. أنا لن أصبح أصغر عمرًا. أفضل أن أودع ما تبقى لي من عمر في العالم القادم. يجب أن نعود إلى هناك في الخارج."

تبعه هاسلر خارجين إلى المغارة.

كان أتباع بيلتشر في الانتظار - والجميع في كامل أناقتهم.

الرجال في بدلات سهرة، والنساء في فساتين سوداء قصيرة وعارية الأكتاف.

صعد بيلتشر على صندوق وتطلع إلى الجمع.

ابتسم.

في ضوء مصباح عملاق تدلى من كابل في الصخر بالأعلى، ظن هاسلر أنه رأى عيني بيلتشر تترقرقان بالعاطفة.

قال: "الليلة نصل إلى نهاية رحلة استغرقت اثنين وثلاثين عامًا. لكنها مثل كل النهايات، بداية أيضًا. بينما نودع العالم الذي نعرفه، نتطلع إلى العالم القادم. العالم الذي ينتظرنا، بعد ألفي عام من الآن. أنا متشوق. وأعرف أنكم كذلك. وربما تكونون أيضًا خائفين، لكن هذا حسن. الخوف يعني أنكم أحياء. تجتازون الحدود. لا توجد مغامرة

بلا خوف، ونحن يا إلهي!.. جميعنا على حافة مغامرة جهنمية." رفع كأسه وتابع: "أود أن أقترح نخبًا. لكل واحد منكم يا من قطعتم كل هذه المسافة معي وعلى وشك أن تقوموا بهذه القفزة الأخيرة التي تتطلب الإيمان والثقة. أعدكم: ستنتفتح المظلات." ترددت ضحكات عصبية بين الجمع. "أشكركم. أشكركم على ثققتكم. على عملكم. على صداقتكم. نخبكم."

شرب بيلتشر.

شرب الجميع.

بدأت راحتا هاسلر تتعرقان.

ألقي بيلتشر نظرة على ساعته.

- الساعة الحادية عشرة مساء. حان الوقت يا أصدقاء.

ناول بيلتشر كأس الشامبانيا إلى بام. فك ربطة عنقه التي على شكل فراشة وألقى بها بعيدًا. خلع سترته وألقاها على الصخر. بدأ الناس يصفقون. أنزل حمالتي البنطلون وفك أزرار قميصه ذا الطيات في صدره.

كان الآخرون قد بدؤوا في خلع ملابسهم.

أرنولد بوب.

بام.

كل الرجال والنساء بالقرب من هاسلر.

أصبحت المغارة هادئة.

لا شيء إلا صوت انزلاق الملابس وسقوطها على الأرض.

قال هاسلر لنفسه: ما هذا بحق الجحيم؟

لكن بعد قليل، إن لم ينضم إليهم، سيغدو الشخص الوحيد الذي يرتدي ثيابه في القاعة، وبشكل ما بدا هذا أسوأ من خلع الثياب وسط أشخاص غرباء تمامًا.

نزع ربطة عنقه التي على شكل فراشة وحذا حذوهم.

خلال دقيقتين، وقف مائة وعشرون شخصًا عراة في المغارة.

من فوق منصته قال بيلتشر: "أعتذر لكم عن البرد. لم يكن من الممكن تجنب ذلك. وأخشى أن البرد سيكون أكبر حيث سنذهب."

نزل من فوق الصندوق وسار حافي القدمين نحو باب زجاجي ينفتح على قاعة الإرجاء.

خلال ثلاثين ثانية من السير في الداخل، كان هاسلر يرتعش دون إرادته - بسبب الخوف من جانب، والبرد من جانب آخر.

كانت الصفوف تتشكل في الممرات، ورجال يرتدون معاطف المختبرات البيضاء يوجهون الحركة.

اقترب هاسلر من أحدهم وقال: "لا أعرف إلى أين أذهب."

- ألم تقرأ المذكرة؟

- لا، أنا آسف، تلقيت فقط...

- لا بأس. ما اسمك؟

- هاسلر. آدم هاسلر.

- تعال معي.

أرشده فني المعمل إلى الصف الرابع وأشار إلى ممر الماكينات، وقال: "ينبغي أن تكون في منتصف هذا الممر على اليسار. ابحث عن لوحة اسمك."

تبع هاسلر أربع نساء عاريات في الممر. بدا البخار أكثر كثافة من قبل وكانت أنفاسه تتصاعد في عمود من البخار في البرد، والحاجز المعدني فوق الحجر له إحساس الجليد تحت باطن قدميه.  
مرَّ برجل يدخل ماكينة.

كان الخوف الآن هو الشعور المهيم.

أدرك بينما عيناه تمسحان كل لوحة اسم أنه لم يتخيل قط هذه اللحظة. لم يستعد لها قط. بالطبع كان يعرف أنها قادمة. كان يعرف أنه سيخضع طوعًا لهذا. لكن بشكل ما تصور بطريقة لا شعورية شيئًا أقرب إلى تخدير عام. قناع يهبط على وجهه في غرفة عمليات دافئة. أن تخبو الأضواء في حالة من النعيم الناتج عن التخدير. وبالتأكيد لم يكن في خياله السير عاريًا مع مئة شخص آخر.  
هناك.

لوحة اسمه.

ماكينته -اللعيثة-

آدم ت. هاسلر

تاريخ الإرجاء: 31/12/2013

سياتل، واشنطن

تفحص لوحة المفاتيح.

مجموعة من الرموز غير المفهومة.

نظر في ممره جيئة وذهابًا لكن الآخرين كانوا قد اختفوا بالفعل داخل ماكيناتهم.

كان فني معمل آخر يقترب.



قال هاسلر: "مرحى، هل يمكنك أن تساعدني؟"

- ألم تقرأ المذكرة؟

- لا.

- فيها شرح لكل هذا.

- هل يمكنك فقط أن تساعدني من فضلك؟

نقر الفني شيئاً على لوحة المفاتيح وتابع تحركه.

تعالى فحيح هوائي، كأنه تسرّب غاز مضغوط، وبعد ذلك انفتح اللوح الأمامي للماكينة عدة بوصات.

جذب هاسلر الباب بقية المسافة لينفتح.

كانت كبسولة معدنية ضيقة. بها مقعد صغير مصنوع من مادة هجينة سوداء، ومسدان للذراعين، وخطوط خارجية مرسومة لقدمين بشريتين على الأرضية.

همس صوت هادئ ضعيف في كواليس عقل هاسلر: لقد جُننت حتى تدخل مثل هذا الشيء.

فعلها على أي حال، دخل وأراح مؤخرته على المقعد القارص البرودة.

انطلقت قيود من الجدران، وانطبقت محيطية بكاحليه ومعصميه.

حلق معدل نبض قلبه مرتفعاً إلى عنان السماء عندما انصفق الباب منغلقاً في دوي كصوت الرعد، ولأول مرة لاحظ أنبوباً بلاستيكيّاً ملتقاً على الجدار في طرفه إبرة لها حجم مرعب.

تذكر وجه تيريذا الذي غاضت منه الدماء وقال في عقله: اللعنة!

انطلق صوت مثل تسرّب الضغط فوق رأسه. لم يستطع أن يرى الغاز، لكنه فجأة شمّ شيئاً مثل الورود والليلك والخزامى.

قال صوت أنثوي آلي: "من فضلك ابدأ التنفس بعمق. شم الزهور  
قدر ما يمكنك."

عبر خط الزجاج الذي يبلغ عرضه بوصتين، لاح بيلتشر.

قال الصوت الآلي: "كل شيء سيكون بخير."

كان بيلتشر عاري الصدر، يتسم بفخر، ويرفع إبهاميه.

لم يعد هاسلر شاعرًا بالبرودة.

لم يعد خائفًا.

عندما انسابت أغنية "ناسج الأحلام" للمطرب جاري رايت عبر  
السماعات، انغلقت عيناه. كان ينوي أن يصلي، ينوي أن يثبت أفكاره  
على شيء جميل، مثل المستقبل والعالم الجديد والمرأة التي سيشاركها  
فيه.

لكن مثل كل اللحظات الهامة والحاسمة في حياته، مرَّ كل شيء  
بسرعة بالغة.

\*\*\*

كانت بام تنتظره في المغارة.

كانت قد وضعت رداء حول جسدها وأمسكت آخر من أجل  
بيلتشر، تدلى على ذراعها.

سألها وهو يدفع ذراعيه في الكُمين: "ابنتي؟"

- الجميع في أماكنهم.

نظر حوله في المغارة.

قال: "الجو هادئ جدًا الآن. أحيانًا أفكر كيف سيبدو هذا المكان  
بينما نحن كلنا نائمون."

- ديفيد!

اندفعت إليزابيث نحوهما عبر الأرضية الحجرية.

قالت: "كنت أبحث في كل مكان. أين هي؟"

- أرسلت أليسا إلى مكنتي قبل أن تُخلع الملابس.

قالت بام: "أهلاً مسز بيلتشر. تبدين جميلة الليلة."

- أشكرك.

- شعرت بالأسف عندما سمعت أنك لن تنضمي إلينا.

حدّثت إليزابيث في زوجها وقالت: "متى ستدخل ماكينتك؟"

- بعد قليل.

- لا أريد أن أبقى هنا الليلة. هل ستجعل أحدهم يوصلنا أنا

وأليسا إلى بويسي؟

- طبعاً. كل ما تريدين. ويمكنك أن تأخذي الطائرة.

- حسناً. أظن أنه ربما حان الوقت كي...

- صحيح. لماذا لا تتوجهين إلى مكنتي؟ سأنضم إليك بعد دقيقة.

أحتاج فقط إلى متابعة شيء أخير.

راقب بيلتشر زوجته وهي تسير عائدة عبر المغارة نحو مدخل

المستوى الأول.

مسح وجهه.

قال: "لا يجب أن أذرف الدموع الليلة. على الأقل ليس هذه

النوعية من الدموع."

\*\*\*

خطت إليزابيث خارجة من المصعد.

كان جناحهما ساكنًا. لم تحبه قط. لم تحب أي شيء يتعلق بالحياة داخل هذا الجبل. كل شيء يبعث على الشعور برهاب الأماكن المغلقة. شعور بالعزلة لم تتصالح معه قط. احدودبت روحها تحت الثقل الخالص الساحق للعيش مع هذا الرجل المُساق إلى هدف واحد. لكن الليلة، أخيرًا، ستكون حرة هي وابنتها.

كانت الأبواب المؤدية إلى مكتب ديفيد مفتوحة.

دخلت.

- أليسا؟ حبيبتى؟

ولا من مجيب.

عبرت القاعة إلى الشاشات. كان الوقت متأخرًا. ربما تكورت ابنتها على إحدى الأرائك وغفت.

بحثت فيها.

لا.

خاوية.

قامت بفحص بطيء للغرفة.

ربما صعدت أليسا إلى الطابق العلوي؟ ربما لم تلاحظ إحداهما الأخرى، رغم أن هذا بعيد الاحتمال.

سقطت عيناها على مكتب ديفيد.

دائمًا ما يبقيه منظمًا جدًا. خاليًا من الفوضى. خاليًا من أي شيء على الإطلاق.

لكن الآن، ثمة ورقة بيضاء وحيدة راقدة في المنتصف.

ولا شيء غيرها.

سارت إلى المكتب، وجذبت الورقة نحوها على خشب الماهوجني المصقول كي تستطيع قراءتها.

عزيزتي إليزابيث، أليسا قادمة معي. يمكنك أن تري نهاية قصتك وحدك. ما تبقى منها. - ديفيد.

انتاب إليزابيث شعور قوي مباغت بوجود أحد خلفها.  
التفتت.

وقف أرنولد بوب قريبًا منها. كان قد حلق ذقنه من أجل الاحتفال. طويل، عريض المنكبين. شعر أشقر قصير ووسيم تقريبًا. كانت عيناه هما اللتان تفسدان الصفقة. شيء ما فيهما بالغ القسوة والبرود عندما تركز فيهما عينيك. كان بمقدورها أن تشم الشامبانيا في أنفاسه.

قالت: "لا".

- أنا آسف يا إليزابيث.
- من فضلك.
- أنا معجب بك. ولطالما كنت. سأجعل هذا يمرُّ بأسرع ما يمكن. لكن عليك أن تساعديني.
- أطرقت ناظرة إلى يديه، متوقعة تقريبًا أن ترى سكينًا أو سلًا.
- لكنهما كانتا خاليتين.
- شعرت بالضعف والغثيان.
- هل يمكن أن أحظى بلحظة واحدة فقط من فضلك؟ من فضلك؟

نظرت إلى عينيه.

كانتا باردتين وحادتين وحزينتين.

تأهبان لشيء ما.

وعرفت، قبل نصف ثانية من هجومه عليها، أنها لن تحظى بتلك اللحظة.



## القسم الرابع





## 22

أدفاً توبياس يديه القذرتين في حرارة النار.

كان قد أقام مخيمه على جانب النهر، عميقاً في جبال ما كانت ولاية آيداهو ذات يوم.

من مجلسه، كان بمقدوره أن يحدّق إلى الوادي الضيق ويراقب الشمس وهي تسقط في الوادي المنفرج الكبير. اقترب كثيراً.

في وقت أبكر من ذلك اليوم، كان قد لمح تلك القصة المسننة التي تشكّل مدرج السور الشرقي لوايوارد باينز.

الشيء الوحيد الذي يمنعه من بلوغ السور حشد من ألف منحرف قوي في الغابة التي تحدّ الطرف الجنوبي للبلدة. حتى من على مبعده ميلين من موقعهم، كان في مقدوره أن يشمهم. بافتراض

أنهم سيتابعون مسيرهم بين عشية وضحاها، سيكون قادرًا على السير في الخلاء إلى الديار.

كان إغراء النوم على الأرض قويًا.

شيء ما في النوم على نصال الصنوبر الناعمة بدا جذابًا بشدة.

لكن سيكون هذا غباءً.

كان قد ثبتت كيس نومه على ارتفاع ثلاثين قدمًا في إحدى أشجار الصنوبر المتدلّية. وكان قد نام بعيدًا عن الأرض لعدد لا يعرفه من الليالي، ولن يضيره النوم بعيدًا عنها ليلة أخرى.

وليلة الغد، لو سار كل شيء كما هو مخطط ولم يؤكل في يومه الأخير في البرية، سيكون لديه فراش دافئ يتمرغ فيه.

فتح توبياس حقيبة ظهره، ودس ذراعه حتى القاع.

لمست أصابعه الكيس القماشي الذي يحوي غليونه، ومشط كبريت من فندق أندرا في سياتل، والتبغ.

وضع كل شيء على صخرة.

شيء غريب. لقد فكر في هذه اللحظة مرات كثيرة.

شكّلها في ذهنه.

ليلته الأخيرة في البرية.

كان قد أحضر معه رطلًا من التبغ - كل الوزن الذي استطاع تبريره - وأشعل كثيرًا منه في تلك الشهور الأولى، مدخرًا فقط ما يكفي لمرة تدخين أخيرة لو وصل إلى هذا الحد. كانت هناك ليال كثيرة كاد يدخلها فيها على أي حال.

والمبررات وفيرة ومقنعة.

يمكنك أن تموت في أي وقت.

لن تنجح أبدًا في العودة.

لا تؤكل بينما ما زلت تحمل ما كان يمكن أن يمثل نصف ساعة من متعة الغليون.

ومع ذلك، صمد. لم يكن ذلك منطقيًا. كانت فرص عودته صفرًا. لكن عندما فتح الكيس البلاستيكي واستنشق رائحة الخليط الفواح، كانت بلا شك واحدة من أسعد لحظات حياته.

تمهل وهو يملأ الغليون.

ثم نقره بإصبعه، متأكدًا من أن كل عسلوج في مستقره على نحو جميل.

اشتعل التبغ بشكل جميل.

سحب نفسًا.

يا الله! يا للرائحة!

انعقد الدخان في سحابة حول رأسه.

مال بظهره مستندًا إلى جذع ما أمل أن تكون الشجرة الأخيرة التي سينام فيها.

كانت السماء قد اصطبغت باللون الوردى.

يمكنك أن ترى لونها في النهر.

دخّن وراقب الماء الجاري وأحس -لأول مرة منذ زمن طويل- أنه مخلوق بشري.



## 23

في الساعة الثامنة مساءً، عاد إيثان ليجلس خلف مكتبه في القسم.  
رَنَّ هاتفه.

عندما رفع السماعة قال بيلتشر: "دكتور مايتز يشعر بغضبٍ لا  
يمكن وصفه بالقليل منك يا إيثان."

طفت على سطح خلفية تفكير إيثان صورة بيلتشر وهو يصعد  
على طاولة التشريح تلك ويطعن ابنته.

**أيها الوحش!**

تساءل إيثان: "هل تسمع ذلك؟"

- أسمع ماذا؟

ظل إيثان صامتًا لمدة خمس ثوانٍ على الخط قبل أن يقول:  
"اعتبر هذا الصمت صوتي وأنا أقول لك إنني لا أبالي قيد خردلة."

- أنت ما زلت بلا رقاقة تتبع، وهذا لا يروقني.

- اسمع، لم أشعر بالرغبة في الخضوع للسكين مرة أخرى بهذه  
السرعة. سأصعد إلى الجبل غدًا قبل أي شيء وأسوي هذا الأمر  
معك.

- لم تصادف بام، أليس كذلك؟

- لا، لماذا؟

- كان من المفترض أن تكون في الجبل منذ ثلاثين دقيقة لحضور  
اجتماع. إشارتها ما زالت تبين أنها موجودة في الوادي.

بعد العودة إلى البلدة، سار إيثان إلى الشارع الرئيسي ودس رقاقة  
بام المدمّاة خلسة في حقيبة يد امرأة مرَّ بجانبها على الرصيف. آجلًا  
أو عاجلًا، سيبدأ بيلتشر في فحص بثّ الكاميرات. وعندما تستحث  
رقاقة بام إحدى الكاميرات لكن بام نفسها غائبة بشكل غامض،  
سيعرف بيلتشر أن شيئًا ما قد حدث.

قال إيثان: "لو رأيتها سأخبرها بأنك تبحث عنها."

- لست في غاية القلق. هي تميل إلى الذهاب في جولات مشي  
من وقت إلى آخر. حاليًا أنا جالس في مكتبي مع زجاجة  
سكوتش لطيف جدًا، أشاهد حائطي من الشاشات، مستعدًا  
لأن يبدأ العرض. هل لديك أي أسئلة؟

- لا.

- هل طالعت الدليل؟ هل تفهم نتيجة الاتصالات؟ التعليمات  
التي أنت على وشك أن تعطيها؟

- نعم.
- لو قُتل كل من كيت وهارولد في الغابة، لو قُتِلَا في أي مكان غير الشارع الرئيسي وفي قلب البلدة، سأحمِّلك المسؤولية بشكل شخصي. ضع في اعتبارك أن لديهما دعمًا تحت الأرض، لذا امنح الموجة الأولى من الضباط بعض الوقت الإضافي.
- أفهم ذلك.
- سلَّمت بام شفرات الهاتف إلى مكتبك في وقت سابق اليوم.
- موجودة لديّ هنا على مكتبي بجوار الدليل، لكنك تستطيع أن ترى ذلك، أليس كذلك؟
- اكتفى بيلتشر بالضحك.
- قال: "أعرف قصتك مع كيت بالينجر، وآسف إن كان هذا سيلقي ظلًا فوق الليلة بالنسبة إليك..."
- ظلًا؟
- ... لكن المهرجانات لا تحدث كثيرًا. أحيانًا يمر عام أو عامان بين مهرجان وآخر. لذلك ورغم كل شيء، أأمل أن تحاول إمتاع نفسك. بقدر ما أكرهها، إلا أن هناك شيئًا سحريًا حقًا في تلك الليالي.
- في حياته السابقة، اكتسب إيثان تلك العادة السيئة المتمثلة في إغلاق الهاتف عندما لا يروقه الشخص أو الرسالة على الطرف الآخر. لكنه بطريقة ما، وبحكمة، وجد القوة كي يمنع نفسه من فعل ذلك.
- حسنًا، سأطلق سراحك يا إيثان. أمامك الكثير لتفعله. إذا لم يكن لديك دوار شراب ثقيل في الصباح، سأرسل ماركوس ليأتي بك، سنتناول الإفطار، ونتحدث عن المستقبل.



قال إيثان: "أتطلع إلى هذا.."

\*\*\*

كانت بليندا قد عادت إلى بيتها.

وكان القسم صامتًا.

الساعة الثامنة وخمس دقائق مساء.

حان الوقت.

انساب صوت بيانو هيكتر جاير عبر الراديو العتيق بجوار مكتبه. كان يعزف نسخة ريمسكي كورساكوف من مقطوعة (ليلة على جبل أجرد). كان الجزء المحموم والمخيف قد انتهى، ودخل هيكتر إلى الحركة البطيئة والمهدئة التي تستدعي الشعور بانبلاج الصباح بعد ليلة في الجحيم.

كانت أفكار إيثان مع كيت وهارولد.

هل كانا يتقاسمان عشاء هادئًا في هذه اللحظة عينها، وفي الخلفية بيانو جاير؟

في غفلة تامة عما يوشك أن يحدث؟

رفع إيثان هاتفه وفتح الملف الذي تركته بام مع بليندا.

نظر إلى أول شفرة وأدار القرص.

أجاب صوت أنثوي: "آلو؟"

تعالى رنين حاد.

استمر الرنين.

كل مرة يرد أحدهم، يتعالى رنين آخر.

أخيراً، قال صوت بدا آلياً: "كل الأطراف الأحد عشر على الخط الآن."

حدّق إيثان في الصفحة.

كان النص مطبوعاً من أجله أسفل الشفرة.

كان ما زال بمقدوره أن ينهي المكالمة.

ألا يفعل هذا.

ثمة طرق كثيرة جدًّا كي تمضي الأمور كلها على نحو شديد السوء.

ولا واحد من مواطني وايوارد باينز العشرة الموجودين على الطرف

الآخر من الخط نطق بكلمة واحدة.

بدأ إيثان يقرأ: "هذه الرسالة لضباط المهرجان العشرة. تقرر أن

يبدأ مهرجان بعد أربعين دقيقة. ضيفا الشرف هما كيت وهارولد

بالينجر. عنوانهما 345 الجادة الثامنة. قوموا باستعداداتكم فوراً. من

المهم بشدة توصيل كيت وهارولد إلى الحلقة عند ناصية الشارعين

الثامن والرئيسي حيّين ودون أن يمسهما أذى. هل تفهمون ما قلته

لكم؟"

توالت سلسلة من التأكيدات بنعم عبر الخط.

أغلق إيثان الهاتف وشغل عداد الوقت في ساعته.

كان الضباط يعيشون من أجل المهرجانات.

كانوا المواطنين الوحيدين المسموح لهم بالاحتفاظ بأسلحة فعلية في

بيوتهم - سواطير قدمها لهم بيلتشر. أما الآخرون كلهم فيلجؤون إلى

أدوات موت مؤقتة: سكاكين مطبخ، صخور، مضارب بيسبول، بلطات،

فؤوس، أسياخ المدافئ، أي شيء له ثقل أو طرف أو حافة.

كان يتساءل طوال المساء كيف ستبدو هذه الكتلة من الزمن: الأربعون دقيقة بين وضع كل شيء في موضع الحركة والقيام بالاتصال الهاتفي الأخير.

والآن بعد أن صار فيها، مرت زاعقة بسرعة لا يدركها الخيال.

تساءل إن كانت الوجبة الأخيرة لسجين محكوم عليه بالإعدام تبدو شبيهة بهذا.

الوقت يتحرك بسرعة الضوء.

معدل النبض يتسارع.

مراجعة عاطفية غريبة لكل ما أدى إلى هذه اللحظة.

وبعد ذلك كان يراقب الثواني العشر الأخيرة وهي تتوالى في ساعته، متسائلًا إن كان الوقت قد مضى.

أسكت جرس المنبه.

رفع السماعه.

أدخل الشفرة الثانية.

قال الصوت الآلي ذاته ناصحًا: "من فضلك سجّل رسالتك بعد النغمة."

انتظر.

جاءت النغمة.

تلا النص الثاني: "محدثكم المأمور إيثان بيرك. سيبدأ مهرجان الآن. ضيفا الشرف كيت وهارولد بالينجر. سيُقبض عليهما، ويؤتق بهما دون أن يمسهما أذى إلى ناصية الشارعين الرئيسي والثامن..." جاهد كي يقول الكلمات الأخيرة: "ويُعدّما في الحلقة."

بعد وقفة صمتٍ طويلة، قال ذلك الصوت الآلي: "لو كنت راضيًا عن رسالتك، اضغط الرقم واحد. لمراجعة رسالتك قبل إرسالها، اضغط الرقم اثنين. لتسجيل رسالتك، اضغط الرقم ثلاثة. لكل الخيارات الأخرى، اضغط الرقم أربعة."

ضغط إيثنان على الرقم واحد، ووضع السماعة مكانها. نهض.

على مكتبه، التمتع المعدن المطلي بالنيكل في مسدس الديزيرت إيجل تحت ضوء المصباح.

أعاد تعميمه وعلّقه في جرابه وسار إلى الخزانة حيث أخرج الخوذة وعباءة فراء الدب.

قبل ثلاث خطوات من الباب، بدأ الرنين.

تدفق الأول عبر الراديو.

توقف البيانو عن العزف.

سمع الدكة تصرُّ مع نهوض جايثر.

وخطوات الرجل تسير مبتعدة.

صوته وهو يرفع السماعة قائلًا: "آلو؟"

ثم صوت إيثنان -الرسالة التي سجلها توًا- تأتي بهدوء عبر السماعات.

همس جايثر: "أوه يا إلهي!" ثم انقطع بث الراديو وصار وشيشًا.

قطع إيثنان الرواق وهو لا يفكر إلا في كيت.

هل رن هاتفك؟

هل رددت عليه وأنصتي إلى صوتي يأمر بموتك؟

هل تعتقدين أنني خنتك؟

مرّ بمكتب بليندا، وشق طريقه عبر القاعة المظلمة.

في الخارج، لم يكن هناك قمر، مجرد سماء تغصّ بالنجوم.

لقد سمع هذا الصوت من قبل، عندما كان مهرجانه هو نفسه على وشك البدء، لكن الليلة بدا الصوت أكثر شؤماً لأنه فهم التدايعيات تمامًا.

مئات ومئات الهواتف ترن في نفس اللحظة - بلدة كاملة تتلقى تعليمات بقتل واحد منها.

للحظة، وقف ينصت بنوع من التعجب المرتاع.

ملاً الصوت الوادي مثل أجراس كنيسة مسكونة.

جرى أحدهم ماراً به في الشارع.

على مبعده عدة مربعات سكنية، صرخت امرأة؛ رغم أنه لم يستطع أن يحدد إن كان صراخها من الإثارة أم من الألم.

سار إلى الرصيف واسترق النظر عبر نوافذ سيارته الزجاجية الكبيرة. كانت من الزجاج المظلل، ونظراً إلى أن مصدر الضوء الوحيد كان عمود نور في الناحية الأخرى من الطريق، كان من المستحيل أن يرى أي شيء بداخلها.

فتح باب مقعد السائق بحرص.

لا صوت.

لا حركة.

ألقى العباءة والخوذة في مقعد الراكب الأمامي وصعد خلف عجلة القيادة.

\*\*\*

كان الأمر أشبه بالقيادة في حيه القديم في سياتل ليلة الهالوين.

الناس في كل مكان.

على الأرصفة.

في الشوارع.

يترنحون في سيرهم قابضين على جرار زجاجية مفتوحة.

كشافات يدوية.

مضارب بيسبول.

عصي جولف.

كانت الأزياء التنكرية جاهزة ومنتظرة.

مرّ برجلٍ يرتدي بدلة سهرة قديمة مبقعة بالدماء، ويحمل لوح خشب مقاس بوصتين في أربع منحوت طرف منه على هيئة مقبض، والطرف الثاني مغروسة فيه شظايا من المعدن كأنه هراوة أو دبوس. أظلمت المنازل كلها، لكن كانت هناك نقاط ضوء تظهر في كل مكان.

كشافات تمسح الشجيرات والأزقة.

مخروطات ضوء تسطع في الأشجار.

حتى من وراء عجلة القيادة، كان بمقدور إيثان أن يرى الفروق في

الحشد المتجمع.

كيف يرى بعض الناس أن المهرجان ليس أكثر من فرصة للتأنق

والإفراط في الشراب وبعض الجنون.

كيف يحمل آخرون في سيماهم عزمًا غاضبًا - نية واضحة لإلحاق الأذى، أو على الأقل يُشبعون رغبتهم في مشاهدة وقوع العنف حتى الامتلاء.

كيف يكاد البعض لا يتحملون ذلك، وتسيل دموعهم على وجوههم بينما يتحركون نحو مركز الجنون.

التزم بالشوارع الجانبية.

بين الجادة الثالثة والرابعة، سقطت الأضواء الأمامية للسيارة على عصابة من نحو ثلاثين طفلًا يجرون بعدوانية بعرض الطريق، تتعالى منهم ضحكات شنيعة مثل أصوات الضباع، وكلهم يرتدون أزياء تنكرية، والسكاكين تلمع في أيديهم الصغيرة.

ظل يتطلع باحثًا عن الضباط -سيرتدون السواد ويشهرون السواطير- لكنه لم يرههم قط.

انعطف إيثنان إلى الجادة الأولى، متوجهًا إلى الجنوب خارج البلدة.

في الطريق إلى جوار المراعي، أوقف السيارة.

أطفأ المحرك، وخطا خارجًا.

كانت الهواتف قد توقفت عن الرنين، لكن ضجة حشد متجمع كانت تتزايد.

خطر له أنه في هذه البقعة بالتحديد، منذ أربع ليال، اكتشف جثة أليسا بيلتشر.

يا إلهي! كيف وصل الوضع بسرعة إلى هذا الحد؟!

لم يحن الوقت لظهوره، لكنه سيحين قريبًا.

أما زلتِ تهربين يا كيت؟

هل قبضوا عليك؟

هل يجرجرونك أنت وزوجك نحو الشارع الرئيسي؟

هل أنت خائفة؟

أم على مستوى ما كنت تعدين نفسك لهذا من زمن طويل؟

هل أنت مستعدة لأن ينتهي هذا الكابوس أخيراً؟

على أطراف وايوارد باينز، كان الجو بارداً ومظلماً.

شعر بانعزال غريب.

مثل الوقوف خارج استاد وسماع ضجة مباراة.

في البلدة، انفجر شيء ما.

زجاج يتكسر.

أناس يهتفون.

انتظر لمدة خمس عشرة دقيقة، جالساً على غطاء محرك السيارة

ودفع المحرك يتصاعد عبر المعدن.

فليدعهم يتجمهرون.

فليدعهم يستسلمون للجنون.

لا شيء سيتم من دونه.

لن تُسَفَك أي دماء.

\*\*\*

عندما فتحت بام عينيها، كان الظلام محيطاً.

وكانت ترتعد.

رأسها ينبض بقوة.



ساقها اليسرى مشتعلة، كأن شيئاً انتزع قطعة منها.

اعتدلت في جلستها.

أين هي بحق اللعنة؟

كان البرد قارصًا والظلام حالكًا وآخر ما تذكره مغادرة المستشفى  
بعد جلسة علاجها النفسي الأخيرة ذلك اليوم.  
مهلاً.

لا.

لقد لمحت سيارة إيثان بيرك تنطلق جنوبًا خارج البلدة. وتبعته  
على قدميها...

استعادت كل شيء.

لقد تقاتلا.

ومن الواضح أنها خسرت.

ماذا فعل بها بحق الجحيم؟

عندما وقفت، جعلها الألم في ساقها تصرخ. مدت يدها خلفها.  
كانت قطعة كبيرة من بنطالها الجينز قد مُزقت، ونزَّ جرح بشع  
مفتوح على فخذه الأيسر.

لقد انتزع رفاقته.

ذلك الوغد الزنيم!

اندفع الغضب داخلها كجرعة من المورفين. لم تعد تحس بأي ألم،  
حتى عندما انطلقت تعدو بعيدًا عن السور، عائدة نحو البلدة،  
بسرعة متزايدة عبر الغابة المظلمة، والطنين المكهرب يتقلص إلى  
الصمت.

أوقفها صوت صرخات من بعيد.

صرخات منحرفين.

صرخات الكثير والكثير من المنحرفين.

لكن شيئاً ما لم يكن سليماً.

كيف يمكن أن تأتي الصرخات من أمامها مباشرة؟

رقدت وايبوارد باينز أمامها مباشرة.

في الحقيقة، كان ينبغي لها أن تصل إلى الطريق قبل...

اللعنة!

اللعنة!

اللعنة!

لم تعرف لكم من الوقت كانت تجري، لكنها كانت تجري بقوة، تجري رغم الألم. لقد قطعت ميلاً على الأقل بعيداً عن السور.

على مسافة ليست بعيدة أمامها، بالإضافة إلى صرخات ما بدا أشبه بحشد هائل من المنحرفين، سمعت حركة تأتي في اتجاهها - غصون تتكسر، وعصي تنقطم.

وكان بمقدورها أن تقسم على أنها تشمهم، رائحة جيفة نتنة تُدمع الأعين تزداد قوة مع مرور كل ثانية.

في عمرها كله، لم ترغب قط في أن تسبب ألماً لأحد بكل هذا السوء.

لم يكتفِ إيثنان بيرك بانتزاع رفاقتهما.

لكنه بطريقة ما ألقاها على الناحية الأخرى من السور، خارجاً في العالم البري الوضيع.

\*\*\*

ركب إيثان من جديد سيارته، وأدار المحرك، وضغط على بدال السرعة.

زعقت الإطارات على الأسفلت عندما انطلق إلى الأمام.

أسرع إلى داخل الغابة، وأخذ المنحنى الدائري الكبير الذي يعيده إلى المسار المتجه نحو البلدة.

أشار عدّاد السرعة إلى ثمانين ميلاً في الساعة عندما مرق بجوار لافتة الترحيب.

رفع قدمه عن بدال البنزين، وأبطأ السرعة قليلاً.

هو في الشارع الرئيسي الآن، وما زال أمامه رُبع ميل بينه وبين وجهته، لكنه تمكن بالفعل من رؤية ألسنة اللهب من بعيد، والأبنية كلها متوهجة بنور النار وظلال الحشد المتحركة.  
مرّ بالمستشفى.

على مبعده أربعة مربعات سكنية من تقاطع الشارعين الثامن والرئيسي، كان يقود متفادياً الناس في الطريق.

ألقي أحدهم شيئاً على واجهة محل سويت تووث الزجاجية وكان الأطفال ينهبون الحلوى.

كل هذا كان مقبولاً ومنتوقاً.

أصبح الحشد أكثر كثافة.

انكسرت بيضة على نافذة المقعد الأمامي المجاور له، وسال الصفار على الزجاج.

كان يتحرك بالكاد الآن، والناس في الطريق باستمرار.

ارتدى الجميع ثياباً تنكزية.

مرَّ بمجموعة رجال يرتدون ثيابًا نسائية، وقد وضعوا أحمر شفاه  
زاعقًا، وارتدوا مشدات صدور نسائهم وسراويلهن الداخلية فوق  
كلسونات طويلة، وأحدهم مسلح بمقلاة حديدية.

أسرة كاملة -بأطفالها- أحاطت أعينها بحلقات من كحل أسود  
ودهنت وجوهها باللون الأبيض كي تشبه الموق السائرين.

رأى قرون شياطين.

أسنان مصاصي دماء.

أشكالًا غريبة من الشعر المستعار.

أجنحة ملائكة.

قبعات ساحرات.

عكاكيز بأطراف حادة.

نظارات بعدسة واحدة.

عباءات سحرة.

أزياء فايكينج.

ملوگا وملكات.

أقنعة جلادين.

عاهرات.

كان الشارع الآن مسدودًا تمامًا.

وضع يده على نفير السيارة.

انشق بحر الناس على مضض من أجله.

في سيره البطيء بين الشارعين التاسع والرئيسي، رأى واجهات  
محلات أخرى تُخرَّب، وأمامه بمسافة... مصدر ألسنة اللهب.

كان الناس قد دفعوا سيارة إلى قلب الشارع الرئيسي وأشعلوا فيها النيران. تناثر زجاج نوافذها الآن على الأسفلت، وشظاياها تلتصق في نور النار، وألسنة اللهب تخرج من النافذة الأمامية لتلحق الهواء، والمقاعد ولوحة التحكم في حالة انصهار.

أعلى كل هذا، كانت إشارة المرور تبدل ألوانها غافلة.

أوقف إيثان السيارة وأطفأ المحرك.

كانت الطاقة الموجودة على الناحية الأخرى من الزجاج الأمامي طاقة سوداء ومتقلبة - شيء حي شرير. تفحص كل الوجوه الحمراء في نور النار، والأعين تلتصق من أثر منقوع شراب الجين المخزن والذي وزعوه بينهم.

أغرب شيء أن بيلتشر كان على صواب. من الواضح أن المهرجان يخاطبهم. يلبي حاجة عميقة وشرهة فيهم.

ألقي نظرة إلى مؤخرة سيارته وراجع ساعته.

ما زال هناك القليل من الوقت..

خيطت بطانة صوفية داخل الخوذة، وناسبه ذلك بشكل مريح. مد يده وأوصد قفل باب الراكب الأمامي، رغم تشككه في كون ذلك سيصنع أي فارق في النهاية. فتح الباب قابضاً على عباءته النتنة ومكبر الصوت، ثم أوصده، وخرج إلى المععمة.

انسحق الزجاج المكسور أسفل حذائه.

فاح الهواء برائحة الخمر.

ارتدى العباءة.

شق طريقه داخل الحشد.

بدأ الناس من حوله يصفقون ويهتفون.

كلما اقترب من إشارة المرور، علا الضجيج.

تصفيق، صيحات، صرخات.

وكل هذا من أجله.

كانوا يهتفون باسمه، ويربتون على ظهره.

دفع أحدهم جرة زجاجية في يده اليمنى.

تابع سيره.

احتشدت الأجساد متلاصقة بشدة حتى سرى الدفاء بينهم.

أخيراً اخترق الحشد إلى عين العاصفة - دائرة لا يمكن أن يزيد  
قُطرها عن ثلاثين قدمًا.

خطا داخلها تمامًا.

سدَّ الأسى حلقه لمرآهما.

رقد هارولد على الأسفلت، مجاهدًا كي ينهض، وهو ينزف من  
عدة ضربات في الرأس.

أمسك ضابطان متشحان بالسواد كيت، المرأة التي أحبها ذات  
يوم، وقد قبض كل واحد منهما على ذراع لبيقيها واقفة.

بينما بدا هارولد مذهولًا، كانت كيت حاضرة الذهن تمامًا  
وتحدق فيه مباشرةً. كانت تبكي وأحس بالدموع تسيل على وجهه  
قبل حتى أن يلاحظ شعوره. كان فمها يتحرك. صرخت فيه، صرخت  
بأسئلة وبانعدام ثقة، لا شك أنها كانت تتوسل من أجل حياتها، لكن  
ضجة الحشد طغت على صوتها.

ارتدت كيت قميص نوم ممزق، ووقفت حافية القدمين ترتجف،  
ركبتاها ملطختان بالعشب والتراب، إحداهما مسلوخة حتى العظم،  
والدماء تسيل على قصبة ساقها، وعينها اليسرى متورمة ومنغلقة.

بدأ المشهد يتشكل في رأسه.

كانت هي وهارولد قد ذهباً إلى الفراش مبكراً - وربما كانا ما زالوا يعانيان من دوار الشراب منذ الليلة السابقة. اقتحم الضباط البيت. لم يكن هناك حتى وقت لارتداء الثياب. خرجت كيت من إحدى النوافذ، وربما جرت بسرعة نحو أنفاق الصرف تحت البلدة. كان هذا ما سيفعله. لكن الضباط العشرة كانوا قد أحاطوا بمنزلها. ولعلهم أوقعوا بها بعد مربع سكني واحد أو اثنين.

أكثر ما أرادته من حياته وقتها أن يذهب إليها.

أن يأخذها بين ذراعيه، ويخبرها أن كل شيء سيكون بخير.

أنها ستنجو من هذا.

لكنه بدلاً من ذلك أدار ظهره لها، وشق طريقه مرة أخرى عبر الحشد.

عندما وصل إلى سيارته، صعد على غطاء المحرك وتسلق بقية الطريق على يديه وقدميه فوق الزجاج الأمامي.

وقف على السقف، والمعدن ينحني تحت ثقله، لكنه صمد.

انتاب الجنون الحشد مرة أخرى، وهم يصرخون كأن نجم الروك معشوقهم قد ظهر على خشبة المسرح للتو.

استطاع إثبات أن يرى كل شيء من حيث كان يقف: الوجوه التي أضاءتها النار والمكتظة بين البنايات، السيارة المشتعلة، الدائرة التي تنتظر كيت فيها الموت مع هارولد. لم يرَ تيريزا أو بن ومنحه هذا قليلاً من الراحة. كان قد حذر زوجته كي لا تأتي. أمرها أن تأخذ ابنيهما، ضد إرادته لو تطلب الأمر، ويبتعدان عن المهرجان إلى الأمان النسبي في السرداب.

رفع جرة الخمر المرية في الهواء.

فعل الحشد مثله - وارتفعت مئات الزجاجات، لينعكس عليها نور الحريق في السيارة المشتعلة.

نخبُ في الجحيم.

شرب.

شربوا كلهم.

يا إلهي! مذاق شنيع!

حطم الزجاجاة على أرض الشارع، وسحب مسدسه، وأطلق ثلاث رصاصات نحو السماء.

أحدث هذا حالة من البهجة العارمة، وجُنَّ جنون الحشد.

وضع المسدس في جرابه وتناول مكبر الصوت الذي كان يتدلى من حزام على كتفه.

صمت الجميع.

الجميع ما عدا كيت.

كانت تصرخ باسمه، تصرخ: لماذا بحق الله لماذا تفعل بي هذا أنا من وثقت بك أنا من أحببتك لماذا؟

تركها تتكلم، تركها حتى تنتهي، تركها تصرخ بكل ما بداخلها.

ثم رفع الخوذة.

- مرحبًا بكم في المهرجان!

صرخات وهتافات.

أجبر إيثان نفسه على الابتسام بينما يقول: "أحبه أكثر وأنا واقف

هنا وراء مكبر الصوت!"

أثارت عبارته تلك ضحكًا عاليًا.



كان الدليل قد قدم إرشادًا محددًا للطريقة التي يجب أن يتعامل بها المأمور مع هذه اللحظة عندما يحتشد الجميع وتقترب لحظة الإعدام:

رغم أن حفنة من المواطنين قد لا تكون لديهم أي مشكلات مع قتل جيرانهم، أو ربما حتى سيستمعون بهذا، إلا أنه عندما يبدأ وقت التنفيذ في الاقتراب فعليًا؛ سيشعر أغلب الناس بالتوتر من سفك الدماء. لذلك فإن مهمتك كقائد للمهرجان تمثل أهمية شديدة لنجاحه الشامل. أنت من يحدّد نغمة الاحتفال. أنت من يخلق المزاج العام. ذكّرهم لماذا اختير ضيوف الشرف. ذكّرهم أن المهرجان في النهاية يحافظ على سلامة واوارد باينز. ذكّرهم أن مخالفة القواعد منحدر زلق، يمكن أن يؤدي بسهولة إلى أن ينتهي الحال بأي واحد منهم إلى قلب الدائرة في المرة القادمة.

قال إيثنان: "كلكم تعرفون كيت وهارولد بالينجر. وكثير منكم يمكن أن يدعوهم بالصديقين. أكلتم معهما خبزًا وملحًا، ضحكتم وبكيتم معهما. وربما تعتقدون أن هذا يجعل من الليلة حبة دواء من الصعب ابتلاعها."

# مكتبة

t.me/soramnqraa

ألقي نظرة نحو ساعته.

لقد مرّ أكثر من ثلاث ساعات.

بحق اللعنة! في أي لحظة الآن.

- دعوني أخبركم عن كيت وهارولد. كيت وهارولد الحقيقيان. إنهما يكرهان هذه البلدة!

انفجر الحشد في صيحات استهجان عدوانية.

- يخرجان في الليل سرًا، والأسوأ من هذا - يلتقيان بآخرين. آخرون مثلهما يكرهون فردوسنا الصغير. - واستعار صوته

نغمة غاضبة وهو يصيح: "كيف يمكن أن يكره أي إنسان هذه البلدة؟"

للحظة، كانت الضجة تصم الآذان.

أشار إلى الجميع بيده كي يهدؤوا.

- بعض من هؤلاء الناس، الأصدقاء السريين لآل بالينجر، هنا معنا الليلة. يقفون في هذا الحشد ذاته. يتأنقون ويتظاهرون بأنهم مثلكم تمامًا.

صاح أحدهم: "لا!"

- لكن في قلوبهم، يكرهون وايوارد باينز. انظروا حولكم. يوجد منهم أكثر مما تظنون. لكني أعدكم - سنجتثهم جميعًا!

عبارة هزيلة، لكن الحشد تصايح مرة أخرى. أحس إيثان بسيارته تهتز على قوائمها بشكل غير محسوس.

- إذن يثور السؤال: لماذا يكرهون وايوارد باينز؟ لدينا كل ما نحتاج إليه هنا: الطعام، الماء، المأوى، الأمان؛ لا ينقصنا شيء، ومع ذلك بعض الناس يشعرون أن هذا ليس كافيًا.

ضرب شيء ما السقف المعدني تحت حذاء إيثان.

- يريدون المزيد. يريدون الحرية في مغادرة هذه البلدة. في أن يتحدثوا بما في عقولهم. في معرفة ما يتعلمه أطفالهم في المدرسة.

استمرت صيحات الاستهجان لكن باقتناع أقل على نحو ملموس.

- لديهم الجرأة كي يرغبوا في معرفة أين يكونون.

توقفت صيحات الاستهجان تمامًا.

- لماذا هم هنا.

ران صمت قاتل على الحشد، ومالت الرؤوس وبدأت الجباه تقطب عندما شعروا بأن حديث المأمور يتخذ منعطفًا غير متوقع.

- لماذا لا يُسمح لهم بالمغادرة.

صرخ إيثنان عبر مكبر الصوت: "كيف يجروون!"  
وهو يقول في عقله: هل تشاهد هذا يا بيلتشر؟

اهتزت السيارة تحت قدميه وتساءل إن كان بمقدور الحشد أن يسمع الضجة.

قال إيثنان: "منذ نحو ثلاثة أسابيع، في ليلة باردة مطيرة، شاهدتكم من تلك النافذة" -وأشار إلى العمارة المواجهة للشارع الرئيسي- "وأنتم أيها الناس تضربون امرأة اسمها بيفرلي حتى الموت. كنتم ستقتلونني. يعلم الله أنكم حاولتم. لكنني هربت. والآن ها أنا واقف بدعوى قيادة هذا الاحتفال بالسفالة."

صاح أحدهم: "ماذا تفعل؟"

تجاهل إيثنان سؤاله.

قال: "دعوني أسألکم جميعًا عن شيء.. هل تحبون الحياة في وايوارد باينز؟ هل تحبون وجود الكاميرات في غرف نومكم؟ هل تحبون أنكم لا تعرفون شيئًا؟"

لم يجروُ واحد في الحشد على الرد.

لمح إيثنان ضابطين يشقان طريقهما عبر الناس، لا شك أنهما قادمان من أجله.

تساءل إيثنان: "هل استسلمتم جميعًا لويوارد باينز؟ للحياة في هذه البلدة في الظلام؟ أم هل ما زال بعضكم يرقد في الفراش ليلاً

بجوار زوجاتكم أو أزواجكم الذين لا تكادون تعرفونهم، متسائلين  
لماذا أنتم هنا؟ تحلمون بما يوجد وراء السور؟"  
وجوه مذهولة خاوية.

- أتريدون أن تعرفوا ما يوجد وراء السور؟

اخترق ضابط الحشد وجرى نحو السيارة، والساطور في يده.

جذب إيثنان مسدسه، وصوبه نحو صدر الضابط، وقال عبر مكبر  
الصوت: "إليك حقيقة ممتعة. وحدها موجة الصدمة من رصاصة  
عيار خمسين ستوقف قلبك."

انفجرت النافذة اليسرى الخلفية من السيارة، وتناثر الزجاج على  
كل من احتشدوا عند هذا الجانب من العربة.  
أخيراً.

ألقى إيثنان نظرة أسفله، ورأى ذراعاً تنتهي بمخالب يبرز من  
الثقب في النافذة.

اختفت الذراع ثم اخترقت الزجاج مرة أخرى.  
انسحب الحشد.

انفجرت من السيارة صرخة لا يمكن أن يخطئ أحد ويحسبها  
بشرية.

توالت الشهقات من الحشد.

تقهقر هؤلاء الأقرب إلى السيارة بينما كان هؤلاء الذين لا  
يستطيعون الرؤية يشقون طريقهم بالمناكب نحو مقدمة الصفوف.  
كان المنحرف في حالة هياج بالداخل، يمزق بمخالبه المقاعد ويتلوى  
مقاومًا السلسلة التي ربطها إيثنان حول عنقه.

كان إيثان ما زال يصوب مسدسه نحو الضابط، لكن الرجل لم يكن حتى يراقب المسدس. وبدلاً من ذلك حدق عبر زجاج السيارة الأمامي إلى ما كان يحاول الخروج.

قال إيثان في مكبر الصوت: "أريد أن أحكي لكم جميعاً حكاية خيالية. ذات مرة كان هناك مكان اسمه واوارد باينز. كان هو البلدة الأخيرة على وجه الأرض، والناس الذين عاشوا هناك هم آخر نوعهم." لم يعد إيثان يسمع جلجلة السلسلة.

كان المنحرف قد تحرر منها وتسلق إلى المقعد الأمامي.

- جرى الاحتفاظ بهم لمدة ألفي عام في نوع من الكبسولات الزمنية. غير أنهم لم يعرفوا ذلك. أبقوهم في الظلام. بالخوف. وأحياناً بالقوة. دُفعوا إلى الاعتقاد بأنهم موتى أو يحلمون.

كان المنحرف يحاول أن يخترق الزجاج الأمامي.

- بعض المواطنين، مثل كيت وهارولد بالينجر، كانوا يعلمون في قلوبهم أن هناك شيئاً خاطئاً. أن أيّاً من هذا ليس حقيقياً. واختار آخرون أن يصدقوا الكذبة. تأقلموا مثل البشر الصالحين. أخذوا أفضل ما في ذلك الموقف الشنيع، وحاولوا فقط أن يعيشوا حياتهم. لكنها لم تكن حياة. لم تكن أكثر من سجن جميل، يديره مريض نفسي.

انكسرت قطعة كبيرة من الزجاج الأمامي وارتطمت بغطاء المحرك.

- ثم ذات يوم، استيقظ رجل في البلدة اسمه إيثان بيرك. لم يعرف ذلك، وأهل واوارد باينز لم يعرفوا ذلك، ومن المؤكد كالجحيم أن المريض اللعين الذي بنى هذه البلدة لم يعرف ذلك؛ لكن صاحبنا ذاك أتى ليرفع العصاة عن أعينهم. ليريهم الحقيقة. ليعطيهم الفرصة كي يعيشوا كبشر حقيقيين من

جديد. ولذلك أقف هنا الآن. فلتخبروني: هل تريدون أن تعرفوا الحقيقة؟

كان المنحرف يلهث تحته الآن، ويهاجم الزجاج بشراسة.

- أم تريدون أن تبقوا عائشين في الظلام؟

اخترقت رأسه الزجاج.

وهو يزمجر.

في غضبٍ هائل.

قال إيثان: "نحن بعد ألفي عام مما تظنون، وقد انحدر نوعنا

البشري إلى الوحش الهائج داخل سيارتي."

صوب إيثان المسدس إلى رأس المنحرف.

اختفت.

مرّت لحظة صمت طويلة.

اكتفى الناس بالتحديق.

وقد انفجرت أفواههم.

راحت السكرة.

خرج المخلوق عبر الزجاج الأمامي، وكشط بمخالبه الطويلة غطاء

المحرك المعدني، وقفز على الضابط الذي كان يقف عند ممتص

الصدّمت قبل حتى أن يفكر في رفع الساطور.

صوّب إيثان على مؤخرة رأس المنحرف وأطلق النار.

ارتخى جسده، والرجل القابع تحته يصرخ ويتشنج تحت ثقله

بينما ساعد رجلان من المرتدين ملابس النساء في جذب المنحرف من

فوقه.

اعتدل الضابط جالسًا، وقد أغرقه الدم المتخثر، وتمزق ساعده وتدلّ الجلد في حالة يُرثى لها حيثما حاول أن يحمي وجهه. لكنه كان حيًّا.

قال إيثان: "أهذا أكثر مما يمكنكم أن تتعاملوا معه؟ أتريدون أن تعودوا إلى قتل اثنين منكم؟ أم تريدون أن تأتوا إلى المسرح معي الآن؟ أعلم أن لديكم أسئلة. حسنًا، وأنا لديّ إجابات. سأقابلكم هناك بعد عشرة دقائق، وأقسم أمام الله لو وضع أحدكم يده على كيت أو هارولد، سأقتله حيث يقف."

انتزع إيثان الخوذة، وألقى عنه العباءة.

قفز على غطاء المحرك، ونزل منه إلى الشارع.

انفرج الحشد، ليمنحه مسافة واسعة محترمة.

كان ما زال يمسك بالمسدس وقد فار الدم في عروقه، وتاق إلى أي شجار.

دفع أحد الضباط جانبًا، وخطا داخل الدائرة. كان هارولد جالسًا في الشارع بمنامته، وما زال ضابطان يقبضان على كيت.

صوب إيثان مسدسه نحو الضابط على اليمين.

- هل سمعت ما قلته للتو هناك؟

أوماً الرجل برأسه.

- إذن لماذا بحق اللعنة ما زلت تلمسها؟

أطلق الضابطان سراحها.

انهارت كيت.

جرى إيثان إليها، ركع على أرض الشارع. خلع سترته الفرائية المقلنسة وأحاط بها كتفيها.

رفعت عينيها إليه.

قالت: "ظننتك قد..."

- أعرف. أنا آسف. آسف جدًا. لم تكن هناك أي طريقة أخرى.

كان هارولد غائبًا في عالم آخر.

مد إيثان ذراعيه ورفع كيت بحرص.

قال: "أين أُصبتِ؟"

- في ركبتَي وعيني فقط. أنا بخير.

- دعينا نسعفك.

قالت: "فيما بعد.."

- بعد ماذا؟

- بعد أن تحكي لنا كل شيء.





## 24

قاد إيثان البلدة إلى داخل المسرح.

تمددت جثة المنحرف على خشبة المسرح كي يراها الجميع.

امتلات كل مقاعد دار الأوبرا، وكان هناك أناس في الممرات وآخرون يجلسون على حافة الخشبة.

نظر إيثان إلى أسرته في الصف الأمامي، لكنه لم يتمكن من محو بيلتشر من ذهنه. ماذا سيفعل هذا الرجل؟ هل سيرسل رجاله إلى البلدة الآن؟ هل سيطارد إيثان؟ وتيريزا وبن؟ والبلدة ذاتها؟

لا. لقد ذاع الخبر. وعلى الرغم من كل شيء، كم مرة سمع إيثان فيها بيلتشر يشير إلى البلدة على أنها "أهلي وناسي". ما زالوا -رغم كل شيء- أهم أصوله. قد ينتقم من إيثان، لكن أهل وايوارد باينز يعرفون الآن الحقيقة، وهذا هو المهم.

أنار أحدهم كشافاً على المسرح.

خطا إيثنان إلى داخل بقعة الضوء.

لم يعد في استطاعته أن يرى الوجوه الآن.

لا شيء إلا الضوء القاسي ذو الحواف الزرقاء الساطع من مؤخرة المسرح.

أخبرهم بكل شيء.

كيف جرى اختطافهم، إرجاؤهم، وسجنهم في هذه البلدة.

كيف أتى المنحرفون إلى الوجود.

عن ييلتشر وحلقته الداخلية في الجبل.

خرجت قلة - لم تستطع أن تتحمل سماع الحقيقة أو لم تصدقها.

لكن أغلب الناس بقوا.

استطاع أن يشعر بالمزاج العام في القاعة يتغير من عدم التصديق إلى الحزن إلى الغضب عندما وصف كيف كان ييلتشر يصور ويتفحص كل لحظاتهم الخاصة.

عندما أخبرهم بأمر الرقاقات المجهريّة، نهضت امرأة قافزة ورفعت قبضتها، صارخة فيما صورتها كاميرا خفية في السقف: "انزل إلينا هنا! هل تشاهد هذا؟ تعال أجب بنفسك يا ابن العاهرة!" وكما لو كان ردّاً عليها، خبت الأضواء في المسرح.

أضيء جهاز عرض وألقى صورة على شاشة عرض الأفلام الفضية خلف إيثنان.

التفت، وحدق في الشاشة البيضاء المصنوعة من الفينيل الثقيل بينما يظهر عليها ييلتشر.

كان الرجل جالسًا على مكتبه في وضع يوحى على نحو غامض  
بخطاب رئاسي، وقد وضع ساعديه على سطح المكتب، وشبَّك يديه.  
خيم الصمت على المسرح.

قال بيلتشر: "إيثان، هل تسمح بالتنحي جانبًا، وتركي ألقى كلمة؟"  
تراجع إيثان خارجًا من بقعة الضوء.

للحظة، اكتفى بيلتشر بالتحديق إلى الكاميرا التي كانت تصوره.

أخيرًا قال: "يعرفني بعضكم باسم دكتور جنكينز. اسمي الحقيقي  
ديفيد بيلتشر، وسيكون حديثي لكم مختصرًا وفي صلب الموضوع. كل  
الأشياء التي أخبركم بها مأموركم العزيز صحيحة. لو كنتم تعتقدون  
أني هنا كي أبرر ما فعلته لكم أو كي أعتذر، فاسمحوا لي أن أنفي عنكم  
وهم هذا التصور. كل شيء ترونه، كل شيء، أنا من خلقته. هذه  
البلدة. هذا الفردوس. التكنولوجيا التي أتاحت وجودكم هنا. بيوتكم.  
أسرَّتكم. الماء الذي تشربون. الطعام الذي تأكلون. الوظائف التي  
تشغل أوقاتكم وتجعلكم تشعرون أنكم مثل البشر. أنتم تتنفسون  
بلا أي سبب غير أنني أسمح لكم بذلك. دعوني أريكم شيئًا."

حل محل صورة بيلتشر منظر جوي لوادٍ فسيح، حيث يعبر  
المراعي الممتدة قطيعُ منحرفين يبلغ عددهم عدة مئات.

ملأ صوت بيلتشر المسرح فوق صور القطيع.

قال: "أرى أن لديكم أحد هذه الوحوش، ميت على خشبة المسرح.  
ينبغي لكم جميعًا أن تلقوا نظرة جيدة إليه، وتعلموا أن هناك ملايين  
وملايين منهم خارج أمان وإيوارد باينز. هذا ما يبدو عليه قطيع  
صغير."

عاد بيلتشر إلى الشاشة، غير أنه الآن كان يمسك الكاميرا بنفسه،  
ووجهه يحتل شاشة عرض الأفلام بأكملها.

- فلنكن واضحين. طوال الأربعة عشر عامًا الماضية، أنا الرب الوحيد الذي تعرفون، وقد يكون من الأفضل لكم أن تستمروا في التصرف كأني ما زلت.

انقذت صخرة من الظلام وارتطمت بالشاشة.

صاح شخص ما في الحشد: "يا ابن القحبة!"

أشاح بيلتشر بنظره بعيدًا، مراقبًا كل شيء على حائط شاشاته.

من الجانبين، شاهد إيثان ثلاثة رجال يصعدون على خشبة المسرح ويبدوون في تمزيق الشاشة.

بدأ بيلتشر يتحدث، لكن شخصًا ما في آخر القاعة انتزع جهاز العرض من الحائط وحطمه قطعًا.

\*\*\*

جلس بيلتشر وحيدًا على مكتبه.

رفع زجاجة السكوتش.

شربها حتى نهايتها، وألقى بها نحو الشاشات.

كان عليه أن يتشبث بالمكتب وهو يسحب جسده كي يقف على قدميه.

ترنح.

كان سكرانًا.

لقد انتهى أمره تمامًا الآن.

تمايل مبتعدًا عن المكتب فوق الأرضية المصنوعة من الخشب الصلب الأسود.

راقبه فنسنت فان جوخ من الجدار، بوجه حليق، وعلى أذنه اليمنى ضمادة.

لحق نفسه قبل أن يسقط على المائدة الكبيرة في مركز الغرفة. أطرق محدقًا عبر الزجاج إلى الماكيت المعماري المصغر لويوارد باينز، متتبعًا بإصبعه المسار إلى تقاطع الشارعين الثامن والرئيسي. اخترقت قبضته الزجاج من أول محاولة وسحقت النموذج المعقد لدار الأوبرا.

علقت قبضته في سنون الزجاج وهي يسحبها.

لَکَمَ بقبضته المدماة جزءًا آخر من الزجاج.

وآخر.

كانت يده تنزف بغزارة قبل أن ينتهي من تحطيم كل الزجاج، والشظايا والحبيبات الضئيلة متناثرة عبر البلدة كأنها صبيحة عاصفة بَرَدٍ توراتية.

سار متعثراً بمحاذاة المائدة حتى وصل إلى منزل إيثان الفيكتوري الطراز.

حطمه.

حطم قسم المأمور.

حطم منزل كيت وهارولد بالينجر.

ولم يكن هذا كافيًا تقريبًا.

قبض على المائدة، وثنى ركبتيه، ورفعها، وألقاها رأسًا على عقب.

\*\*\*

حتى بعد أن أخبرهم إيثان بكل شيء، وبعد أن تهاوت شاشة  
عرض الأفلام، ظل الناس في مقاعدهم.  
لم يغادر أحد.

بعضهم جلسوا جامدين، مذهولين.

وآخرون بكوا علناً.

فرادى.

أو في مجموعات صغيرة.

على أكتاف أزواج أُجبروا على الزواج منهم.

كانت العواطف في القاعة مربكة. مثل حالة الذهول الصامت في  
الجنازات. وكان هذا هو الحال بالضبط من نواحٍ عديدة. الناس في  
حداد على حيواتهم السابقة. كل الأحبة الذين لن يروهم مرة أخرى.  
كل ما سُرق منهم.

كثيرٌ عليهم ما يجب أن يستوعبوه.

كثيرٌ عليهم ما يجب أن يأسوا عليه.

وكثيرٌ عليهم ما يجب أن يخشوه بعد ذلك.

\*\*\*

جلس إيثان مع زوجته وابنه على خشبة المسرح خلف الستار،  
محتضناً إياهما بقوة.

همست تيريزا في أذنه: "أنا فخورة جداً بما فعلته الليلة. إن حدث  
وسألت نفسك عن أفضل لحظاتك، فقد عشتها تَوًّا."

قبَّلها.

كان بن يبيكي وهو يقول: "الأشياء التي قلتها لك في وقت سابق اليوم على الدكة..."

- لا بأس يا بني.
- قلت إنك لست أبي.
- لم تقصدها.
- اعتقدت أن مستر بيلتشر طيب. اعتقدت أنه الله.
- ليست غلطتك. لقد استغلك. استغل كل طفل في تلك المدرسة.
- ماذا سيحدث الآن يا أبي؟
- لا أعرف يا بني، لكن مهما حدث، منذ هذه اللحظة فصاعدًا حياتنا ملكنا من جديد. وهذا هو كل ما يهم.

\*\*\*

بدأ الناس يصعدون ليروا المنحرف الميت.

لم يكن ذا جسد كبير، مجرد مائة وعشرين رطلاً. تصور إيثان أن حجمه الصغير أبقى تأثير سهم التخدير مستمرًا لوقتٍ أطول مما خطط له.

تجاوز الوقت منتصف الليل، وكان إيثان يرنو متأملًا كل الناس الذين غير حياتهم للتو بما لا يقاس حين سمع صوت هاتف يرن في البهو.

نزل من فوق خشبة المسرح وصعد الممر واندفع خارجًا من الأبواب المؤدية إلى خارج المسرح.

كان الرنين قادمًا من مكتب التذاكر.

جلس خلف شبك التذاكر ورفع السماعة إلى أذنه.



- كيف حالك أيها المأمور؟
- بدا صوت بيلتشر مثقلًا بالويسكي وسعيدًا على نحو غير معهود.
- قال إيثان: "ينبغي لنا أن نلتقي غدًا."
- أتود أن تعرف ما فعلته؟
- معذرة؟
- تكلم بيلتشر ببطء أكبر، مفصلاً كلامه: "أتود أن تعلم ما فعلته؟"
- أعتقد أن لدي فكرة معقولة.
- هل تعلم؟ حسنًا، سأخبرك على أي حال. لقد اشتريت لنفسك بلدة للتو.
- أخشى أنني لا أعرف ما يعنيه ذلك.
- كان الناس يخرجون من المسرح، ويتجمعون حول شباك التذاكر.
- لا تعرف ما يعنيه ذلك؟ يعني أنهم ملكك الآن. كل وأي واحد منهم. مبروك.
- أعرف ما فعلته بابنتك.
- صمت على الطرف الآخر من الخط.
- قال إيثان: "أي وحش أنت..."
- خانتني، أنا وكل من في الجبل. عرضت مواطني وايوارد باينز للخطر. لم تكتفِ بإخبار الناس بالبقع العمياء في البلدة. بل أنشأتها. خرّبت كل شيء قمت...
- ابنتك يا ديفيد.
- منحتها كل الفرص كي...
- ابنتك.

- كان لا بد من فعل ذلك. ربما ليس بالطريقة التي تم بها، لكن... فقدت عقلي.

- كنت أتساءل.. لماذا جعلتني أتحرى حول مقتلها؟ أجد جثتها في الطريق؟ أظن أنك خططت لهذا. ماذا أملت أن تكتسبه؟

- لم تتخلَ أليسا قط عن جماعة بالينجر. ولم أعتقد أنك ستتحري فعلاً حول شريكك السابقة إلا إذا اعتقدت أنها قتلت أحداً بالفعل. وكان ينبغي لك أن تصل إلى استنتاج بأن كيت هي القاتلة. كان يجب ذلك لو فتشت منزلها. أخفيت سلاح قتل أليسا في صندوق عدة داخل ورشة كيت وهارولد. كان من المفترض أن تجده، لكن لم تقم حتى بالتفتيش قط، لأنني أظنك لم تعتقد قط أنها فعلت ذلك حقاً. حسناً، لا يهم الآن.

- كيف تنام في الليل يا ديفيد؟

- لأنني أعرف أنه مهما فعلت، فقد كان كل هذا في خدمة خلق وايبورد باينز. لحماية وايبورد باينز. ولا يوجد ما هو أهم من ذلك. لذا أنام جيداً. لدي لقب جديد من أجلك بالمناسبة.

قال إيثان: "يجب أن نلتقي. يجب أن نتكلم عما سيحدث بعد ذلك."

- جالب الضياء. هذا لقبى الجديد لك. مترجم عن الكلمة اللاتينية: لوسيفر. هل تعرف أسطورة لوسيفر؟ إنها ملائمة تماماً. كان ملاكاً لدى الرب. أجمل مخلوقاته جميعاً. لكن جماله؟ أضله. بدأ يعتقد أنه جميل مثل صانعه. أنه ربما ينبغي له أن يكون إلهاً.

- بيلتشر...

- قاد لوسيفر فرقة من الملائكة في تمرد ضد القدير، وأريد أن أسألك سؤالاً الآن... كيف سينتهي الحال بهم؟
- أنت رجل مريض، استحق هؤلاء الناس حرمتهم.
- سأقاسمك معلومة أن الأمر لم ينتهِ على نحو طيب بالنسبة إليهم. هل تعرف ماذا فعل بهم الله؟ طردهم. خلق مكاناً اسمه الجحيم من أجل لوسيفر وملائكته الساقطين.
- قال إيثان: "ومن أكون في هذه الحكاية الخيالية؟ لوسيفر؟ وأظن أن هذا يجعلك الله؟"
- برافو عليك أيها المأمور.
- كان بمقدور إيثان أن يسمع بيلتشر وهو يبتسم عبر الهاتف.
- وإذا كنت تتساءل أين تذهب كي تجد هذا المكان من العذاب الأبدي الذي سأخلقه من أجلك، أقول لك لا تنظر بعيداً.
- عم تتحدث؟
- الجحيم قادم إليك.
- دوّت في أذن إيثان نغمة اتصال لمدة ثانيتين.
- ثم انطفأت كل الأنوار.

# 25

1040 الشارع السادس

وايوارد باينز

قبل ثلاثة أعوام وسبعة شهور

في يومهما الأخير معاً، أعدت وجبته المفضلة.

طوال الظهيرة في المطبخ - تقطع وتقلّب وتخلط.

ذلك الفعل البسيط المتمثل في إبقاء يديها مشغولتين يحملها بطريقة ما من لحظة إلى التالية.

لكن كان عليها أن تركز، لأنه في اللحظة التي تتخلى فيها عن حرصها، سينهار كل شيء فوق رأسها.

وقد فقدت حرصها ثلاث مرات.

انهارت على ركبتيها.

وملأت نهنهاتها المنزل الخالي.

لقد كان الأمر هنا صعبًا للغاية.

مخيفًا وموحشًا، وفي النهاية.. بلا أمل.

لكنه عندئذٍ وصل. كأنه حلم.

لقد وجد أحدهما الراحة في الآخر، ولأول مرة كان كل شيء أفضل.  
كانت سعيدة بالفعل في هذه البلدة الغريبة الصغيرة.

انفتح الباب الأمامي وانغلق.

وضعت السكين على لوح التقطيع.

جففت عينيها في منشفة الأطباق.

التفتت لتواجهه.

وقف أمامها عند منصة المطبخ.

قال: "كنتِ تبكين.."

- قليلًا.

- تعالي هنا.

ذهبت إليه، أحاطته بذراعيها وبكت في صدره بينما هو يتخلل  
شعرها بأصابعه.

سألته: "هل كلمتهم؟"

- نعم.

- و؟

- لا تغيير.

- هذا ليس عدلاً.
  - أعلم.
  - ماذا لو قلت فقط...
  - لا خيار لي في الأمر.
  - ألا تستطيع أن...
  - لا تسأليني من فضلك.
- أخفض صوته وهمس في أذنها: "تعرفين أني لا أستطيع الحديث عن ذلك. تعرفين أن هناك عواقب."
- يقتلني عدم الفهم.
  - انظري إليّ.
- أمسك بوجهها بين يديه وهدق في عينيها. لم يحبها أحد من قبل كما أحبها هذا الرجل.
- سنتجاوز هذا.
  - أومات برأسها.
  - سألته: "كم المدة؟"
  - لا أعرف.
  - هل الأمر خطير؟
  - نعم.
  - هل ستعود؟
  - بالطبع. هل هو في الطابق العلوي؟
  - لم يعد إلى البيت من المدرسة بعد.

- حاولت أن أكلمه عن ذلك، لكن...

- سيمر بوقتٍ صعبٍ حقيقي.

وضع يديه على خصرها.

قال: "اسمعي، قُضي الأمر، ولا شيء يمكننا أن نفعله حيال ذلك، لذا دعينا نتمتع بالوقت الذي لدينا. اتفقنا؟"

- اتفقنا.

- هل يمكن أن نصعد إلى الطابق العلوي لبعض الوقت؟ أود أن أحظى بشيء صغير كي أتذكرك به.

- لا أريد أن أحرق العشاء.

- فليحترق العشاء وأهله.

\*\*\*

رقدت في الفراش، بين ذراعيه، تراقب السماء وهي تعتم عبر النوافذ.

قالت: "لا يمكنني حتى أن أتخيل كيف سيكون الأمر."

- أنت قوية. أقوى مما تُقدِّرين نفسك.

- ماذا لو لم تعد إليّ؟

- وقتها اعرفي هذا. الوقت الذي قضيته معك هنا في هذا الوادي، في هذا المنزل، كان هو أفضل ما في حياتي. أفضل من كل عمري في الدنيا من قبل. أحبك يا تيريزا. أحبك بجنون وإلى الأبد و...

قبَّلته وجذبتة فوقها.

بداخلها.

كانت تبكي من جديد.

قالت: "كن هنا فقط. أحبك. يا إلهي، أحبك كثيراً يا آدم، لا تتركني، من فضلك، لا تتركني..."





## القسم الخامس



## 26

في الرمق الأخير من النهار، فتح توبياس دفتر يومياته ذا الغلاف الجلدي وقرأ الكتابة في أول صفحة ربما للمرة الألف.

عندما تعود -وستعود- سأضاجعك أيها الجندي، كأنك عدت لتوك من الحرب.

فرّ ثلاثة أرباع صفحات الدفتر إلى حيث توقف في المرة الأخيرة.

كان القلم الرصاص قد تقلص إلى آخر بوصة فيه.

وبدأ الغليون ينطفئ.

نفض الرماد وسحب نفسًا عميقًا، مستجمعًا أفكاره بينما النهر يمر مهممًا.

من مجلسه بدا أن الشمس أنهت عرضها، رغم أنها ما زالت  
تضرب قمة الجبل في الناحية الأخرى من النهر، أعلاه بنصف ميل.  
بدا أن قطيع المنحرفين يتحركون.

كان بمقدوره سماعهم يتصايحون ويصرخون وهم يشقون طريقهم  
في الوادي، مُخلين له سبيل العودة إلى الديار.

كتب توبياس:

اليوم 1308

سأختصر في حديثي وأدخل في صلب الموضوع. إنها ليلتي الأخيرة  
في البرية ولديّ مشاعر كثيرة جدًّا. يمكنني أن أرى الجبال التي تحيط  
بوايوارد باينز من مخيمي، وبأي قدر من الحظ، سأتخلص من البرد  
غدًا بعد الظهر. هناك أشياء كثيرة جدًّا أتطلع إليها. فراش دافئ.  
وجبة ساخنة. أن أتحدث إلى إنسان آخر من جديد. أن أجلس وفي  
يدي كأس ويسكي وأخبر الناس بكل ما رأيته.

وحدي أملك مفتاح ما سوف ينقذنا جميعًا. أنا حرفيًا الرجل  
الوحيد في العالم الذي يمكنه إنقاذ هذا العالم. أحمل هذه المعرفة  
على عاتقي، لكن لا شيء من هذا يهم حقيقةً.

لأني كلما اقتربت أكثر من وايوارد باينز، كل ما يمكنني أن أفكر  
فيه هو أنتِ.

لم يمر يوم واحد دون أن أفكر فيكِ. في وقتنا معًا. في كيف كان  
الشعور عندما احتضنتك تلك الليلة الأخيرة.

والآن، غدًا، سأراك من جديد.

يا ملاكي الحلو الحبيب.

هل يمكنك أن تحسي بأني قريب؟ ألا تعرفين بحدسك وبطريقة ما  
أننا في غضون ساعات سنكون معًا؟  
أحبك يا تيريزا بيريك.  
دائمًا.

لم أعتقد قط أنني سأكتب هذه الكلمات لكن...  
هذا هو آدم توبياس هاسلر...  
المُقْرَأُ بما فيه.



## 27

كان الدخان ما زال يتصاعد من السيارة المحترقة. إشارة المرور مظلمة وأعمدة النور مطفأة. لم يعد هناك مصباح واحد يعمل في الوادي بأكمله، وتألقت النجوم بكثافة ثلجية زاهية.

سار إيثان إلى منتصف الشارع، وتيريزا متشبثة بذراعه، وكيت على جانبه الآخر. لو كان قربهم هم الثلاثة على هذا النحو يزعج تيريزا، فهي لم تبين ذلك. الحق يقال؛ لم يكن إيثان واثقاً من حقيقة شعوره وهو يسير بينهما.

كثير من الحب والعاطفة والأم.

كأنه عالق بين قوى طاردة.

نفس القطبين لحجري مغناطيس في حالة اقتراب خطيرة.



ناول إيثان مكبر الصوت لكيث وقال: "أسدي إليّ معروفاً. أبقى الجميع هنا. أحتاج إلى مراجعة شيء ما."  
- لست واثقة تمامًا.

ابتعد عنها، وتوجه نحو سيارته البرونكو.

كان المنحرف قد دمرها. انفتح ثقب كبير في الزجاج الأمامي وتغطت المقاعد الأمامية بالزجاج وبُقرت أحشاؤها، وخرجت منها البطانة المصنوعة من الفوم. لم يستطع حتى أن يرى من خلال الزجاج الأمامي، لذا سعد على غطاء المحرك وحطم بحذائه بقية الزجاج. قاد السيارة جنوباً في الشارع الرئيسي، والرياح تتدفق عبر إطار النافذة المفتوحة وعيناه تدمعان في مواجهتها.

عندما وصل المنحرف عن الطريق وتتبع آثار الإطارات من غزوته الأخيرة داخل الغابة، والأضواء العالية تندفع بين الأشجار. وجد طريقه عائداً إلى جذع الصنوبرة الميتة وأطفأ المحرك.  
خطا في الغابة المظلمة.

ثمّة شيء خاطئ، وعندما اقترب من السور أدرك أن الصمت هو ما أثار توتره.

لا يجب أن يكون بهذا الهدوء.

هذه الموصلات والكابلات المرصعة يجب أن تطنّ.

سار غرباً بجوار السور الميت.

بدأ يهرول.

ثم يجري.

بعد مائة ياردة، وصل إلى البوابة - قسم له مفاصل وارتفاعه ثلاثون قدمًا يتيح الخروج من الوادي. منها كان يخرج الرخالة، و-نادراً ما- يعودون. وكان بيلتشر أحياناً يرسل شاحنات عبرها إلى البرية لتجميع الحطب أو القيام باستطلاع قصير المدى.

حتى هذه اللحظة، لم يكن إيثان قد مرَّ فعلياً برعب رؤيتها مفتوحة على اتساعها.

وبينما كان واقفاً يحدق عبر البوابة إلى البرية العدائية بما يفوق الخيال وراءها، تملكه استنتاج بارد مقبض بأنه أساء قراءة بيلتشر تماماً.

ارتفعت صرخة من بين الغابة.

ليست أبعد من ميل.

وجاوبتها صرخة أخرى.

ثم أخرى.

وأخرى.

اتسعت الضجة وتنامت حتى بدت الأرض ترتجف بها، كأنها تنهمر من الجحيم عبر الغابة.

نحو السور الميتم.

البوابة المفتوحة.

نحو وايبورد باينز.

لمدة ثانيتين، وقف إيثان متجمداً، وسؤال وحيد يدور في رأسه بينما يتعاطم الهلع والخوف والذعر بداخله.

ماذا قد فعلت؟

وبدأ يجري.



## شكر وتقدير

ديفيد هيل سميث، ريتشارد باين، أليكسس هيرلي، ناثانيال جاكس، وكل فرد في وكالة إنكويل مانيدجمينت: أشكركم على الدعم والمشورة.

أنجيلا تشينج كابلان وجويل فاندركلووت: أنتما نجما الاستعراض. ممتنٌ جدًا لوجودكما في صفي.

شكر خاص جدًا لجاك بن زكري لقيامها بتحرير فاخر لهذا الكتاب.

ولجيني وويليامز لقيامها بتحرير طباعة رائع لروايتي (غابة الصنوبر) و(المنحرفون).

ديفيد فانداجريف: أشكر. وأنت تعلم السبب.

إلى فريق العمل في توماس آند ميرسر وأمازون: آندي م. ف.  
بارتليت، آلان توركوس، دافني دورهام، فيكي جريفيث، جيف بيل،  
دانييل مارشال، جون فاين، سارة توماشيك، روري كونيل (الذي رحل  
لكنه لا يُنسى أبداً)، ميا ليبمان، بول دياموند، إيمي بايتس، ربما الزابن،  
كريستي كولتر، فيليب باتريك، سارة جيلمان، جودي وارشو.. ماذا  
يمكنني أن أقول؟ كل واحد منهم يأتي بأفضل ما لديه كل يوم. شرف  
وامتياز كبير أن تُربط كتبي بمحركاتكم الصاروخية.

جوي كونراث، باري إيسلر، ماركوس ساكي، جوردان كراوتش،  
جيروين تِن بيرج، آن فوس بيتسون: شكراً على التشجيع والتحفيز  
والصداقة.

براين أتساريللو: كان ينبغي لي أن أشكر في المرة الأخيرة على  
إعطائي عنوان رواية (غابة الصنوبر). لذا أشكر!

ويل دينيس في دار نشر فيرتيجو: ساعدتني بلا حدود في المراحل  
الأولى من هذه السلسلة، ومنحتني شعوراً بمقدار ضخامة العالم الذي  
يمكن أن تكون عليه.

فريق البيت: ربيكا، آيدان، آنسلي، وكراوتش غير المسمى #3:  
أحبكم يا رفاق. أمل أن تعرفوا إلى أي حد.

مكتبة  
t.me/soramnqraa

## نبذة عن الكاتب

بليك كراوتش Blake Crouch - كاتب وسيناريست أمريكي من مواليد 1978. يُعد كراوتش من الأسماء المعروفة في قائمة أفضل الكُتّاب مبيعًا؛ تضم رواياته تحسين، استدعاء ذاتي، المادة السوداء، وثلاثيته *The Wayward Pines* التي صدرت ما بين 2012 و2014، وتحولت إلى مسلسل تليفزيوني من إنتاج شركة فوكس عام 2015. كما شارك كراوتش أيضًا في كتابة مسلسل تليفزيوني لقناة تي إن تي بعنوان سلوك حسن Good Behavior اعتمد على روايته القصيرة ليتي دوبيش، يعيش في كولورادو مع زوجته جاكلين بن زكري وأطفالهما الثلاثة.



## نبذة عن المترجم

عبد الرحيم يوسف - شاعر ومترجم مصري من مواليد 1975. صدر له ثمانية دواوين بالعامية المصرية، وواحد وثلاثون كتابًا مترجمًا، نشر عددًا من الترجمات الأدبية في عدد من الدوريات المصرية والعربية، وشارك كمحرر مساعد في مجلة (ميناء) الثقافية التي صدر منها ثلاثة أعداد في الفترة من 2005 إلى 2009. ترجم عددًا من التقارير لمنظمة هيومان رايتس ووتش، ومكتب اليونسكو بألمانيا وصندوق الأمم المتحدة للسكان وموقع مدى مصر. وحصل على جائزة الدولة التشجيعية في الآداب فرع ترجمة الأعمال الفكرية عام 2017 عن ترجمته لكتاب (ثلاث دراسات حول الأخلاق والفضيلة) لبرنارد ماندفيل.



# المنحرفون

في الجزء الثاني من ثلاثية وايوارد باينز يحكي بليك كراوتش عن مدينة وايوارد باينز المثالية الواقعة وسط جبال رائعة الجمال، والتي يمكن أن يطلق عليها "جنة عدن الحديثة" باستثناء السياج المكهرب والأسلاك الشائكة التي تحيط بها والقناصة الذين يراقبون الوضع على مدار الساعة، لا أحد من السكان يعلم كيف جاؤوا إلى تلك البلدة، ويتم إخبارهم بما عليهم فعله طوال الوقت، يعلم الجميع بالهروب، لكن من يتجرأون فعلا على ذلك تنتظرهم مفاجأة مهولة

telegram @soramnqraa

المحررة

ISBN 978-977-313-995-7

